

عبدالوهاب مطاوع

العصافير الخرساء



دار الشروق

العصافير الخرساء

الطبعة الأولى

١٤١١ هـ - ١٩٩١ م

الطبعة الثانية

١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م

الطبعة الثالثة

١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م

الطبعة الرابعة

١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م

الطبعة الخامسة

١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م

جميع حقوق الطبع محفوظة

© دار الشروق

أسسهما محمد العظم عام ١٩٦٨

القاهرة: ٨ شارع سيدي بويه المصري -

رابعة العدوية - مدينة نصر

ص. ب. ٣٣: البانوراما - تليفون: ٤٠٢٣٣٩٩

فاكس: ٤٠٣٧٥٦٧ (٢٠٢)

البريد الإلكتروني: email: dar@shorouk.com

عبدالوہاب مطاوع

العصا في الخرساء

دار الشروق

الغلاف للفنان مصطفى حسين

عبد الوهاب مطاوع وأدب الاعتراف

وإذا كنا قد عرفنا من الأدب الاعترافى ذلك اللون الذى يُسمّى بأدب التراجم والسير أو اليوميات ، فإن من ألوانه أيضا ما يكتبه الناس فى شكل الرسائل الاعترافية التى يجرها أديب وتمثل به دراسة للطبيعة البشرية والخبرة الإنسانية ..

ورائد هذا اللون من الأدب فى حياتنا المعاصرة هو الأستاذ عبد الوهاب مطاوع منذ أشرف على بريد الأهرام وما يحمله من رسائل المهومين الذين يجب على تساؤلاتهم الحائرة .

وجوهر هذا الأدب أن يحكى الإنسان عن نفسه وأن « يهتف » على الورق مصورا بصدق فى لايجارى معاناته وآلامه وبحته الدائم عن السعادة .

وهذا الصديق الإنسانى هو جوهر الأدب الاعترافى الذى يقدم لنا الاستاذ عبد الوهاب مطاوع ألوانا رائعة منه .

الدكتور عبد العزيز شرف

الناقد المعروف ورئيس القسم الأدبى بالأهرام

من دراسة نشرت له بالأهرام فى ١٨ / ٥ / ٩٠

العصافير الخرساء

أنا ياسيدى سيدة فى الرابعة والثلاثين من عمرى ، فى سنوائى الأولى بكلبى العملية بدأ الخطاب يتهافون علىّ لجالى اللافت للنظر لكن أبى وأمى أصرا على رفض أية خطبة قبل أن أتمّ تعليمى وفى عامى الدراسى الأخير تقدم لى شاب وسيم ومركزه مرموق ومن أسرة طيبة فعرضته على أبى وأمى فرفضاه فى البداية لأنه فى بداية طريقه ولا يملك شقة لكنى استطعت بعد محاولات شاقة اقناعهما به فقبلاه على مضض واشترطا تأجيل الخطبة إلى ما بعد تخرجى وتخرجت فى كلبى بتقدير جيد جدا وعملت بغير شهادتى فى إحدى الشركات الخاصة التى يملكها صديق حميم لعمى وراتب كبير . وتم اعلان الخطبة وكنت سعيدة بها لكن المشاكل بدأت على الفور بين خطيبى وبين أبى وأمى على مسائل تافهة جدا سببها الحقيقى عدم قبولهما له من الأصل وتغيرت النفوس مع تراكم المشاكل حتى بدأت الخلافات بينى وبينه لأول مرة وتصاعدت حتى جاءت مناقشة عابرة بيننا كانت نهاية خطبتنا فأعدت إليه شبكته وهداياه ولم اندم على تجربة استغرقت من عمرى عامين .

وبعد فسخ خطبتي تقدم لى غيره لكنى أصبحت أتردد كثيرا فى

قبول الارتباط بأى شخص حتى لا اتعرض للفشل مرة أخرى . فقضت السنوات .. حتى بلغت السادسة والعشرين من عمرى فجن جنون أبى وأمى كأنى قد بلغت الأربعين وأصبح لا هم لها إلا زواجى وبأسرع وقت فانطلقا يحضران لى الخطاب من كل مكان لكنى أصررت على ألا أقبل إلا من أحس بالراحة النفسية تجاهه وتعرضت لغضبها ولومها طويلا وفى هذه الأيام كنت أعمل فى الشركة من التاسعة صباحا حتى الخامسة مساء وتتخلل ساعات العمل ساعة راحة بين الواحدة والثانية نقضها فى الغداء والحديث مع الزملاء والزميلات وكان من بينهم زميل ارتحت إليه وارتاح لى وروى كل منا للآخر ظروفه كاملة ثم فاتحنى برغبته فى الزواج منى ووجدتنى فى لحظة واحدة اتخلص من كل ترددى وأقبله على الفور بل ووجدتنى أحبه حبا جنونيا وأراه الرجل الذى أتمناه فهو شاب طيب ووسيم ومكافح واخلاقه ممتازة واعتاد تحمل المسئولية منذ صغره لأن أبويه مكافحان وله أخوة فى مراكز طيبة وعنده شقة مؤجرة مناسبة وكان قد بدأ إلى جانب عمله فى الشركة تجارة صغيرة لحسابه تبشر بالنجاح ، وقد سعدت به وبكل ظروفه بالرغم من ان راتبه يقل عن راتبى مائة جنيه . وحملت سعادتى إلى أبى وأمى وفاتحنهما فى أمره ففوجئت بهما يرفضانه لأنها غير مقتنعتين بأنى قد بلغت السن التى تسمح لى بالاختيار الصحيح ولأنه لا يملك شقة تمليك كفلان الذى تقدم لى ورفضته ولا يملك سيارة كفلان ، ولأن شقته المؤجرة بعيدة عن مسكننا فكيف سنزورك إلخ ، وسمعت هذه الأسباب ذاهلة ومتعجبة من أنها لا يعرفان أن اقصى ما تريده الفتاة من الحياة هو

أن تعيش مع رجلها الذى اختاره قلبها واختاره قلبه والذى يغمرها بحبه وحنانه وحايته فى أى مكان سواء أكان شقة تمليك أم مؤجرة وإن المهم هو أن يبدأ معا ويكبرا معا ويحافظا على ما بنياه لأن ما يأتى سهلا يضيع غالبا سهلا . وناقشتهما طويلا فذكرانى بأنى قد أسأت الاختيار من قبل وكانت النتيجة هى الفشل ، وإن من حقها على ان التزم برأيها فى هذا الأمر الهام حتى لا اتجرع كأس الندم مرة أخرى . وخلال هذه المشاورات تقدم شاب يعمل بإحدى الدول العربية عنده كل المؤهلات التى يراها أبواى جديرة بى من شقة تمليك قريبة إلى سيارة إلى بعض الأملاك الخاصة إلى الراتب المغرى إلى الأسرة الماثلة لأسرتنا ، فعرضاه على فرفضته بغير تردد وأعلنت تمسكى بفتاى الذى أحبه فلم يئاسا منى ودخلا إلى من المدخل الدينى لعلمهما بتدبىنى وخشيتى لربى فراحا يلحان على بقبوله ارضاء لها لأن رضاء الأبوين من رضاء الله أما الحب فسوف يأتى على مهل بعد الزواج ولن تعرفى الندم ولا الفشل وازداد تركيزهما على الناحية الدينية ووسط حيرتى وتمزق بين رغبتى فى ارضاء أسرتى ورغبتى فى التمسك بحبيبى عرضت عليه أن نتزوج سرا ونضع أسرتى أمام الأمر الواقع فرفض غاضبا وقال لى أنه يتمنى الزواج منى من أعماق قلبه لكن زواجنا ليس جريمة لكى نتستر عليها ونخفيها لهذا فهو لن يتزوجنى إلا بموافقة أسرتى علنا وأمام الله والناس .. فأكبرته فى داخلى وإن كنت تمنيت لو كان وافقنى لكى يرحمنى من حيرتى وعذابى وازدادت ضغوط أسرتى على يوما بعد يوم حتى بدأت استسلم وجاء يوم كئيب فى حياتى كان على فيه ان أودع فتاى فى نفس المكان الذى كنا نلتقى فيه

خلال أيامنا السعيدة في بهو أحد فنادق القاهرة فودعته بدموعى
وودعنى هو بكلمات دامعة قال لى فيها أنه يتنازل عنى مرغما وعلى غير
ارادته وأنه لن يتزوج بعدى مهما طال الزمن ولم التحمل أكثر من ذلك
فانفجرت باكية وهولت من أمامه وعدت إلى بيتى ومشاعرى تجاه
أبوى متضاربة لا أعرف هل يريدان لى السعادة حقا .. أم يريدان
لنفسهما الراحة والشقة التليك القريبة والزوج الجاهز ماديا وحصلت
على أجازة من العمل حاولت خلالها أن أهينى نفسى للمرحلة الجديدة
التي سأبدؤها بعد أيام .. وراح أبوى يرقبان حزنى بقلق ويتساءلان عما
وراءه .. وبعد عدة أيام كثية عدت إلى العمل فلم أجد فتاى فيه
وسألت عنه فعلمت من زملاى أنه استقال ليتفرغ لتجارته رغم رفض
المدير لاستقالته وانه ودع الزملاء وتمنى لهم جميعا حياة سعيدة ولم ينس
ان يترك لى معهم تمنياته الطيبة . فازددت اكتئابا ..

وعدت إلى بيتى فوجدت أبى وأمى مشغولين بأمر الخطيب الجديد
وفشلت فى أن اشاركهما الاهتمام بأى شىء حتى عابا على فتورى وتمت
الخطبة ووجدت خطيبى شابا مهذبا كريما للغاية ويحببى جدا وتحببى
سرته وهى أسرة محافظة كريمة . وبعد ٦ شهور تم عقد القران وبالغ
خطيبى فى كرمه فكتب لى فى العقد مبلغ ١٥ ألف جنيه كمؤخر صداق
وتم الزفاف فى أكبر فنادق القاهرة .. وشهد حفل الزفاف أجمل
الفقرات وطوال فقرات الحفل كانت صورة فتاى الذى وأدت حبي
معه تطاردنى فأرى فى مخيلتى دموعه فى اللقاء الأخير واسمع بصوته
الهامس وهو يؤكد لى أنه لن يتزوج بعدى .. فلا أحس بدموعى ويراه

زوجى فيظنها دموع الفرح فيمسك بيدي ويقبلها ويقبلنى أمام الجميع ، فأفبق من غفوتى واتذكرأتى زوجة لرجل ينبغى ألا يكون فى خيالى غيره فأهز رأسى بعنف كأنى أطرد منها صورة فتأى وهكذا طوال الليل وحتى الفجر ، وانتهى حفل الزفاف وبدأنا شهر العسل واخترت أن أكمل إيمانى بارتداء الحجاب وبعد أيام سافرت مع زوجى إلى مقر عمله فى الدولة العربية وواظب أبواى على الاتصال بى تليفونيا وبالبريد وعلى السؤال عن الحمل .. فأجيبهما كل مرة أنه لم يحدث وكان زوجى الكريم قد استصدر لى رخصة قيادة لكى أقود سيارته الفارهة فى أى وقت وأغدق على بهدايا الذهب والماس وبالترهات فضت أيامنا هادئة جميلة ثم فجأة ياسيدى وبعد ٣ شهور فقط من الزفاف انقلب زوجى إلى شخص آخر لا علاقة له بالخطيب الذى جاء يطرق بابى ويبالغ فى رعايتى وتكريمى كأنما قد استبدل الله فجأة به شخصا آخر يحمل نفس الاسم والملامح ومازلت لا أعرف حتى الآن متى يتغير الإنسان هكذا فجأة وقد بدأ الانقلاب بأن سحب منى رخصة القيادة ثم بحرمانى من الخروج معه ثم بدأ بلا مقدمات يسب ويلعن أبوى وأهلى لأى سبب تافه كأن يعود ظهرا مثلا فيجدنى نائمة فى غفوة قصيرة من ارهاق العمل لأنى أعمل مثله وفى مجال مماثل لجاله وغلبنى النوم وأنا فى انتظاره . أو يعود فلا يجد الطعام ساخنا فينهال على سبا وتقريبا إلى أن جاء يوم عدت ظهرا من عملى متعبة فطهوت وتركت الطعام على السفرة وغلبنى النوم فإذا بى استيقظ على وقع ضربات مؤلمة تنهال على فانتبهت مفزعة فإذا بزوجى المحب الكريم يضربنى بجذء العمل ذى

الكعب الثقيل لأني نائمة والأكل غير ساخن .. فلم أزد عن أن رددت
بلا وعى وبانفعال شديد حسبي الله ونعم الوكيل .. فتركني وخرج
ووجدت نفسي أبكي بلا انقطاع لمدة ساعتين .. وتكررت اعتداءاته
على بالضرب ولم أكن أقف ساكنة كما فعلت يوم صحوت من نومي
على حذائه ، وإنما كنت اداغ عن نفسي بكل قوة لكنه كان يغلبني في
النهاية فلا أملك إلا أن اذكره بما أمره الله به من حسن معاملة زوجته فلا
يرتدع .. واكتب لأهلي بما يجري فيشكوان لأبويه فلا يصدقان وأصبر
نفسي بأننا سنعود لبلادنا بعد قليل وهي آخر سنة لنا في الغربة ويجب أن
اتحمل وعدت فعلا في اجازة الصيف بلا حمل ولا أطفال لكن شتان
بين ذهابي وعودتي .. فلقد سافرت عروسا شابة جميلة محبوبة من
زوجها الرقيق اللطيف وعدت سيدة محطمة نفسيا وجسديا ذابلة الوجه
والبشرة ورغم ذلك لم أفكر في الانفصال خوفا من الفشل والندم
واسقررت في شقتي المجهزة بافخر الأثاث والكماليات وأملت ان تهدأ
أعصابه بعد انتهاء غربتنا وفعلا تحسنت معاملته لي بعض الشيء وعشنا
أياما هادئة ثم حدث نفس الانقلاب المفاجئ بعد شهرين وبفس
الصورة وضربني من جديد ضربا مبرحا فحملت جروحي وغادرت
شقتي إلى بيت أهله القريب واشهدتهم على ما يفعله بي ثم ذهبت إلى
بيت أسرتي واعتصمت به طالبة منهم ومن ربي حلا لهذا العذاب ، فلم
تمض ساعة حتى جاء ودخل الشقة فلم يسلم على أحد وإنما جذبني بلا
كلام من شعري يريد أن يعيدني معه هكذا أمام أبي وأمي وأخي كأني
إنسانة من العصر الحجري ولست الفتاة المتعلمة بنت الناس ، فلم

يتالك أخى نفسه وهجم عليه يلكمه ويخلص شعرى منه فانفجر
 بالتهديد والوعيد فطرده أبى من البيت وبعد تفاصيل مؤلة طويلة طلبت
 الطلاق فطالبنى برد الشبكة الماسية والذهب وبالتنازل عن مؤخر
 الصداق وعن نفقة المتعة وكل حقوق ففاجأته بقبولى كل ذلك وتنازلت
 له عن كل شىء .. كل شىء وتركت له الشقة الفاخرة بما فيها من
 ذهب ومجوهرات ماسية وتم الطلاق وكان يوم تسلمى لورقة الطلاق
 يوما أسعد عندى من يوم زواجى وفوجئت يومها بشترى المصفرة الذابلة
 تنتعش فجأة وتسترد نضارتها وحمرتها القديمة فى نفس اليوم والله
 العظيم كأنما مستها عصا ساحر .. وعدت إلى عملى القديم فى نفس
 الشركة واحتفل بى زميلانى وزملائى ، وبعد أيام من عودتى للعمل
 أردن أن يدعونى للغداء فى نفس الفندق الذى شهد لقاءاتى القديمة
 ووداعى الأخير لزميلى السابق وذهبنا إلى هناك وما أن دخلته حتى
 استعدت كل ذكرياتى فى المكان .. وقد كان دائما مكانه المفضل الذى
 يمضى فيه أوقات فراغه .. وظللت طوال الغداء أعايش صورته وانتهى
 الغداء وبدأت أشرب الشاى فسمعت إحدى زميلاتى تتساءل : أليس
 هذا هو فلانا ؟ فرفعت رأسى فإذا به واقف قريبا منا ينظر تجاهنا فما أن
 رأيته حتى مسنى تيار من الكهرباء فانتفضت واقفة وهولت إليه وهول
 هو حتى تصافحنا ضاحكين بلا سبب واقترب معى إلى مائدة الزميلات
 وهو يقول لى مبروك الزواج يامدام فقلت له بلا وعى : بارك لى على
 الطلاق ! فانفجرت الزميلات ضاحكات وضحكنا كلنا فى سعادة .
 ومرت الأيام بعدها سريعة سعيدة وإذا بى اكتشف انه لم يتزوج

فعلا كما قال وكنت أظنها وقتها مجاملة رومانسية رقيقة منه وإذا به مازال هو نفسه الحبيب الذى أحبنى ومازال . ويريدنى وتقدم يخطبنى فلم يستطع أبواى الاعتراض هذه المرة ولم اسمح لأحد بأن يتحدث عن شقة قريبة أو شقة بعيدة أو شقة تملك أو سيارة .. إلخ .. وتمسكت بالأأ تزوج إلا فى شقته البعيدة التى لم تكن تعجب أهلى وارتدت أن نتزوج بلا احتفال فأصر على أن نحتفل بزفافنا فى نفس الفندق الذى شهد قصتنا بكل فصولها .. ولأول مرة فى حياتى أعرف فرحة الزفاف الحقيقية ودموع الفرح الصادقة ، وانتقلنا إلى عشنا البعيد وعرفت معنى الحياة الزوجية الصحيحة كما ارادها الله سبحانه وتعالى سكنا ومودة ورحمة ورغم بعد شقتى عن مسكن أهلى فلقد قصرت - بقدرة قادر المسافات بيننا واصبحوا يزوروننى كثيرا ويحبون زيارتى لأنهم يجدوننى فى كل مرة سعيدة ازقزق كالعصافير ويحدون فى بيتى الراحة والإنسان الطيب الكريم الذى يحبهم ويحسن استقبالهم ولم تمض على زواجى أسابيع حتى حملت من زوجى الحبيب وتعجبت بلطف الله الذى أكرمنى بالأأ أحمل فى زواجى الأول لكيلا يزداد عذابى وأجبت طفلا جميلا وبعده بسنة ونصف السنة أنجبت طفلة آية فى الجمال ورغم نجاح زوجى فى تجارته الخاصة فقد عاد إلى عمله السابق ورحبت به الشركة لتكون فى مكان واحد نذهب إليه معا ونعود معا وأيامنا تضى بحمد الله سعيدة ونرى طفلينا على طاعة الله وحب أبويهما واحترامهما وما أردت برواية قصتى هذه إلا أن أتوسل لكل أب وأم عن طريقك ان يتركوا لبناتهم وأولادهم حرية الاختيار ماداموا قد وصلوا للسن التى تسمح

لهم بحسن الاختيار وهي في رأيي بعد العشرين لأنها سن النضج النفسى والعقلى واناشدهم ألا يجبروهم على الزواج بمن لا يرضونه ولا يحبونه لكيلا يندموا كما ندمت ولكيلا يدفعوا مادفعت من ثمن لأن حكاية الحب الذى يأتى بعد الزواج وبالعشرة هذه كذب وافتراء وهراء !

ووعد منى وعهد لك يا سيدى ألا أفعل مع ابنتى ما فعله أبواى معى وسوف اترك لها حرية الاختيار مع الاكتفاء بابداء النصيح والارشاد فقط لأن الفتاة الناضجة إذا اختارت شريك حياتها بملء ارادتها وبغير ضغوط نفسية عليها من أهلها فإنه مهما حدث منه ومهما حدث بينهما من مشاكل فسوف تقبله وسوف يقبلها وسوف يتمسكان ببعضهما لأن الحب الناضج يذيب المشاكل كما يذوب الجليد فما أن تطلع شمس نهار جديد على المشاكل حتى يذوب جليد الأمس ويتحول إلى ماء عذب بالحب والتفاهم والقبول بين الطرفين ولك منى ومن زوجى وحبيب عمرى أرق امنياتى والسلام .

ولكاتب هذه الرسالة أقول : لو استطاع الإنسان ان يستعيد حياته ويشكلها من جديد لأعفى نفسه من تجارب الألم والفشل والتعاسة.. التى اكنوى بها ولاستبدل بها تجارب السعادة والتوفيق والنجاح لكن من يستطيع أن يفعل ذلك ونحن لا نتعلم الحكمة إلا بالثمن الغالى من أيامنا وشقائنا وتجاربنا الأليمة ؟ أو من يستطيع ذلك والشاعر الإنجليزى شيلي يقول : « علمتنا الأحزان نظم القصيد فقدمنا للناس فى أنغام الشعر ما تلقيناه من ضربات الألم والشقاء ! » على أن السعادة

الحقيقية والحب الصادق يمكن أن يعلم الإنسان أيضا نظم القصيد كما تؤكد رسالتك هذه فأنت تنسجين ما يشبه الشعر في وصفك لمشاعرك بعد أن جمع الله بينك وبين من أخطأت الطريق إليه من البداية .. وبعض الناس ياسيدتى ينطبق عليهم تصور الشاعر الأغريقى ارستوفانس من ان البشر كانوا فى البدء واحدا صحيحا ثم قسمته آلهة الأغريق نصفين فراح كل نصف منهما يمضى عمره باحثا عن نصفه الآخر الملائم حتى إذا التقى به عادا واحدا صحيحا متكاملا من جديد ونحن حين نلتقى بهذا النصف المقسوم كما التقيت به أنت بعد تجربتك الأليمة تغرد العصافير التى كانت خرساء فى تجاربنا التعسة .. ولا يهم اعشنا فى شقة تمليك أم فى شقة مؤجرة فاخره أم بسيطة .. قريبة أم بعيدة لأن معانى الأشياء تختلف حينئذ ويصبح للعشرة البسيطة بل حتى مجرد الوجود الصامت فى رحاب من نحب وبحبنا متعته العميقة المؤثرة .

وحالك خير دليل على ذلك فلقد تفتحت انسجتك التى كانت مسدودة مع من أحببت فانجبت واستشعرت السعادة فى الشقة البعيدة التى قد لا تقارن بالشقة الفاخرة السابقة لأننا لا نسعد بالمكان ولا بالمنقولات وإنما بالبشر الذين يعيشون فيه وعليها معنا . وفى الحب الحقيقى الذى يستمتع فيه القلب والعقل والروح يصبح « خشب جرير » أفضل من « تنقيح الفرزدق » فقد كان الشاعر العربى الفرزدق ينقح الشعر أى يراجع ويغير ويبدل فيه ، وكان منافسه وخصمه جرير « ينخشب » أى يرسل الشعر ارسالا وبلا مراجعة ولا تنقيح ومع ذلك فلقد كان النقاد يفضلون خشب جرير الأكثر موهبة على تنقيح

الفرزدق ، وهكذا حالنا مع من نحب ويحبنا وتتألف معه روحنا ..
ولهذا أيضا فقد ظلمت نفسك حين قبلت الزواج الأول وظلمت
زوجك السابق أيضا وظلمك له قد يكون اشد لأن من تقبل الارتباط
بمن لا تتوافر لديها أدنى درجات القبول النفسى والعاطفى له إنما تظلمه
قبل أن تظلم نفسها لأن « تنقيحه » مهما بلغ لن يعجبها ولن يسعدها
وسوف يستشعر بعد قليل أو كثير فتورها وجفاف مشاعرها فتضطرب
علاقته بها .. وربما يدفعه ذلك إلى رغبة خفية فى الانتقام منها بغير ان
يدرك ذلك احيانا ولعل هذا هو سر الانقلاب الذى دهشت له بعد
شهور قليلة من الزواج فهو فى ظنى لم ينقلب وإنما صدم فى فتور
مشاعرك رغم اجتهادك فى حسن معاشرته بما أمرك به الله فلم يتصرف
تصرف الفرسان ويعرض عليك الانفصال .. ولم يصبر إلى ان يكسب
مشاعرك مع الزمن وإنما تسلطت عليه نزعاته فأذاك بوحشية لا تليق
بالرجال .

وعموما فان رسالتك مفيدة جدا فى فهم كثير من حقائق الحياة كما
أنها مفيدة أيضا لكل أب وأم يمارسان ضغطا غير إنسانى على أبنائهما
لارغامهم على قبول ما لا يحبون لأنفسهم ولا يرضون به رغم نضجهم
وحقهم المشروع فى الاختيار لأنفسهم ماداموا راشدين فشكرا لك
رسالتك وتمنيائى القلبية لك ولزوجك بكل شىء جميل فى الحياة .

طائر الأمّات

أقرأ في بريد الجمعة قصصاً فريدة من الحياة وأشعر منذ فترة بالرغبة في أن اضيف إليها قصتي . فلقد كنت منذ سنوات طالبا باحدى كليات الطب الاقليمية .. وبعد نجاحي في السنة الأولى رأيت في الكلية فتاة جديدة انتقلت إليها من كلية أخرى فأخذت يحبالها الهادئ وعذوبتها وهدوئها وحسن معاملتها للجميع وعرفت من زملائها أنها وحيدة أبويها وإنهما من رجال التعليم وكرسا حياتهما لها فربهاها على الثقة واحترام الآخرين وحب الناس وتعاملت معها كزميل فأعجبت بطيبة قلبها ورقة حديثها وافتراضها الخير في الجميع إلى أن يثبت العكس .. ووجدت نفسي بعد شهر مشغولا بل هائما بها اتصفح الوجوه بغير أن اجرؤ على مفاحتها بمشاعري . ومرت سنوات الدراسة وهي بالنسبة لى كالطيف الحالم يخطر في خيالي فيرطب من هجير الحياة ويحمل الدنيا ويخفف عني متاعها ورغم ارتياحها للحديث معي لم اتصور استطاعتي الارتباط بها .. فكتمت مشاعري في قلبي وواصلت طريق تاركا للأيام أن تقضى في أمرى .. وفي السنة الأخيرة من دراستي بالكلية علمت أنها قد عقد قرانها على مهندس شاب مستقر ماديا وأنها اجلت امتحانها الأخير ..

فطويت صدرى على احزاني وركزت جهدى فى دراستى ودخلت الامتحان واجتزته بنجاح وبدأت سنة التدريب فالتقيت بها فى الكلية .. من جديد وهنأتها بقلب كسير على القران .. ثم خطر لى فجأة أن أسألها هل كان من الممكن أن تقبل خطبة زميل من زملائها فى مثل سنها ومشواره مازال طويلا أم أنها كما اتصور تفضل ان ترتبط بشخص ناضج أكبر منها سنا ومستعد للزواج بغير انتظار ! .. وتمنيت من أعماق أن تجيبني بأنها لم تكن تقبل خطبة زميل فى مثل عمرها ومشواره طويل ربما لأجد لنفسى مبررا لاجسامى وترددى لكنها أجابتني ببساطة ولم لا ! .. وكل زملائنا مخطوبون لبعضهما البعض .. إذ ما العيب فى ان يبدأ الإنسان صغيرا ثم يكبر ! .. واحسست بالحسرة تلسعنى وداريت مشاعرى وتمنيت لها السعادة وانصرفت مرت الشهور واغرقت نفسى خلالها فى العمل لاتشغل عن طيفها الملائكى الذى يعايشنى فإذا بى أفاجأ بها فى المستشفى الجامعى الذى اتدرب به محولة من طبيب خارجى على أنها مصابة بالزائدة الدودية ، ولم استرح لهذا التشخيص لأن ما كانت تشكو منه من ألم كان يتكرر فى موعد ثابت كل شهر ، وتم اعدادها للجراحة .. وكانت المفاجأة عند اجرائها أنها ليست مصابة بالتهاب الزائدة وإنما بورم حوصلى بالمبيض هو الذى يسبب لها هذه الآلام المتكررة ، وكان لابد من استكشاف المبيض ثم استئصاله .. وخلال هذا الوقت كان بالمستشفى أبوها وخطيبها المهندس ووالدته وصارحهم الأطباء بحقيقة الحالة .

وكنت أراقب الموقف بقلق ولا يتصور أحد أنى على صلة بالمريضة

أو أنها زميلتي فسمعت الأم تحدث ابنها المهندس بعيدا عن والد الفتاة بأن فتاته لم تعد تصلح له لأنها تفقد القدرة على الانجاب وأن الأفضل أن يتخلى عن خطبتها وسوف تزوجه ابنة اختها ! واحسست بألم حاد في صدري وتمنيت رغم آلامى أن يتمسك الخطيب بفتاته حتى لا يطعنها هذه الطعنة القاتلة وهى فى ضعفها ، ثم طلب الأطباء دما لاجراء الجراحة فالتجھت الأنظار تلقائيا إلى خطيبها فإذا به يحجم عن التبرع لها بالدم .. وفهمت من ذلك أنه قد حزم أمره سريعا فوجدت نفسى بغير أن أشعر اتقدم لكى اتبرع لها بدمى وتم اجراء الجراحة واستئصال المبيض الأيمن بسلام وغادرت زميلتي غرفة العمليات إلى غرفتها بالمستشفى ولازمته فى الغرفة بعد الجراحة ليل نهار واشرفت على راحتها وتنفيذ تعليمات طبيبها ورعايتها وأحس أبواها بالاطمئنان تجاهى لذلك أما خطيبها وأمه فقد إنصرفا فى صمت ومضت أيام وبدأت زميلتي تسترد عافيتها ونضارتها شيئا فشيئا فبدأت أشجعها على معاودة الدراسة لكى تؤدى إمتحان السنة الأخيرة واستجابت لتشجيعى بحماس وبدأت المذاكرة وهى مازالت فى المستشفى وسعد أبواها بذلك كثيرا وأحبانى من قلبها .. وجاء موعد خروجها فاصر الأبوان على أن أصحبهم إلى البيت وقبلت الدعوة شاكرا وقت بزيارة بيت زميلتي عدة مرات بعدها ثم انقطعت ومرت ثلاثة شهور وجاء موعد امتحانها فسمعت من زميلاتها أن خطيبها المهندس قد فسخ ارتباطه بها بعد أسابيع من الجراحة وأنه قد عمل بنصيحة أمه وتزوج من ابنة خالته لكى تنجب له وريثا يرث اطيان أمه .. كما سمعت من زملائها أن أبويها يذكرا نى بالخير ويحفظان

لى وقوفى إلى جانبها خلال الجراحة وبعدها . فوجدت اللحظة مناسبة لتحقيق حلم حياتى وتقدمت لأبيها أطلب يد ابنته فرحب بى مبدئياً واستمهلنى بعض الوقت لكى يستشيرها وأبلغت أسرتى برغبى وقامت الأسرتان بالتعارف ثم ابلىغنى الأب بموافقة فتاتى بل وبسعادتها بتقدمى لها فخطبتها وأنا أحس أننى قد استعدت طريقى الصحيح فى الحياة وتقدمت فتاتى للامتحان ونجحت فيه . وبدأت سنة التدريب وبدأت أنا المرحلة الأولى من الماجستير.. وزادنى قرينى منها معرفة بروحها الجميلة وأخلاقتها الملائكية ولم ادهش كثيراً لخلوها من المراءة تجاه أحد حتى تجاه من تخلوا عنها وجرحوا كرامتها بلا ذنب جتته فقلها فيما يبدو لم يخلق للحقد على أحد .. وبعد انتهاء فتاتى من سنة التدريب واجتيازى الجزء الأول من الماجستير تزوجنا واستقر طائرى الجميل فى عش الأحلام وبدأ يغرد انغام الحب والسعادة .

والآن يا صديقى - الذى لا أعرفه - اكتب لك هذه الرسالة بعد ٣ سنوات من زواجنا .. وبالقرب منى يلهو توءم جميلان جمال أمهما وغاية فى الشقاوة والعفرتة وإلى جانبى تجلس زوجتى تقرأ احدى المجلات بعين وترقب طفلينا بالعين الأخرى لتبلى مطالبهما وتفصل بينهما فى الوقت المناسب .

وقد اثرت أن تتفرغ لرعايتهما بعد حصولها على دبلوم النساء والتوليد والحياة تمضى ياسيدى وقد علمت بكل أسف أن الخطيب القديم المهندس يعالج من العقم عند طبيب زميل لى وانه لم ينجب ولم يرزق باطفال بعد ٦ سنوات من الزواج وان الأمل فى شفائه ضعيف جدا

وسبحان الذى لاراد لقضائه ومن يعطى الفضل لمن يشاء .
.. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

ولكاتب هذه الرسالة أقول : تتوالى أمام ناظرينا التجارب والدروس لكن قليلا مانعتبر ! هذا هو الاحساس الذى خرجت به من قراءة لرسائلتك الجميلة هذه .. وبعد كل ماقرأناه وسمعناه ولسناه من تجارب تؤكد كلها أن على الإنسان ان يطلب سعادته المشروعة .. لكن بشرط ألا يظلم فى سعيه إليها أحدا .. وبشرط ألا ينسى دائما أن هناك اراده عليا تحكم هذا الكون وتوزع الأقدار فلا يبالغ أحد كثيرا فى اتخاذ الاحتياطات ضد الزمن .. أو فى الاعتماد على الحسابات المجردة وحدها لأن الله فى النهاية يمنح من يشاء ويقدر .. ويحرم من يشاء وهو على كل شىء قدير .

لهذا فعلينا دائما أن نهيب أنفسنا حتى فى سعينا المحموم وراء اهدافنا لقبول ماتأتى به المقادير راضين ..

ويبدو ان الخطيب السابق قد نسى هذه الحقيقة الأزلية بغرور الإنسان واعتقاده بأن من حقه أن يحصل لنفسه دائما على أفضل الأشياء وفى اعتقاده على الحساب وحده غافلا عن أهم عنصر فى الوجود وهو عنصر « الارادة الالهية » فيشاء ربك الا أن يذكر من ينسى .. ليهتف الغافل .. ربنا قد نسينا واخطأنا .: فكيف كان عقاب !

نعم يا صديقي كيف كان عقاب .. وهيهات ان ننجو منه ان نتجاوزنا

الحدود . أما أنت فلقد طلبت سعادتك وداويت الجراح واعتمدت على حسن اختيار الله لك ولم تتوقف طويلاً أمام منطلق الحساب وحده وإنما طمعت في رحمته وعدله وحسن جزائه لمن يسلمون الأمر إليه .. فأني ألا أن يهبك السعادة والأمان وراحة القلب !

لقد أوشكت أن ألومك على سلبيتك في النصف الأول من القصة وعلى احجامك وترددك واستشعارك لعدم جدارتك بأن تنال ما تصبو إليه إذ ما هكذا ينال الإنسان جوائز الحياة وإنما ينالها بسعيه الإيجابي لتحقيق أهدافه بالطرق المشروعة وبالكفاح وبالارادة التي تعرف حدودها وتسلم للخالق بارادته العليا فوق كل الارادات ، لقد كدت أفعل لكنني تذكرت ان الله سبحانه وتعالى قد هيا لك ما عجزت انت عن إيجاد السبل له .. فرأيت ان لاوجه للوم الآن بعد ان نسجت الأقدار هذه القصة الجميلة .. وجمعت بينك وبين طائر الحب والسعادة .. فلم يبق إلا الشكر .. والا ان تحصن سعادتك بخدمة الحياة ومواساة جراح الآخرين وتجنب ظلم الإنسان أو قهره وهو شر البلايا .. وسر التعاسة البشرية في هذا الكون .. فاهناً يا صديق بسعادتك وطائرک وافراحتك السعيدة ولتحل الدنيا لكل من يضيف إليها .. ولكل من يشارك السماء في اسعاد الآخرين ويسهم في تخفيف عذاباتها وعنائها عليهم وتسمو نفسه عن الأحقاد والشرور ... وشكراً !

القلعة الحصينة

أنا ياسيدى فتاة فى السادسة والعشرين من عمرى انهيت دراسى بكلية الطب واستعد الآن لدراساتى العليا للحصول على الماجستير ثم الدكتوراه ان شاء الله ولقد كانت دراسى ومازالت هى اهتمامى الأول لكنه ليس الوحيد فأنا حريصة أيضا على الاهتمام بمظهرى وقد وهبى الله جالا لا تحطئه العين كما وهبى القدرة على حب الناس حتى من لا أشعر بأنهم يبادلوننى نفس الاحساس ، فكنت دائما ملجأ لزميلائى فى أوقات ضيقهن فانصحن بما أراه صوابا ، أما بالنسبة لزملائى فقد تقرب كثيرون منهم محاولين استمالتى لكنى لم أجد فى نفسى أى ميل للاستجابة لهذه المحاولات المهذبة فكانت طريقي هى الصد بمودة لاتقطع علاقات الزمالة لكن بحزم أيضا يمنع الزميل من تكرار المحاولة بغير مرارة فى النفوس أو أى احساس بالاهانة ، وكذلك نفس الحال مع من يتقدمون إلى عن طريق الأهل والأصدقاء ، ولم أكن أسأل نفسى لماذا لا أميل لهذا أو لذلك فقد كان قلبى موصدا كباب قلعة حصينة وكان هذا دائما مثار قلق أبى وأمى ومثار دهشة صديقائى وأختى الصغرى خاصة أنه لم يكن لدى وجهة نظر قوية أبرر بها رفضى المتكرر

لمن يتقدمون لى أو ادافع بها عن موقفى .

ومن خمسة شهور لاحظت أن موتور سيارتى ليس على مايرام فطفت بها على عدة ورش ميكانيكا السيارات ، لكن خلل الموتور ظل كما هو فنصحتنى إحدى صديقاتى بالذهاب إلى ميكانيكى تعرفه مدحت فى كفاءته وحسن معاملته فأخذت سيارتى وذهبت إليه وشرحت له ملاحظائى عليها فطلب أن اتركها له وأعود لاتسلمها بعد ساعتين وعدت إليه فوجدته ينتظرنى وشرح لى العيب وكيف انه بسيط لهذا لم يتبه إليه زملاؤه ثم رفض أن يتقاضى مليا مؤكدا أنه لم يفعل مايستحق عنه اجرا .

فغادرته شاكرة .. لكنى لاحظت إنى طوال طريق العودة وأنا أفكر فيه ! . نعم أفكر فيه هو هذا الميكانيكى الشاب وليس فى أحد من اساتذتى بالكلية ولا أحد من زملائى أو أقاربى .. لماذا تتعجب ؟ .. وأنت بلا شك تعرف هذه الأمور جيدا وتعرض عليك قصص اعجب منها ؟ المهم وجدت نفسى منجذبة إليه بطريقة لم أعهدا فى نفسى من قبل فذهبت إليه بعد أسبوع بحجة الاطمئنان على حالة السيارة ووجدت عينى تتعلقان بوجهه الطيب السمع وعينه الطفوليتين فتبادلت معه بعض العبارات عن السيارة ثم تركته وأنا عازمة على ألا أعود إليه مرة أخرى حتى اجنب نفسى عناء التعلق به ثم البعد عنه . لكنه بعد يومين ابغنى شقيق صديقتى ان الميكانيكى الشاب قد عثر على قطعة غيار لسيارتى سوف تحل مشكلتها نهائيا فذهبت إليه بالسيارة وأنا واثقة من أنه يريد أن يرانى كما أريد أنا أراه .. ووصلت إلى محله

فوجدته مهنداً أنيقاً وعلى شفثيه ابتسامة حائرة ، وأبلغني باننا سنذهب معا إلى محل صديق له لاحتضار قطعة الغيار وركب إلى جوارى فأحسست بانه يريد أن يقول شيئاً ولايجرؤ عليه . وذهبنا إلى محل الصديق واشترينا القطعة وعدنا لتركيبها وانصرفت وأنا أعرف في داخلي انى سأعود إليه مرة أخرى ، وعدت بالفعل وتكرر ذهابى إليه بحجة اصلاح السيارة وفى كل مرة أراه فيها اكتشف جانباً جميلاً فى شخصيته لم أكن اتصور ان اجده فى شخص يعمل حرفياً منذ صباه ووجدت مشاعرى كلها معه خلال خمسة شهور فقط أما هو فقد تعلق بى بصورة حيرتني وكلمة لمح حيرتى قال لى انه وجد فى ملاهى أو شخصيتى شيئاً يذكره بجنان أمه التى فقدوها صغيراً وكلمة بدأنا نتحدث فى الزواج واحس من كلماتى ان رد فعل أبوى سيكون معارضا إلى حد اعتبار زواجنا ضرباً من المستحيل تناسب الدموع من عينيه فى صمت . والآن أجد نفسى ياسيدى عاجزة تماماً عن التفكير وعن التركيز فى دراستى وعن ممارسة حياتى الاجتماعية التى اعتدتها وكل مايشغلنى وافكر فيه هو كيف ساواجه أبى وأمى .. وماذا سيكون موقفها .

وهما كأتى أب وأم يتمنيان الحياة المستقرة لابنائهما .. والمشكلة هى أنى لا أضمن لنفسى هذا الاستقرار إلا مع من اختاره قلبى فكيف أقول لهما كل ذلك وأقوله لكل من ينكر ان القلوب والمشاعر لاتعترف بالشهادات ومن اختاره قلبى فى النهاية ليس امياً ولا جاهلاً بل هو مثقف ثقافة لايعرفها كثيرون من الجامعيين ويناقش ادق الموضوعات مع من يفهمونها جيداً وله رأى صريح فى معظم الموضوعات التى

تناولها الصحف ، كما أنه مستقر ماديا ويستطيع أن يتحمل مسئولية كاملة إذا وافق عليه أهلى .

وأنا الآن ياسيدى انتظر ردك على رسالتى كالمتهم البرىء الذى ينتظر إما حكم البراءة أو حكما قاسيا ، ولن أحاول التأثير على مشاعرك لكن فقط أود أن اذكرك ان ردك سيحدد مصيرى ومصير حبيبى لأنى عاهدت نفسى أن التزم به مهما كان مؤلما لى وكحل أخير للخروج من حيرتى التى شلت كل شىء فى حياتى .

ولكاتبه هذه الرسالة أقول : كل قلعة حصينة يا آنستى لها فارسها الذى يدك بابها فى الوقت المناسب فيفتح أمامه على مصراعيه وهذا ماحدث معك لكنك تواجهين اختيارا صعبا .. وتضعينى أنا أيضا فى اختيار أصعب ، ورأيت فى مشكلتك أنى أو من بان السعادة شىء نادر وثمين يستحق المعاناة للحصول عليه والكفاح الضارى للوصول إلى شاطئه لكن تجارب الحياة علمتنا ان الإنسان لايتزوج من فتاته وحدها وإنما من اسرتها معها ومن وسطها العائلى والاجتماعى وان كل إنسان هو ابن بيته مهما حاول ان يتملص من تأثيراتها عليه والحياة الزوجية ليست علاقة رومانسية عاطفية فقط وإنما شبكة متداخلة من العلاقات الاجتماعية والإنسانية أيضا ويندر ان يصمد الحب على المدى الطويل لمساكل اختلاف الطباع والعادات الاجتماعية والقيم السائدة بين بيئتين متفاوتتين بشدة اجتماعيا وثقافيا وان كان هذا لايمنع صموده فى بعض الحالات القليلة لأن لكل قاعدة استثناء كما تعرفين . وانجح الزيجات بصفة عامة هى الزيجات التى تتوافق فيها احكام القلب مع أحكام

العقل .. ويتوافر فيها التكافؤ بين الزوجين من كل الوجوه ، وفي عوامل التكافؤ فاني لا اتوقف طويلا أمام التكافؤ المادى لأنه اضعفها تأثيرا على الحب ، لكنى اتوقف دائما عند التكافؤ الاجتماعى والثقافى بين الطرفين لأنه فعلا بؤرة الاختبارات التى تمتحن الحب وتعمج عودة ، وفي حالتك فإن التكافؤ المادى متوافر ، والتكافؤ الثقافى قد يمكن تجاوزه بصعوبة لأن المعرفة والثقافة متاحة للجميع من مصادر عديدة وهى ليست رهينة بالشهادات العلمية والجامعية وحدها وإنما باستيعاب الإنسان لحقائق العصر واهتمامه بمتابعة مايجرى حوله . يبقى إذن العامل الهام وهو التكافؤ الاجتماعى بين الأسرتين وبين القيم السائدة فى البيئتين وهو كما قلت أصعبها وأكثرها تأثيرا على استمرار الزواج ونجاحه أو فشله وانهمزام الحب ، لأنه امتيحان يومية للتوافق .. أو الاختلاف حول أمور الحياة اليومية .. وبسط سلبياته هو شعور الاستعلاء والتميز الاجتماعى الذى يمكن ان يحمله طرف تجاه طرف آخر فينعكس لدى الطرف الأخير فى الاحساس بالنقص الذى يفتح الباب لكثير من المشاكل وغير ذلك كثير منه فثلا ان مايعتبر أمرا عاديا فى وسط معين قد يعتبر عيبا فى وسط آخر ... إلخ واختلاف العادات والقيم سبب أساسى من أسباب انعدام التوافق وفشل الحياة الزوجية وحقائق هذا العامل بالذات ليست كاملة أمامى وأنت تعرفينها أكثر منى لذلك فاني اترك لك الحكم عليه .. فإذا توصلت بعد تفكير هادئ إلى أن الوضع الاجتماعى لكما شديد التناقض بما يمكن ان يهدد استقرار الحياة الزوجية فى المستقبل فمن واجبك ان تعترفى بذلك وان تتخذى قرارك على أساسه أما إذا

توصلت إلى أنه ليس متفاوتا بهذه الحدة ، فاستجمعي ارادتك وشجاعتك وواجهي أبويك برغبتك في الارتباط به وتحمل العاصفة حتى تمر.. واحرصي على ان تحصني سعادتك بموافقة الأهل على زواجك وتأييدهم أو على الأقل قبولهم له . والأهل قد يرفضون مالا يرونه محققا لسعادة ابنائهم بحساباتهم هم لكنهم إذا استشعروا صدق رغبة الأبناء فيما يريدون لأنفسهم واستقر في يقينهم أنهم لن يسعدوا إلا به وسيشقون بغيره .. فإنهم يسلمون برغبة الأبناء في النهاية لأنهم لم يستهدفوا أصلا إلا ماتصوروه محققا لسعادتهم وهم مها فعلوا لا يملكون لابنائهم الراشدين سوى النصيحة والتحذير .

لهذا فالأمر كله بين يديك .. فإن اقتنعت اقتناعا كاملا لا يداخله الشك بأنه يستحق الكفاح مع أبويك لاقتناعها فهيا إلى الكفاح بلا تردد .

أما إذا داخلك الشك ولو للحظة في جدارته بالعناء وتحمل تبعاته فلا تتردد أيضا في أن تضعي السطر الأخير في هذه القصة كلها وفورا لأن جرح الحب في بدايته سريع الالتئام .. أما إذا تعمق واتسع وأصبح غائرا فانه يحتاج إلى علاج طويل طويل قبل أن يبرأ القلب منه ويسترد نضارته .. فاخترى لنفسك يا آنستي لأنك أنت من ستتحملين تبعه الاختيار وليس أحدا غيرك . وشكرا .

الوجه الحزين

أريد أن أروى لك قصتي مع الحياة وإن استشيرك في أمري واجهني منذ سنوات . كنت شابا في السابعة عشرة من عمري طالبا بالثانوية العامة أقيم مع أبي وأمي في إحدى المدن الساحلية ، وكانت أمي سيدة طيبة مستكينة لأقدارها تخدم أبي خدمة العبد للسيد رغم مرضها الطويل بالقلب حتى كانت تسمح له حذاءه كل يوم فلا تلقى منه إلا القسوة وسوء المعاملة والسخط بلا سبب .. مع أنني كنت دائما طالبا متفوقا في دراستي وجاء ترتيبى الرابع على محافظتي في الاعدادية .. وكنت انجح بتفوق في كل سنوات دراستي ولا أثيرة مشاكل له وكانت أمي تهون على الأمر دائما بأن المهم هو أن أكمل دراستي واتخرج وبعدها سوف تنتهى كل المتاعب ، فكنت اذا كر دائما وأرضى بأقل القليل الذى يعطيه لى أبى لكيلا أثير سخطه أو اتعرض لغضبه .

وطوال دراستي كانت أمي على علاقة طيبة بأسرة من الجيران . لديها فتاة في مثل سنى وفى نفس مرحلة الدراسة ، فنشأ بينى وبين هذه الفتاة شعور صامت لم يعبر عن نفسه بأكثر من النظرات وتبادل الاحترام .. خاصة من جانبها لتقديرها لتفوقى فى الدراسة .

لكن مرض أمى الطويل قد شق على أبى فيما يبدو ففوجئنا به ذات يوم يبلغنا ببساطة بأنه قد تزوج .. وانه سوف يحضر زوجته الجديدة قريبا لتعيش معنا لأنه لم يستطع حتى الآن الحصول على شقة أخرى . فصعقنا ولم نستطع أن نتكلم أما أمى فكانت حالتها يرثى لها .. وبعد أسابيع من هذا الخبر السيئ عاودت أمى نوبة المرض واشتدت عليها ذات يوم فرأيت فيها منحرفا إلى الناحية اليسرى من وجهها وهى لاتشعر .. فانزعجت ونزلت مهرولا أطلب الأسعاف وقت بنقلها إلى المستشفى وتم حجزها فيه وتحسنت صحتها قليلا بعد عشرين يوما وبدأنا نستعد لخروجها فإذا بها تتكس مرة أخرى ويتم نقلها إلى العناية المركزة .. حيث امضت عدة أيام انتقلت بعدها إلى جوار ربها لتجد عنده السكينة والعدل اللذين لم تجدهما فى جوار أبى .

وكنا حين رحلت أمى فى بداية العام الدراسى .. فوجدت نفسى عاجزا عن الاستذكار وأصبحت أضيق بالشقة وأرغب فى الخروج والمشي ساعات طويلة فى برد الشتاء على شاطئ البحر ، وبعد أسابيع من رحيل أمى عدت من إحدى جولاتي هذه فوجدت فى الشقة التى نقيم فيها سيدة غريبة تضع الأحمر بشكل فاقع على وجهها فخمنت أنها زوجة أبى الجديدة فحييتها باقتضاب واتجهت إلى غرفتى ، وبعدها بقليل جاء أبى وأبلغنى بكلمات قارصة .. أن على أن أبحث عن غرفة أقيم فيها لأن الشقة صغيرة من غرفتين ولا تتسع لنا معا قائلا أنه سوف يعطينى إيجارها مع أننى ابنه الوحيد والشقة يمكن أن تسعنا حتى انتهى من دراستى على الأقل فتوقف الكلام فى فمى ولم أجد ما أقوله وانصرف

هو فحاولت أن استذكر وفتحت كتابا وبدأت اقرأ دروسى فإذا بوجه أمى الحزين يطل على منه ، ويقول لى بصوت كأنه مسموع ويتردد فى أذنى اصبر كما صبرت ولن يخزيك الله أبدا ، فبكيت حتى جفت دموعى ثم نهضت وحاولت أن أنام بلا فائدة .

ومرت أيام ونفذ آخر ما كان معى من نقود .. فلم أجرو على طلب نقود من أبى ولم يفكر هو فى أن يعطينى شيئا منها .. فأصبحت اذهب إلى المدرسة واجئى وليس فى جيبى ملهم واحد ولا أجد ثمن الساندويتش فى الفسحة وأظل اتلوى من الجوع طوال النهار وكلما عدت إلى البيت استقبلتنى زوجة أبى الجديدة بالوجوم والتقطيب .. واستقبلنى أبى بالسؤال : ماذا فعلت ؟ ، فأظنه يسألنى عن دراستى وأحدثه عنها فينبهنى إلى أنه يسألنى عن موضوع الغرفة فأقول انى مازلت أبحث ، فيثور على ويتمنى بعدم الجدية مع أبى لم أقصر فى ذلك والله شهيد وتكرر السؤال وتكررت الاجابة حتى ثار على ذات يوم وسبنى أمام زوجته وأعطانى مهلة أسبوعا واحدا .. ولم يفكر فى أن يعطينى قروشاً استعين بها على ركوب المواصلات للبحث عن الغرفة فضاعفت من ساعات التجول فى الشوارع إلى درجة أننى لم أعد أجد وقتاً للمذاكرة ومع ذلك فلم أجد الغرفة وعدت ذات مرة إلى البيت واتجهت إلى غرفتى صامتا كعادتى ووجدت زوجة أبى تقول لى أن الغرفة لم تعد لى وأنها قد وضعت فيها صالونها وفكت السرير الذى أنام عليه ، وأن ملابسى وأشياءى فى حقيبة بجوار باب الشقة فتسمرت فى مكانى .. ونظرت إلى أبى استنجد به فإذا به يؤيدها ويقول لى أننى « شحط » واستطيع أن

أدبر أموري ، كيف ؟ وليس لنا أقارب في هذه المدينة وأسرة أمي من الريف وأسرة أبي من الوجه القبلي .. وأين أذهب ، وحاولت معه أن يعطيني مهلة أخرى ، فانفجر في وعلا صوته حتى جاء الجيران وأخذوني من يدي وهم يتعجبون من حال أبي وعرض على أكثر من واحد منهم أن أبيت في بيته حتى أجد لي مأوى ، فشكرتهم وحملت حقيقتي وتوجهت إلى بيت أحد زملائي في المدرسة ورويت له حكايتي وطلبت منه أن يستأذن أباه في أن أبيت عنده الليلة حتى أجد لي مأوى ورحب بي أبوه بعد أن سمع قصتي ودعاني للإقامة مع ابنه إلى أن أجد لي سكنا فشكرته وأمضيت الليل وأنا كالمحموم وجاء الصباح فحملت حقيقتي معي إلى المدرسة ثم خرجت بعدها أبحث عن عمل وعن سكن ، ولم يتخل عني الله فعلا كما بشرني وجه أمي الحزين ، في أن عرضت نفسي على أول صاحب مخبز وجدته في طريق حتى قبلني بشرط أن أعمل من السادسة صباحا حتى الرابعة وبأجر ١٥٠ قرشا في اليوم ، ولم اتردد في القبول لأنني كنت في حاجة إلى أن اكسب طعامي رغم تعارض موعد العمل مع موعد المدرسة ، وبدأت العمل وحقيقتي إلى جوارى وبعد انتهائه أخرج إلى شاطئ البحر وأجلس على أي مقعد وأحاول الاستدكار إلى أن يأتي الليل فأبحث عن أي مكان أنام فيه فتمت ليالي في محطة القطار ونمت ليالي في مدخل عمارة متدثرا بنصف بطنية مهلهلة تكرم أبي بتركها لي مع ملاسي في الحقيبة ، إلى أن رآني ذات يوم أحد صبيان الفرن فأبلغ صاحبه ، وذهبت في اليوم التالي فسألني صاحب الفرن عن عنواني ولماذا أبيت في الشارع رغم أني « افندي » .. ونحشني

أن أكون لصاً أو هارباً من شيء فرويت له حكايتي بالكامل وأخرجت له بطاقة المدرسة والبطاقة الشخصية .. ، فصدقني على الفور .. وتألم لحالي وقرر زيادة أجرى إلى جنين وفي نهاية اليوم اصططحبني معه إلى بيته وقابلت زوجته فوجدتها ويا سبحان الله صورة من أمي في طيبتها وحنانها وجاءت بطعام وتناولنا العشاء معا ، ثم اصططحبني الرجل إلى سطوح بيته وأدخلني غرفة بها بعض الكراكيب وأبلغني أنها ستكون غرفتي بعد تنظيفها ، وشكرته بحرارة وتركني وانصرف وامضيت الليل تحت سقف يحميني من البرد لأول مرة منذ حوالى شهرين وفي الصباح أبلغني الرجل الشهم انه غير مواعيد عملي إلى فترة الليل لأستطيع الذهاب إلى المدرسة . وذهبت إلى المدرسة لأستطلع موقعي فأبلغني اساتذتي انني قد فصلت لتجاوزي فترة الغياب ، لكنهم تدبروا الأمر معي - إدارة المدرسة - وقرروا السماح لي بالحضور بصفة شخصية حرصا على مستقبل على أن اتقدم للامتحان من الخارج مراعاة لظروفي ولثقتهم في تفوقي . وبدأت اتردد على المدرسة . ونظفت الغرفة ورتبت حياتي بها ، وأصبحت السيدة الطيبة ترسل لي كل حين طعامي رغم محاولاتي المتكررة معها ألا تفعل ، حتى وجدت نفسي بعد قليل وبدون أن أشعر اعتبرها أمي واعتبر زوجها أبي الحقيقي وأتعجب من صنع الله الذي وضع الرحمة بي في قلبيهما في حين خلا قلب أبي الذي ولدت من صلبه منها .. بل وتعجبت كيف ينأى بحياته بدون أن يساوره أى قلق على ابنه الوحيد وبدون أن يعرف هل أجد طعامي أم لا .. وهل وجدت مأوى أم أبيت في الشوارع ؟

واقترب الامتحان فاعفاني الرجل - وبدون ان أطلب منه - من العمل قبله بثلاثة أسابيع وأصبح يصعد إلى السطوح في المساء ليطمئن على مذاكرتي ويحضر معي أحيانا العشاء ليتناوله معي ، وأقسمت لنفسي ألا أخذل هذا الرجل أبدا فواصلت الليل بالنهار في الاستعداد ودخلت الامتحان وأكرمني الله بالنجاح فيه بمجموع معقول جدا بالنسبة لظروفي فكانت فرحة السيدة الطيبة وفرحة هذا الأب الحقيقي بذلك فوق الوصف حتى أنني فرحت لفرحتها باكثر مما فرحت لنجاحي . وقرر الرجل أن يعطيني مكافأة النجاح ، فإذا بها عقد إيجار لهذه الغرفة لكي اطمئن إلى أنها أصبحت سكني الدائم فاقسمت ألا اتسلم العقد إلا إذا قبلت يده ويد زوجته التي لم أر طيبتها إلا في أمي الراحلة وتمسكت بذلك ووافقا مرغمين والتحقت باحدى الكليات العملية ، ونظمت وقتي بينها وبين الخبز ، وبعد عامين من الدراسة اجتذبتني زميل إلى مهنة النقاشة التي يعمل بها فعملت معه وكسبت بعض النقود ، وفي الكلية التقيت بجارقي القديمة فتجددت مشاعر الود والاحترام بيننا وعرفت أنها التحقت بكلية أخرى قريبة فأصبحنا نلتقي من حين إلى آخر في كليتي أو كليتها وكانت تعرف ظروفي فتطوعت لتصوير المحاضرات التي لا أحضرها وأصبحت اعتمد عليها في ذلك وفي كل شيء خاص بالكلية ، وبعد شهور فاتحتها بجي فاعترفت لي بأنها تحبني منذ طفولتنا المشتركة وتعاهدنا على ألا نفرق ، ووصلت إلى السنة النهائية وأنا مازلت أعمل بالفن والنقاشة وبأعمال النجارة والديكور وادخر ما يزيد على مصروفي في دفتر توفير البريد ، احتياطا للزمن بعد أن

لا طمت الحياة وحدى وتخرجت بتقدير جيد من كليتي وأسفت لأول مرة على ذلك لأنى كنت أحلم بأن اتخرج بامتياز لأعمل معيدا بالكلية لكن فرحة أبى الحقيقى وأمى بنجاحى اذهلتنى وانستنى هذه المشاعر أما فرحة فتاتى به فكانت بلسما لجراح وأحزان الماضى والتحقت بأحد مكاتب الديكور والنقاشة مع زميلى الذى قادنى إلى هذا الطريق وأصبح لى أجر ثابت إلى جانب ما أكسبه من تنفيذ العمليات ، وتخرجت فتاتى وعملت مدرسة فى مدرسة قريبة من بيتها وجاء الوقت المناسب .. ففتحت أبى الحقيقى فى رغبتى فى الزواج وشرحت له قصتى مع فتاتى ، فسألنى باهتمام عنها وأسرتها ثم بارك رغبتى وطلب منى أن اذهب إلى البيت لا بلاغ زوجته كذلك فذهبت وطلبت إذنهما فى التقدم لخطبة فتاتى ، وزرت بيت خطيبتى والتقيت بأبيها وبأُمها فرحبا بى وتذكرا أمى بالخير وترحما عليها ، ، لكن أباهما طلب منى بعد قليل طلبا غريبا هو أن أبلغ أبى بنيتى فى الزواج من ابنته لأنه مها كان - كما قال - أبى وتعجبت لذلك وتجمعت فى رأسى الذكريات السوداء كلها دفعة واحدة ، فارتجفت متأثرا وأنا أقول له أن أبى هو الحاج فلان وقد استأذنته قبل أن أجيء إليك فإذا أردته أن يأتى معى إليك فسوف احضره إليك .. أما الآخر فلا يعرفنى ولا أعرفه منذ أن رمى بى فى الشارع وتركنى أبيت فى مداخل العمارات فإذا كنت تعتبره أبا لى فقد يكون كذلك بشهادة الميلاد أما أبى بالحب والرعاية والمسئولية عنى فهو فلان فهدا الرجل من روعى وقال لى أنه لا يطلب منى استئذانه ولا احضاره بل ولا يشترط موافقته لكنه يطلب منى فقط إبلاغه لكيلا

يقول أحد بأننا أخطأنا في حقّه وتجاهلناه ، فرفضت .. وأصر هو ، وجعل من ذلك شرطا لاتمام الخطبة فهل ترانى اخطأت حين فعلت ذلك ؟ وهل تؤيد والد فتانى في ضرورة أن أذهب إلى من رمانى في الطريق لأستأذنه في زواجى وأنال مباركته كما يفعل الأبناء مع الآباء الصالحين ؟ لقد قرأت لك ذات مرة تعليقا تقول فيه في حالة مشابهة ان فى الأب قبسا من روح الله يشد إليه الأبناء دائما .. فأين هذا القبس فى أبى اننى لا أجده يشدنى إليه .. ولا أستطيع أن أواجهه وفى قلبى كل هذه المرارة تجاهه فماذا أفعل ؟

ولكاتب هذه الرسالة أقول : والله يا صديقى إني لو تركت نفسى لانفعالاتى خلال قراءتى لرسالتك لنصحتك بالألا تستجيب لمطلب والد فتاتك بل ولرجوتك ان تتمسك برفضك الذهاب إلى هذا الأب الصورى لا بلاغه بأمر زواجك . فمثله حقا لا يستحق هذه المكرمة منك .. بل ولا يستحق أن تسعده الحياة بأن تتيح له أن يراك أمامه شابا جامعا ناجحا معتمدا على نفسه ويتأهب للزواج .. وبإله من أمل يشقى الآباء الحقيقيون – بالعرق وبالدموع – لكى يشهدوا لحظته ليتوجوا رحلة حياتهم وقد لا يأسون كثيرا على الدنيا أن غادروها راضين بعده .

لكن ماذا أقول لك ونحن لانستطيع بكل أسف أن ندع إنفعالاتنا وحدها تتحكم فىنا ، كما تتحكم الأهواء فىمن فقدوا السيطرة على أنفسهم ؟ لا نستطيع ذلك لأننا لا نتعامل مع الآخرين بأخلاقهم وقيمهم هم .. وإنما بأخلاقنا نحن وبما تفرضه علينا قيمنا الدينية

والخلفية .. ونحن حين نفعل ذلك لانطلب رضا من ظلمونا ولم يرفقوا بنا .. وإنما نطلب رضا من هو أهم وأعلى شأنًا منهم ومن الجميع .. أى رضا خالفنا كما نطلب راحة ضمائرنا وقلوبنا وخلو ساحتنا من المعايب والنقائص سواء أفهم الآخرون ذلك أم لم يفهموه وبهذا المنطق أقول لك كارها : غالب نفسك على ماتكره يا صديقي واذهب إلى هذا الذى تحمل اسمه فى بطاقتك الشخصية .. وأبلغه بأمر زواجك اداء للواجب الإنسانى وبراء لذمتك أمام الله والآخرين ، ثم اجعل بعد ذلك من أهلك الحقيقى الذى استحق بنوتك بما قدمه لك من عطف وفضل ورعاية وكيلك الذى تقدمه لأسرة فتاتك والذى يتحدث معها نيابة عنك فى تفاصيل الزواج والذى يضع يده فى يد صهره يوم عقد القران حتى لو قرر الآخر أن يحضر قرانك طلبا لسعادة لا يستحقها ومباهاة بشجرة مثمرة لم يروها بعرقه .

ويكفيه هذا المشهد القاسى عقابا له على ما جنت يده على ابنه الوحيد .. وليتظرن بعد ذلك - ولن يطول انتظاره - عقاب السماء الذى أعده الله للظالمين .

أما أنت فلا لوم عليك ولا تثريب ان لم تجد فى قلبك عاطفة تجاهه ولا حبا لأن أدائك لواجبك الإنسانى تجاه هذا الأب - بل والاستجابة أيضا لأى عون قد يطلبه منك فى المستقبل هو قسمك فيما تملك يدك .. أما قلبك فهو ما لا تملك وما لا تستطيع إرغامه على حب من أهملك وقسا عليك بوحشية لا تأتىها الضواري مع صغارها .. إلا أن يشاء خالق القلوب غير ذلك .. وهو العليم بما خلق .

رحلة القطار

اكتب إليك لالتمس عندك السلوى فيما أعانيه ويضيق به صدرى
فأنا رجل فى الأربعين من عمرى .. توفى أبى منذ عشرين سنة تاركا لى
أسرة مكونة من أم وثلاث شقيقات وشقيق واحد كان عمره حين رحل
أبى عن الدنيا ٦ سنوات ، أما أنا فقد كان عمرى وقتها عشرين عاما
فقط وقد انهيت دراستى الثانوية وبدأت اتطلع إلى الالتحاق بالجامعة
فجاءت وفاة أبى فحطمت أحلامى فى ان أعيش حياة طالب الجامعة
التي طالما تمنيتها وترك أبى وراءه محلا صغيرا لبيع قطع غيار السيارات
ينى بمتطلبات الأسرة بصعوبة وبعد أيام الغزاء اجتمعت الأسرة الخائفة
من المستقبل تبحث أمورها .. فاتجهت الأنظار إلى تلقائيا وأحسست
بوطأة المسئولية وأعلنت وقلبي يتمزق انى سأخلف أبى فى محله لكى تجدد
الأسرة ما يقيم أودها وقوبل إعلاى بارتياح عميق من كل أفراد الأسرة
لعله غاظنى أكثر مما سرفى وألقيت بكتبى وأحلامى وراء ظهرى
واستقبلت مسئوليتى بقلب واجم وخائف من المستقبل ، وفتحت المحل
فجاء زملاء أبى من التجار يشدون أزرى .. ويحيون رجولتى ويعرضون
على خدماتهم وكنت فى حاجة إليها فعلا فى أيامى الأولى فى التجارة ..

ثم شيئا فشيئا عرفت أسرار العمل وثبتت أقدامى فيه ، وانتظم مورد الأسرة لكن العبء كان ثقيلا فلقد كانت شقيقاتى وشقيقى جميعا فى مراحل التعليم المختلفة وكانت الكبرى منهن فى الثانوية العامة ، وكان المحل مدينا ببعض الديون فعشنا فترة كثيبة من الضيق والشدة .. واجهتها بصبر لكن استقر فى أعماقى امتعاض دائم من ظروفى التى حكمت على بأن التحمل المسئولية وأنا فى العشرين من عمرى بدلا من أن أعيش سنوات شبابه طليقا وغيرى يتحمل مسئوليتى ومضت الأيام وبدأت أشعر أننى محور حياة الأسرة وأن أمى وشقيقاتى يبالغن فى العناية بى وبجاملتى ورغم ذلك فقد أصبح صدرى ضيقا مع كثرة النفقات وصعوبة المسئولية وأصبحت عصبيا تندفع منى أحيانا الكلمات الجارحة رغما عنى لأخوتى وأحيانا لأمى . فلا يقابلن ذلك إلا بالدموع الصامتة ، ومع ذلك فقد مضت أيامنا وحصلت الكبرى على الثانوية العامة والتحقّت بالجامعة وتخرجت وجاءها من يخطبها فقامت بواجبى معها فى حدود امكانياتى . ثم لحقت بها الأخت التالية لها وتخرجت وتزوجت وتخففت من بعض أعبائى فقررت أن أتزوج وتزوجت من ابنة مدير بالمعاش من جيران الأسرة انضمت إلى شقتنا الواسعة فى أحياء القاهرة القديمة .

وطوال هذه السنوات الصعبة كنت انتطلع إلى شقيقى الأصغر واتعجل السنوات لكى ينهى تعليمه ويشاركنى فى حمل مسئولية الأسرة ، ومن سن العاشرة بدأت افرض عليه أن يقف فى المحل لعدة ساعات كل يوم ، وكان كأى صبى يضيق بذلك ويحاول أحيانا أن

يتملص منه ، فلا أسمح له بالفكاك وانهره بعنف فيستسلم باكيا .. ثم استقر الخوف منى في أعماقه فأصبح لايحتمل إشارة منى لكى ينفذ ما أمره به .. وبررت ذلك لنفسى بأنى أريده أن يتحمل المسئولية لمصلحته لكننى رغم ذلك كنت أحيانا أرق له وأراه غلاما محروما من الحنان لكننى لم أظهر له هذا العطف ابدا ومع تقدمه فى الدراسة كانت ساعات عمله فى المحل تزيد ، حتى جاء وقت لم يكن لدى عمال فيه فكان هو المساعد الوحيد فى المحل ، الذى يفتحه فى الصباح ويبقى فيه حتى الليل فى أيام الاجازات ، لذلك لم يكن متفوقا فى دراسته لكنه كان ينجح لأن ظروفنا لايتحمل ان يتأخر سنة واحدة .. إلى أن جاءت الثانوية العامة ورسب فدعوت الأسرة وعقدت له جلسة تأديب انهلت عليه فيها باللوم والتقريع .. ثم أعمانى الشيطان فى لحظة حمق فانهلت عليه صفعا أمام شقيقاته .. فلم يزد عن أن حمى وجهه بذراعيه وأحنى رأسه وهو يصيح من بين بكائه حانجح السنة الجاية ياخويا .. الدكان خد منى وقت ياخويا ، وافقت فجأة من غيى فعدت إلى مقعدى لاهثا وشقيقتى واجبات يحسنن دموعهن خوفا من انفجارى فيهن وانسحب هو إلى غرفة أمى وبعد أن خلوت لنفسى .. اكتأبت لما بدر منى وارتقت ليلتها فلم يغمض لى جفن وذهبت إلى المحل فى اليوم التالى عليلا .. وكان المعتاد أن يحضر إلى المحل فى فترة الظهر فيجلس مكانى-لكى استريح وقت الغداء .. وتوقعت ألا يحضر وان يخاصمنى لعدة أيام .. ووطنت نفسى على أن أصالحه واسترضيه خاصة أنه لم تفلت منه كلمة سيئة ضدى فى قمة اهانتى له وعدوانى عليه وبلغت الساعة الثالثة فطلبت من

الصبي أن يغلق الحبل لمدة ساعتين وتبدأ للانصراف فإذا بي الملح شقيق قادمًا منكسرًا ، يحيني وهو خافض الرأس ويعتذر عن تأخره بأنه ذهب إلى المستوصف يطلب علاجًا لأن عنده ألمًا في جنبه ، فكادت الدفعة تظفر من عيني وقاومتها بصعوبة وقلت له ولماذا المستوصف .. سأذهب بك إلى أكبر طبيب في المساء ، واذهب الآن واسترح فأصر على أن يجلس في الحبل بدلا مني ، فتركته وعدت للبيت وفي المساء اصططحته للطبيب فاعطاه علاجًا وطمأننا عن حالته ، وعندما بدأت الدراسة حاولت أن أعفيه من فترة الظهر لكي يتفرغ للمذاكرة لكنه رفض باصرار فكنت اراه يسهر الليل يذاكر ويقف في الحبل نهارا وصحته تذبذب من آثار قلة النوم ، وظهرت النتيجة فكان من الناجحين ولكن بمجموع ضعيف لا يؤهله للالتحاق بالجامعة فالتحق بمعهد فوق المتوسط وأصبح يجد وقتًا أكبر لمساعدتي ، وخلال هذه الفترة تطورت علاقتي به تطورا جديدا .. فقد كنت أعطيه مصروفا شهريا عشرة جنيهات ينظم حياته بها ، فجاء ابن الحلال الذي همس في أذني أن أخاك يصاحب شلة فاسدة من شباب المعهد وانهم يدخنون السجائر ويصادقون الفتيات ، فلعب الفأر في عبي أن يكون الشيطان قد أغواه فبدأ يد يده إلى نقود الحبل في فترة غيابي ... وواجهته بذلك فبكى وما كان أسرع بكائه .. وقال لي كلمة ظلت توجعني طويلا هي : انني ابن فلان مثلك وقد كان رجلا طيبا عارفا بالله فكيف أكون خائنا ؟ ولمن ؟ لأخي الذي رباني وفي مال أسرقني التي تعيش منه أمي وأختي التي مازالت في الجامعة فأنهت الموضوع لكنني بدأت أراقبه خفية فلا أجد

عليه ما يريب فهو يصلى الفروض فى أوقاتها .. ولا يدخن .. وهو المهوم دائما بأمر أخوته البنات والذي يقضى حوائجهن ويرعى أولاد المتزوجتين فيهدأ خاطرى قليلا .. ثم تعود الوسواس تطاردنى من جديد فأسىء معاملته فيتحمل ويصبر إلى أن أعود إلى حالتى الطبيعية وهكذا مضى الحال إلى انتهت دراسته فى المعهد وحصل على الشهادة وأدى فترة تجنيده .

وخلال هذه الفترة كانت تجارنى قد نجحت واستقرت وتخلصت من كل المتاعب فأعدت تأثيث شقتنا الواسعة واشترت سيارة . وبدأت اطمئن للمستقبل وأجنى ثمرة كفاحى . وفى هذه الفترة أيضا اشترت المحل المجاور لى وضممته إلى محلى وانفقت على عمل ديكور جديد له وأصبح لدى عاملان يتقاضيان أجرا كبيرا وعاد شقيقى يساعدى فى انتظار التعيين ، وفكرت بينى وبين نفسى فى أن أفرغه للمحل ، وهو من دمي وله نصيب شرعى فى المحل ، وصارحته بذلك فقال لى انه يعتبرنى أبى والأب لا يختار لابنه، إلا ما فى صالحه فان أردته فى المحل فهو معى وان أردته فى الوظيفة فسينفذ رغبى وسيكون إلى جوارى دائما بعد الوظيفة ، واتفقنا على أن يعمل فى المحل فترة الانتظار وان يختار بعد ذلك ، وبدأ العمل بهمة ، وكان للحق شعلة من النشاط والذكاء ومحبوبا من كل من يتعامل معه أو يعرفه ، فهو خدوم وشهم وكريم فى حدود ماتملكه يده وهو قليل ، فقد كنت أعطيه نصف مرتب العامل وكان راضيا بذلك لأنه صاحب مال كما يقولون وأصبحت أتعتمد عليه فى أعمال كثيرة .. وفجأة عاودنى الوسواس القديم ، وكان

سببه هذه المرة هو نفس السبب القديم شلة الأصدقاء الذين أراهم فاسدين ويراهم هو عاديين ، وكانوا زملاءه منذ الطفولة حتى المعهد وكنت لا ارتاح لهم وأشك في سلوكهم وأخشى عليه من صحبتهم . فنصحته بالابتعاد عنهم ورويت له عنهم ما لايسر ، فكان رده أنني لا أستطيع أن اتحكم في سلوك غيري ، وأننى أَرْضَى الله وهذا يكفي وهؤلاء أصدقائى منذ الصغر ، ولم أقنع . وبدأت الوسائس تلح على من جديد وذات يوم رأيت معه ساعة جيدة ، فسألته عن مصدرها فأخبرنى أن شقيقته الكبرى المتزوجة أهدتها له ، فلم أصدقها وسألت أختى فأكدت ذلك وقالت إنها اشترتها له بالتقسيط من مرتبها حين لاحظت أنه لا يحمل ساعة ولايجرؤ على طلبها منى ، فلم يسترح عقلى لذلك وشككت فى أنها تدافع عنه لعطفها عليه .

وكانت أختى الثالثة قد تخرجت وخطبت ونستعد لجهازها وزواجها فكان صدرى ضيقا فانفجرت فيه بشكوكى مرة أخرى وخيرته بين الانقطاع عن هذه الشلة وبين المحل ، وانصرف صامتا وللأسف ان هذه المكاشفة قد تمت فى المحل وأمام العمال والزبائن فعرفوا أنى أشك فى أمانة أختى وسلوكه .. ولامنى كثيرون من الزبائن والتجار من جيرانى .. فزادنى ذلك عنادا وعدت للبيت فى المساء فلم أجده .. وعرفت أنه سيقضى الليل عند خالته فزادنى ذلك غضبا وصممت على ألا يعود للعمل إلا إذا قاطع كل أصدقائه وانتظرت أن يعود بعد أيام خافض الرأس منكسرا كما تعودت منه لكنه لم يعد فتنازلت عن كبريائى قليلا وسألت عنه فكانت المفاجأة أنه سافر إلى الإسكندرية لبحث عن

عمل وأنه اقترض نقود السفر من خالته . وأحسست بألم في قلبي لكني تظاهرت بالاستهانة وقلت بصوت عال : في داهيه ! وتمنيت أن يفشل سعيه وان يعود منهزما ويقبل شروطى لكنه لم يعد ياسيدى ، ومضى شهران قبل أن يأتى في زيارة لأمه وشقيقاته اللاتي كن يتحرقن شوقا إليه وعدت إلى البيت في الظهر وكان جالسا مع زوجتي وأمي وشقيقتي ومن حوله سعيدات به فنهض مرتبكا حين رأي ليحييني .. فركبني الشيطان فجأة واشحت برجهي بعيدا عنه ودخلت إلى غرفتي .. وجاءت ورأى زوجتي .. تلومني فصرخت في وجهها ، أما هو فقد جلس لمدة دقائق ثم استأذن وانصرف ، ومن زوجتي عرفت أنه يعمل عند مستورد لقطع الغيار تعامل أنا معه منذ سنوات وأنه يقيم في غرفة في حي شعبي وأن هذا المستورد أحبه ويثق في امانته ويرسله إلى الجمرك لتخليص بعض أعماله .

ولعب الفأر في عبي وخشيت ان صحت الوسواس ، أن يضعني في حرج معه فاتصلت به وسألته عنه فقال لي أنه ولد سكره ووجهه فيه القبول وكلما أرسله في مهمة يسرها الله على يديه وأنه يشكرني على التنازل له عنه ! وأحسست بالفخر وبالغيرة معا ، ومع ذلك فقد حرصت بمنطق بعض التجار ألا لعنة الله عليه على أن أؤكد له أنني غير مسئول عن أى تصرفات له ، فقاطعتني رافضا الاستماع وانتهت المكالمة . واستمر الحال هكذا .. وقد أصبح يأتى إلى القاهرة مرة كل شهر فواصلت تجاهله ... مع حرصى على أن أعرف اخباره من زوجتي وسعت أُمى كثيرا لكي تصلح بيني وبينه ، فتمسكت أن ينفذ كل

شروطى وأن يتعد عن شلته الذين يحرص على زيارتهم كلما جاء مز
الإسكندرية والذين يزورونه هناك كما سمعت .

ومضى عامان ثم ابلغتني أمى أنه ارتبط بفتاة بائعة فى محل المستورد
وأنه يريد خطبتها ويطلب منى الاذن فسألت عن التفاصيل وتأكدت
من أنه نسب غير ملائم وأن مستوى أسرتها الاجتماعى منخفض جدا ،
فقلت لأمى أنه يريد أن يجلب لى عارا جديدا .

كما فعل حين عمل عند أحد من اتعامل معهم وبامكانه أن يتزوج
من أسرة أفضل منها فهو فى النهاية ابن ناس طيبين ورفضت الموافقة
باصرار .

وبعد أيام جاءنى منه خطاب يطلب فيه أن أصفح عنه ويقول لى
أنه لايعرف له أبا غبرى ، ويطلب منى حضورى حفل خطبته فلم أرد
عليه ، وجاء بعدها بأسبوعين وزارنى فى المحل فلم أحسن استقباله ومع
ذلك فقد جلس وروى لى وهو خجلان قصة إرتباطه بهذه الفتاة
وطلب « تشريفى » حفل خطبته .. فهززت رأسى أن لا فسكت قليلا
ثم طلب بصوت خافت أن اسمح لأمى وشقيقاته بالحضور نيابة عنى
لكيلا يبدو أمام أسرة خطيبته بلا أهل .. فهززت رأسى مرة أخرى ،
فسكت قليلا ثم قال كتر خريك ، وألقى السلام وانصرف ، وبكت أمى
طويلا فلم استجب لها وأعلنت رفضى لذهاب شقيقاتى .. فبكين
وأشفقن عليه من أن يكون وحيدا فى يوم خطبته فلم اتراجع وقد سلط
على ذهنى أنه يعاندنى ويريد أن يجلب لى العار ولا شىء غير ذلك ..
مع أنه شاب ومن حقه أن يحب ويتزوج .. لكن هكذا صور لى العناد

فهددت من تذهب من أخوفى وأمى إلى الإسكندرية بمقاطعتها
 فرضخن - ساخطات ، وطاف هو عليهن يرجوهن ألا يزعلن لأنه
 يعذرهن ولا يريد لهن المشاكل معى .. وودعنه جميعا كما عرفت
 بالقبلات والدموع حتى زوجتى بكت وصرخت فى وجهى بأنى ظالم
 وأنه لولا أنها لاتريد أن تزيد من ألامى لما قبلت السكوت على هذا
 الظلم ولذهبت إلى خطبته وهو الشاب المؤدب الذى لم تر منه منذ
 زواجها بى إلا كل خير وفى وسط كل ذلك قررت خالى وكانت تحب
 شقيقى حبا خالصا وتشفق عليه ان تذهب هى وزوجها وأولادها إلى
 الإسكندرية لتخطب له هذه الفتاة نيابة عن أمى وليضرب فلان الذى
 هو أنا رأسه فى الحائط لأن الله لا يرضى بالظلم .. ولأنى كما قالت سامحها
 الله ظلمته صغيرا وكبيرا ولا أريد أن أرجع عن ظلمى وذهبت فعلا
 وعادت تروى لأمى كيف استقبلها بالدموع وتقبل يديها لأنه لم يكن
 يتوقع حضورها وكيف احتضن زوج خالته وقبل رأسه معربا عن
 شكره .. وكيف استقبل بنات وأولاد خالته بفرحة جنونية ، وان أسرة
 فتاته أسرة طيبة رغم فقرها وأنهم يحبونه ويحترمونه ، وكيف أنها عاشت
 أسعد أيام حياتها فى هذا الفرح البسيط ، وأنها زغردت من قلبها
 وأصدقائه الذين سافروا إليه من القاهرة .. وأصدقائه الجدد من
 الإسكندرية وهو يكسب الأصدقاء سريعا ، يزفونه بالسيارات حول
 ضريح أبو العباس المرسى وهو يضحك سعيدا والدموع لاتفارق
 عينيه ، وان التاجر الذى يعمل عنده هو الذى رتب له الزفة وأعطاه
 نقوطا كبيرا مكافأة له على نشاطه وأمانته وسمعت كل ذلك وأحسست

بالندم يلسعنى على موقفى منه لكنى نظاهرت بتجاهل الموضوع وعرفت من زوجنى أنه سيقم مع أسرة خطيبته بعد الزواج إلى أن يجد شقة ، ومضت أسابيع وبدأت أثار الخطبة وحرمان الأسرة من الاشتراك فيها تخف تدريجيا وعاد هو يزور أمه وشقيقاته ويحكى لهن عن خطيبته وعمله وحياته هناك .. وكان من بين ما رواه لهن أن آلام جنبه قد عاودته بسبب ساعات العمل الطويلة فذهب إلى المستشفى الأميرى فى الإسكندرية وعالجه الأطباء وشفى والحمد لله .

ومضى عام آخر والموقف بيننا لم يتغير فهو يحينى حين يدخل فأرد تحيته باقتضاب .. فإذا غلبنى حنينى إليه وأردته أن يحكى لى عن نفسه .. أو يطلب منى الرجوع .. أو السماح كما كان يفعل ، فإنه يحكى لدقائق لاتشيع .. حنينى وشوقى له ثم يصمت .. كأنه لا يجد ما يقول وينسحب بعد قليل ، وجاء مرة فى زيارته المعتادة فلاحظت عليه الارهاق فسألته عما به فروى لى أنه أحس بالتعب فذهب إلى المستشفى الأميرى وأنهم أجروا له فحوصا عديدة أتعبته أكثر .. لكنه تحسن الآن والحمد لله .. فأنخلع قلبى .. وأمسكته من يده وذهبت به إلى طبيب كبير فطلب أشعات وتحاليل فحاول الاعتذار لأنه مضطر للسفر فاقسمت عليه بالطلاق ألا يسافر إلا بعد إجراء الفحوص والتحاليل وعدنا للطبيب فوصف له العلاج وطلب منه الراحة ورجعنا إلى البيت فطلبت منه ألا يعود للإسكندرية نهائيا وإن يستريح فى البيت وأعلنت له أنى سأنفق على علاجه كل ما املك .. وسأدعو خطيبته وأسرته لزيارته هنا ، فابتسم فى ضعف وقال لى أنه لابد أن يعود وأن يعمل

لأنه مدين لصاحب العمل بجزء من قيمة الشبكة ولبعض اصدقائه هناك يبيع المال لأنه اشترى دواء وأجرى فحوصا كلفته الكثير .. فطلبت منه أن يبقى وسأسدد ديونه مهما كانت وأنه ليس في حاجة للعمل وهو مريض .. والححت عليه في ذلك وأردت أن أحلف عليه مرة أخرى فسد في يده .. ثم أمسك يدي وقبلها وشكرني بحارة راجيا أن أكرمه بتركه يسافر لأن حياته أصبحت هناك .. وسوف يواظب على العلاج فوافقت مرغما وأوصلته للقطار ، وأعطيته نقودا رفض أن يأخذها والححت عليه وذكرته بأن له حقا في المحل الذي تركه أبوه وهذا جزء منه فقال لى وهو يتسم متعبا : لقد أخذت حقى وزيادة بلقمتى وطعمامى فى سنوات التعليم .. فإذا كان لى عندك حق فاعطه لأمى ولشقيقائى . ثم تحرك القطار وصورته وهو يتسم فى ضعف لاتفارقنى وعدت إلى البيت مهموما ، ولم أتم الليل ، وفى الصباح كان أول ما فعلت حين ذهبت إلى المحل هو أن اتصلت تليفونيا بالتاجر الذى يعمل معه أخى لأطمئن منه عليه وأبلغه أنى سأسدد دينه عنده .. وأرجوه أن يرفض عودته للعمل ويعيده للقاهرة حتى تتحسن صحته .. فما أن عرفنى حتى قال لى واجما : كنت ساتصل بك الآن فورا .. انتظرنا نحن قادمون إليك بعد ٣ ساعات .. البقاء لله ! وصرخت من أعماقى وسقطت السماعة من يدى وجاء جيرانى مفزوعين .. وأركبوني سيارة أحدهم وأعادونى للبيت .. وبعد ساعات وصل الركب الحزين وبدأت رحلة الوداع وحولى أصدقاؤه واحباؤه الذين طالما كرهتهم وأسأت الظن بهم يولولون ويصرخون كالثكالى ويتدافعون لحمل

صاحبهم .. ووقفت في المساء في الغزاء منهاراً أصافح الأيدي ولا أدرى بها .. وجاء اصدقائه فما أن وضع أولهم يده في يدي حتى بكيت كالطفل فشجع ذلك أحدهم على أن يقول لى : لقد مضى كل شيء وراح لكنى أشهد الله أمامك ان شقيقك كان مثال الأمانة والشهامة والأخلاق وان يده لم تمتد إلى حرام .. ولم يرتكب معصية .. وإننا كنا أخوة في الخير لا في الشر وان أقصى ما فعلناه مما كنت تعييه علينا إننا كنا ندخن في مرحلة المعهد لكننا لم نعرف الخمر ولا المخدرات كما كنت تتصور .. وعاش أخوك ومات ولم يدخن سيجارة فقال : لكن ألسنة السوء لاتدع الناس في حالها .. فسألته فجأة هل كرهنى لما فعلت معه ؟ فقال : لم يدرك مرة بسوء حتى وأنت تقسو عليه .. وكان يقول لنا دائماً لاتظلموه فلقد حمل الهم صغيراً .. وهو أخى وأبى الذى لم أر غيره ، ويكفيه أنه ستر شقيقائى أما أنا فرجل وأستطيع أن اتحمل .

فاسترحت لذلك قليلاً ... لكن ما حدث بعد ذلك لم يكن ينبئ براحة ، فبعد رحيل أخى خيم الحزن على بيتنا واستقر فيه ، وبدأت أحس باكتئاب شديد افقدنى حماسى للعمل .. فاصبحت انهض أحياناً من النوم فلا أشعر بميل للذهاب للمحل ولا لمغادرة البيت ... وضاعف من حالتي .. أنى أحس باتهام صامت في عيون أمى وشقيقائى بأنى ظلمت أخى وقبرته .. مع أنى يعلم الله لم أرد سوى مصلحته حتى وان أسأت التصرف وقد استقر الفتور في علاقتى بأمى وشقيقى الكبرى التى كانت أكثر الشقيقات عطفاً على أخى الراحل بالذات . أما خالتي

التي تحدثني بالذهاب إلى خطيبته فقد حاولت مصالحتها بعد رحيله فانهاالت على بالانتهام والتجريح . وزادت من معاناتي . وسافرت إلى الإسكندرية وذهبت إلى التاجر الذي عمل معه أخى وشكرته وسددت له دينه فأبى بكل إصرار .. وقال إنها كانت هدية منه لشاب كريم وليست ديناً عليه .. وقد ساءت حالتي الآن حتى أصبحت لا أذهب للمحل إلا مرتين أو ثلاثاً في الأسبوع وإلى جانب ذلك فأنا أصحو كل ليلة من نومى عدة مرات وقد توقف تنفسى وقلبي ووصلت إلى مرحلة الاختناق .. وفي كل ليلة يجيئني أخى في المنام وأراه عابساً وهو الذى لم أره إلا مبتسماً في حياته حتى حين كان يغلبه الدمع ، ذهبت إلى الطبيب فأحالني إلى طبيب نفسى شخص حالتي بأنها ميول إكتئابية وأعطاني بعض الأدوية ، وأنا الآن أواظب على العلاج لكنى لا أنام جيداً .. وقد فقدت كل الأشياء قيمتها عندي فلم تعد عندي رغبة في النجاح ولا في الثراء وأسأل نفسى كل حين ما معنى كل ذلك وأنا لم أنجب أولاداً ولا بنات ولم يعد لى أخى ثم ماذا يعنى هذا المحل .. وهذه التجارة ولم تعد فى مسئوليتى سوى أمى وما هذه الجدران والرفوف التي تصورت فى حمقى أنها أهم من شقيقى الوحيد وأن على أن أحميها منه بابعاده عنها ومتى يتسم وجه أخى حين يزورنى فى الليل .

وأين راحة القلب والضمير .. أين ؟

ولكاتب هذه الرسالة أقول : راحة القلب من راحة الضمير
ياسيدى وأنت مؤرق الضمير باحساسك بالذنب تجاه شقيقك الراحل
الذى ظلمته كثيراً بوساوسك وخوفك المبالغ فيه على الجدران الصماء

التي عرفت الآن أنها لاتساوى قلامة ظفر والحق أنى أعجب كثيرا من حالنا نحن البشر حين نعمى أحيانا عن بعض الحقائق الأولية .. فلا ننتبه إليها إلا بعد رحيل الأعراء وغياب من لايعوضنا مال الدنيا عن غيابهم ، كما أعجب من حماقة المرء حين نخص بعض أعزائنا الذين يبدون أماننا مسالمين مستسلمين بإيذائنا .. فإذا فقدناهم عرفنا أننا قد خسرنا بفقدهم وإلى الأبد من كانت محفورة في أعماقهم محبتنا وهيتنا ، واكتشفنا حين لاينفع الندم أننا لن نلقى في الحياة بعدهم إلا من لايردعهم حب أو احترام عن رد إيذائنا إلينا إذا عاملناهم بنفس الطريقة .. فأى حماقة بشرية نرتكبها في حق أنفسنا وأعزائنا ؟ ولماذا نفتقد في بعض المواقف حكمة الأعرابية الأمية التي لا تقرأ ولا تكتب والتي أدركت هذه الحقيقة البسيطة منذ عشرات القرون حين وضعت أمام اختيار صعب بين الأهل .. فقالت في نهاية حديث طويل كلمتها الشهيرة « .. أما الأخ فلا يعوض » مشيرة إلى أن الإنسان لا يستطيع أن يستولد أبويه أخا جديدا مهما كانت حاجته لذلك ولا يستطيع أن يشتريه بمال قارون .. ولو ملكه .

ولقد عرفت ذلك كله الآن بعد أن ظلمت أخاك طويلا .. ويؤرقك احساسك بالذنب تجاهه .. وتتمنى لو تعرف أنه قد سأمك لكي يطمئن جانبك .. ولست أظن أمثاله - ممن يعبرون الحياة في رحلة قصيرة لايعرفون فيها سوى الآلام والأحزان .. ولا يأخذون من الدنيا خلاها شيئا قادرين على عدم الصفح عمن أذوهم .. وهم من يغفرون للحياة أصلا ما لا قوه فيها من ظلم ومعاناة . لكن لا تستكن إلى ذلك

يا سيدى وإنما أعن نفسك على التطهر من الذنب تجاه أخيك باعلان
براءته من كل الشكوك والهواجس عند كل من وصلت إليهم شكوكك
وهواجسك ، واقض دينه عنه لأصحابه وهو بعض ماله من دين فى
عنقك وقد كان كما عرفته كريما غنى النفس عزوفا عن التطلع إلى ما بين
يديك وهو المحروم منه وصاحب بعض الحق فيه .. ولعلك تعرف بعد
ذلك أن الانسان يستطيع أن يكرم العزيز الراحل باكرام صاحبه وأنت
قد عرفت الآن أن أصحابه لم يكونوا عند سوء ظنك .. فلا تشح
بوجهك عنهم بعد الآن وتقبلهم قبولا حسنا .. ثم احرص على أن تزور
أسرة خطيبة شقيقك التى تعاليت عليها فى الماضى وتعرف على من
اختارها قلبه واعتذر لها عن مجافاتك لها ثم صل بعلاقات المودة هذه
الأسرة المكافحة التى احتضنت أخاك حين لم يجد منك نصيرا فتشرفه فى
غيبته النهائية بعد أن فاتك هذا الواجب فى حياته .

يبقى بعد ذلك أن تتوجه بقلبك إلى الله طالبا العفو والمغفرة .. فإن
ظلمك لأخيك وطمع الدنيا الذى أعماك فى بعض الفترات عن إدراك انه
كان نعم الأخ لك ونعم الرفيق ، وتسخطك على أسرته ومنعك لها من
مشاركته الفرحة الوحيدة تقريبا فى حياته القصيرة الحافلة بالآلام .. كل
ذلك فى ظنى من الكبائر التى لا يمحوها إلا الاستغفار وصدق الندم
« وإن تستغفروه يغفر لكم » فادع الله كثيرا لنفسك بالمغفرة . وخير
الدعاء العمل الصالح الذى يقصد به الانسان وجه ربه فاحرص على
رحمك وعوض أهلك بعض ما تجرعه من آلام وأحزان وتصدق
كثيرا باسم أخيك .. وانشر الخير حولك وأينما توجهت .. يبتسم لك

وجه أخيك في رؤياك وتنج من عذاب الضمير وشبح الاكتئاب ..
وأهم من كل ذلك .. من عقاب السماء . الذي أعدّه الله
للظالمين .

جبال من جليد

أنا سيدة من أسرة طيبة بدأت حياتي العملية عقب تخرجي في الجامعة في وظيفة مرموقة وكنت منذ بداية رحلتي في العمل ناجحة ومتفوقة وأنيقة واجتماعية فأعجب بي شاب رآني في العمل وتقدم لأسرتي ليخطبني - ورأت أسرتي المحافظة أنه شاب ممتاز من أسرة محترمة وجامعي فرحبت به .. ووافقت أنا عليه وتمت الخطبة وبعد شهر تم الزواج وانتقلت إلى بيتي الجديد وكل مسامي مفتوحة لزوجي وحياتي الجديدة .. فلم تمض شهور حتى بدأت اكتشف فيه عيوباً عديدة أهمها انطوائيته وكراهيته للناس جميعاً وكراهيته لأن يزور أحداً أو أن يزورنا فضلاً عن أنه بلا أصدقاء ومكروه في عمله مما أدى إلى تأخره فيه بسبب عصبية الزائدة وسوء معاملته لزملائه ورؤسائه .

ولكن الأمل في المستقبل الأفضل لم ينقطع عندي فأقبلت على حياتي معه وحاولت التكيف مع طباعه لكنه لم يكتمل العام الأول على زواجي إلا ووجدت نفسي في عزلة تامة عن الناس واعانى من عنفه وعصبية ومن اعتدائه على بالضرب المبرح الذي يترك أثراً في جسدي تستمر بالأسابيع إلى جانب اهاناته لي بأفظع الألفاظ وفي هذه الظروف

العصية جاء وليدى الاول .. فكأنه قد جاء حكما على بالاستمرار وتحمل الإهانة والضرب وضاعف من ضغط أسرقى على لكى أتحمل وأواصل المشوار .. لأنه من العيب أن تطلق الفتاة فى أسرنا .. ولأن من واجبها أن تتحمل كل شىء من أجل أطفالها هكذا عشت أجمل سنوات العمر من حياتى .. فى حياة تعسة كثية .. تشهد كل أسابيع انفجارات مدوية أتعرض خلالها للضرب والإهانة فأغادر بيتى إلى بيت أسرقى .. لفترة تطول أو تقصر ويحاول فيها أبى أن يشجنى على الاحتمال ثم أعود إلى بيت زوجى راضية أو راغمة ومضت الحياة بعسرها حتى انجبت ٣ أولاد وتضاعفت المشكلة حين كبر الأولاد وأصبحت خلافاتنا تجرى أمامهم .. فيسمعون سباب أبيهم لأهمهم بأفزع الكلمات .. لكن الله عوضنى بهم فالتصقوا بى وأصبحوا أصدقائى ولا يخفون عنى شيئا من افكارهم وهواجسهم .. وشب الأبناء فوصل اثنان منهم إلى الجامعة واستعد الثالث لدخولها وتقدمت أنا فى عملى رغم تعاستى العائلية فوصلت إلى منصب المدير العام اصبحت رأس عددا كبيرا من الموظفين والموظفات ويشهد لى الجميع بالعدل والحزم والكفاءة فبدأ صبرى ينفذ ولولا ايمانى العميق بالله وحجى لبيته وحجى لأولادى لاستسلمت لنداء الانتحار .

وبعد أن بلغت السادسة والأربعين من العمر وأصبح ابنائى شبابا واعين لم أعد احتمل الإهانة فى بيتى وأنا المدير العام فى عملى فأثرت العزلة عن زوجى نهائيا ولم يعد هناك حديث بيننا إلا حديث الحياة اليومية من مأكلى ومشربى وانفاقى وانحصرت علاقائى فى أهلى وأقاربى

فقط ، أزورهم ولا يزوروننى بسبب وجود زوجى الدائم فى البيت .
ومشكلتى الآن ياسيدى هى أن قلبى يكن لزوجى كراهية تفوق
الوصف .. ومنذ أول سنة من زواجى منه بحيث أصبحت الآن لا
أطبق سماع صوته ولا رائحة انفاسه ولا طريقة تناوله للطعام ولا طريقة
ملبسه وأصبح كل شىء فيه ينفرنى منه ويزيدنى كراهة له ، ومن ناحية
أخرى فإن خوفى من الله عظيم ، وقد علمت من قراءاتى فى كتب الدين
أن من أحاديث الرسول الشريفة مامعناه أنه لا تدخل الجنة زوجة إلا
وزوجها راض عنها وإن الزوجة التى تبيت وزوجها غاضب عليها تلعنها
الملائكة حتى تصبح فأثار ذلك حزنى وخشيتى من أن اتعذب فى الدنيا
وفى الآخرة وأريد أن أسألك وأسأل رجال الدين معك ما هو حكم
الزوجة كارهة زوجها والتى تعيش معه تحت سقف واحد وتتحمل
معاشرته عن كراهية من أجل أولادها وبيتها والمجتمع .. وهل الزوج
الذى قال الرسول مامعناه أنه لو كان ليأمر أحدا بأن يسجد لغير الله لأمر
الزوجة بأن تسجد لزوجها هل هذا الزوج هو أى زوج مهما كان قاسيا
وعنيفا ويؤذى مشاعرها وجسمها بالضرب والإهانة ، أم أنه الزوج
الذى يجعل من الزواج مودة ورحمة وسكنا .

وهل إذا صبرت هذه الزوجة على معاشرته زوجها مع كراهيتها له ..
هل يكون لها أجرها على صبرها واحتملها من أجل ابنائها أم أن كراهيتها
له تضيع أجرها فتحسر دينها ودنياها ..

ارجو أن تخرجنى من حيرتى لأنى مهمومة جدا بهذه المسألة .. التى

اكتشفت أنها أيضا مشكلة عدد كبير جدا من الزوجات من صديقاتي ومن زميلاتي في العمل .

ولكتابة هذه الرسالة أقول : ياسيدتي الفاضلة .. كرهت زوجك منذ العام الأول لزوجك منه وربما من الأيام الأولى فلماذا واصلت الرحلة معه حتى جاء الابناء فحكمت عليه وعلى نفسك بهذا الجحيم المستمر منذ ٢٥ عاما ؟

إن الزواج عند العقلاء ارادة واختيار ولا مبرر عندهم للاقدام عليه ولا استمراره سوى الحب والرغبة المشروعة في السعادة والاستقرار .. أما بعد أن يحىء الأبناء فإن كثيرين منهم يضعون مصلحتهم فوق كل اعتبار ويتنازلون عن كثير من أحلامهم وحقوقهم من أجلهم ..

والابناء في رأيهم أشرف دوافع استمرار الزواج في غيبة الحب والمودة والرحمة وللزوجة والزوج أجر عظيم على تضحيتهما بسعادتهما الشخصية لهذا الدافع النبيل .

لكنه يضيع من هذا الأجر في تقديري ان ينطوى ايها على هذا القدر الهائل من الكره الذى تكنينه لزوجك لا لأنه لا يستحقه كزوج وإنما لأنه لا يستحقه بكل تأكيد كأب لأولادك مها جرى بينكما من أحن ومشاجرات قد لا تخلو منها حياة .

إن كل مشاجرة ياسيدتي تحتاج إلى شخصين لكى تقع لا إلى شخص واحد فقط ، وليس من المنطقى ان يكون طرف واحد فقط هو المخطئ فى كل الخلافات التى جرت على مدى ٢٥ عاما بلا استثناء وبالتالي فلا بد أن لك نصيبا من المسئولية عن هذه الخلافات

والمشاجرات وأغلب ظنى أن استشعار زوجك للاحساس المؤلم بأنك
لاتحبيته منذ الشهور الأولى لزواجكما قد أخرج من شخصيته أسوأ
ما فيها .. فتعاملت مع الجانب السيئ منها فى أغلب الأحيان .. ولو
غرس الله بعض الحب فى قلبك تجاهه منذ البداية لما تفاقمت الأمور إلى
هذا الحد المزرى .. ولما وصلت بعد هذه السنوات الطوال إلى أن
أصبحت لاترى فيه سوى العيوب والنقائص من رائحة انفسه إلى
طريقة ملبسه ، فليس هناك إنسان خال تماما من العيوب وليس هناك
أيضا إنسان عاطل تماما عن أى ميزة كأنما خلقه الله ليكون عبرة
للآخرين !

فلكل إنسان مهما كان بشعا مزاياه وعيوبه .. قد ترجح هذه تلك
وقد تتعادلان .. لكن لكل انسان فى النهاية جانب خير يمكن أن نتعامل
معه من خلاله والوجوه مرايا القلوب ياسيدتى فنظرة كارهة من الزوجة
لزوجها قد تفجر حمم براكينه فى حين أن نظرة حانية باخلاص له قد
تذيب جليده فيتحول إلى ينبوع من الماء العذب ولست أطلبك بالوقوع
فى غرامه .. لأنه لا يأمر القلوب سوى خالقها جل شأنه .. لكن أطلبك
فقط بأن تخففى من هذه المشاعر البغيضة التى تحملينها له وبأن تحاولى
نسيان جرائمه فى حقك ولو بمضى المدة وسقوط العقوبة مادمت قد
اخترت مواصلة الحياة معه إلى النهاية .. ولاشك أن نسيانك لما أصبح
الآن فى عداد الذكريات سوف يفتح بعض مسامك له فتعاملين معه
على الأقل بحياء فى المشاعر يخفف عنك جحيم معاشرته من لاتطيقين
رؤياه . ونحن نتعامل فى الحياة أو العمل أحيانا مع أشخاص قد لانحبهم

لكن طول المعاشرة يخلق بيننا نوعا من الألفة التى تسهل تقبلنا لهم فلماذا لاتعاملينه على هذا المستوى وهو فى النهاية شريك حياتك وأب أبنائك ؟

ولماذا لاتذكركين له انه رغم كل ماجرى لم يهدم أسرته ولم يشرد ابنائه وارتضى لنفسه ان يعيش تحت سقف واحد مع من لاترى فيه إلا كل شىء بغىض وهو لاشك عالم بذلك ومتألم له !

أما عن تساؤلاتك الدينية .. فلست من أهل الفتيا لكى اتصدى للافتاء فيها وسأحيلها إلى من يقدر على تحمل هذه الأمانة .. لكنى سأقول لك فقط ان الله لا يحاسبنا عما تنطوى عليه صدورنا تجاه الآخرين مالم تخرج من الصدور لتتحول إلى أفعال وتصرفات وقد يجزينا الله عنها حتى وهى داخل الصدور ان كانت مشاعر طيبة وإنسانية وان الزوجة التى تلعبها الملائكة حتى تصبح هى الزوجة التى يدعوها زوجها إليه فتأبى وأنت قد اعتزلت زوجك باعترافك .. فضعى نفسك حيث اخترت . وسأقول لك أيضا أن من واجب الزوج ان يحسن معاشرة زوجته وان يرعى ربه فيها ولو لم يحبها ومن واجب الزوجة ان تحسن معاشرة زوجها وأن ترعى ربه فيها ولو لم تحبه مادامت قد اختارت مشاركته الحياة إلى الأبد وقد أحل لها الطلاق إذا ارادت .

فراجعى نفسك ياسيدتى .. فرما تكتشفين أنك لست الضحية الوحيدة فى القصة وان المشكلة التى تقولين أنها مشكلة عدد كبير جدا من الزوجات قد يكون أحد أسبابها هو إحساس المرأة فى مجتمعاتنا « بالظلمة التاريخية » فى قصص زواج لم يستشر فيها القلب قبل

الاقدام عليها إلى جانب العقل غالبا فقادت إلى هذه المعاناة وهذه
الآلام .. وهو احساس سائد للأسف عند البعض .. لكنه في رأيي
ليس مقصورا على المرأة وحدها !

الزائر الغريب

بدأت مشكلتي حينما طلق أبى أمى بسبب التدخل المستمر من جانب عماتى فى حياتها ، فحملتنى أمى على كتفها طفلة عمرها عامان ولجأت إلى بيت أختها بعد أن طردها أبى سامحه الله فرجبت بها خالتي وزوجها اكرمها الله وعشنا معها عامين رحلت بعدها أمى كسيرة النفس حزينة فأصبحت يتيمة الأبوين رغم وجود أبى على قيد الحياة فنشأت فى بيت خالتي لا أعرف لى أما غيرها .. ولا أبا غير زوجها الذى وجدت نفسى أناديه بكلمة « بابا » منذ بدأت أتعلم الكلام ، وكان بحق أبا حقيقيا لى لا يفرق بينى وبين أبنائه ، إن لم يميزنى فى المعاملة عليهم رحمة لى وبظروفى ويتمى وكان يعمل موظفا حكوميا ويخرج من عمله ليعمل عملا آخر يستعين به على مواجهة الحياة وتساعدته زوجته بالعمل بالخیاطة بقدر جهدها لكى تلبي بعض احتياجاتنا ، ومع ذلك فقد ادخلانى أحسن المدارس .. وعرضانى على أحسن الأطباء كلما مرضت ، بل وحرصا على أن يقيم حفل عيد ميلادى كل سنة ، وحفل نجاحى فى المدرسة كلما نجحت وكنت أنجح باستمرار حتى لا أخيب ظنهما ..

وكل ذلك ياسيدى وأنى لا يدري عنى شيئا ولا يحاول أن يرانى ولو مرة واحدة .. ويكتفى بإرسال مبلغ عشرين جنيها كل شهر مع أحد أصدقائه إلى بيت خالتي حتى لا يضطر للحضور ورؤيتي ، ومضت السنوات وانتقلت من مرحلة إلى مرحلة حتى التحقت بإحدى الكليات العملية وكل ذلك ومبلغ العشرين جنيها الذي يرسله لى أبى كما هو لا يزيد منذ كنت فى الحضانة ولا يتأثر بأى عوامل !

وخلال هذه السنوات الطوال لم أره لكنى سمعت أنه قد تزوج ثلاث مرات وفشلت زيجاته كلها ، وأنه يعيش مع شقيقتيه اللتين لم تتزوجا ولم أرهما طوال هذه السنين إلا نادرا وأنه قد كتب ما عنده لشقيقتيه وأبناء أخيه ولم أهتم بذلك لأنى كنت قد تعودت على غيابه وعلى اعتبار نفسى فردا من أسرة خالتي .

و ذات يوم فوجئت بخالتي تدخل على حجرة النوم مضطربة وتدعونى إلى مقابلة زائر فى الصالون واكتشفت بعد قليل أن هذا الزائر الغريب هو أبى الذى جاء بعد عشرين سنة ليرانى وأنا فى الثانية والعشرين من عمري شابة وعلى وشك التخرج .. ورغم تناقض مشاعري فلقد فرحت لأن مشاعر الأبوة قد تحركت فى قلبه فجأة فجاء ليطمئن على .. لكن الفرحة لم تطل .. فقد صدمت بعد دقائق لأنه لم يحنى لرؤيتي وإنما ليأخذنى للحياة معه ومع عمى ، فأتت الابتسامة على شفتي فى الحال .. وتكلمت دموعى .. ونظرت إلى زوج خالتي مرتاعة .. فطمأننى .. ثم راح يرجو أبى ان يتركنى أعيش معهم عارضا عليه أن يتوقف عن إرسال العشرين جنيها فسألنى أبى عن رأى .. فلم

اتردد فى أن أصرح له بأنى أريد أن أواصل الحياة مع أسرة خالتى ،
فنهض غاضبا وهويكاد يضربنى قائلا : إننى يجب أن أعيش معه سواء
وافقت أو لم أوافق .. وحين رأى أنى لم استجب للتهديد انصرف وهو
يتوعدنى بأن حسابى مع ربى كبير !

وغادر أبى البيت وتركنا ونحن جميعا نبكى أنا وخالتى وزوجها ..
وأخوتى منها .. وبعد ان هدأت العاصفة قليلا قال لى زوج خالتى أنه
لايرغمنى على الحياة معهم لكن بيته سيظل مفتوحا لى طوال العمر ،
فانفجرت مرة أخرى فى البكاء وقلت له انى لم أعرف أبا لى غيره واننى
لا أريد أن أحيأ إلا فى بيته فارتاح لذلك واكد لى أنه لن يتخلى عنى ..
ولن يقصر فى التمسك لى والدفاع عنى وتوقفت الأزمة مؤقتا وأريد أن
أسالك هل صحيح أن الله سوف يحاسبنى لأنى رفضت أن أغادر بيت
خالتى إلى بيت أبى .

إنه لا يحتاجنى كما يحتاج أى أب لابنته بدليل انه لم يرفى منذ
عشرين عاما .. لكنه يحتاج إلى لكى أخدمه وأخدم شقيقته بعد أن
تعذر عليه الزواج للمرة الرابعة .. وهو فى صحة جيدة ولا يحتاج لأى
رعاية من هذا الجانب لكنه وعمتى يحتاجون إلى خدمة .. وأنا من
فكروا فيها لكى يعيدوها إلى البيت بعد هذا العمر الطويل لكى تخدمهم
فهل يكون عدلا أن ألبى مطلبهم وأترك أهلى الذين تحملوا الكثير من
أجل تربيتى .. ان ابن خالتى يحبنى ويرغب فى الزواج منى وأبى وأمى
الحقيقيان سعيدان بذلك ، لكنه مسافر إلى الخارج لىبنى نفسه وانتقالى
إلى بيت أبى لن يؤثر على هذا الزواج .. لكنى لا أستطيع أن اتخيل

نفسى بعيدا عن بيت أسرقى التى نشأت بينها ولا أستطيع أن أعاشر من لم أعرفهم إلا بالكاد وهم أبى الآخر وعمتاى .. وضميرى مرتاح إلى اختيارى لأسرة خالتى لكنى أسالك هل حقا سوف يحاسبنى الله على ذلك كما قال لى أبى وهو يغادرنى غاضبا ؟

ولكاتبه هذه الرسالة أقول : من يزرع الشوك ليس من حقه أن يتعجب إذا لم يحن الزهور ! والأبوة فى معناها الحقيقى ليست انتماء بالاسم أو بشهادة الميلاد فقط ، لكنها انتماء بالحب والعطاء والرعاية والمسئولية والقوامة فأين هو من كل ذلك .

إن أباك الحقيقى هو زوج خالتك الذى كافح لتربيتك وإعالتك وعاملك كأبنائه بل وميزك عنهم رحمة بك وبظروفك ، وأمك بالرعاية والحنان هى هذه السيدة الفاضلة التى تحملت مسئولية تربيتك كاملة منذ كنت فى الرابعة من عمرك ، ورأى واستغفر الله إن أخطأت أو تجاوزت - أن تخليك عنها بعد أن شقيا فى تربيتك وتنشئت حتى صرت شابة ناضجة على وشك التخرج فى الجامعة هو ماسوف يحاسبك الله عليه ، وليس أى شىء آخر .. أما أبوك فلقد أهدر معظم حقه عليك حين تخلى عنك وعاش ٢٠ سنة لا يفكر فى رؤيتك حتى حركته دوافع المصلحة غالبا إلى التفكير فى ضمك إليه .. وليس هكذا تكون علاقات الأبوة كما أرادها الله سبحانه وتعالى ولا العلاقات الإنسانية .. عموما فإنى أقول لك إننى استريح إلى اختيارك لأسرة خالتك لكنى أطالبك فقط ان ترعى الله فى علاقتك بأبيك فلا تقطعى صلتك به .. وزوريه من حين إلى آخر ، وصليه كما تصل الفتاة المتزوجة أباه ..

واسأليه برفق ان يتقبل رغبتك فى الاستمرار بين أسرة خالتك بحكم
النشأة والرعاية والعرفان بالجميل .. وهونى عليه الأمر بأنك ستتزوجين
بعد قليل وستغادرينه أن عاجلا أو آجلا إلى بيت زوجك .. فليعتبرك
منذ الآن زوجة تقيم فى بيت زوجها .. عفا الله عنه وعنك وعن
الجميع .

عقول الأمة

ليس عندي قصة مؤثرة أحكيها لك .. ولا تجربة إنسانية فريدة تثير التأمل .. لكن عندي « حالة » لا تخصني وحدي وإنما تخص كثيرين غيري . فأنا استاذ جامعي في كلية نظرية عمرى ٤٥ سنة ومتزوج وعندي ثلاثة أبناء ، وقد أمضيت ٢٥ عاما حتى الآن مشغلا بالتعليم ، وأعيش براتبى فقط وهو ٤٥٠ جنيها . وأقيم في شقة ضيقة من غرفتين بحى شعبي أدفع مائة جنيها كل شهر إيجاراً لها ، وليست لدى أية مدخرات .. ولا أملك سيارة والتزم بالشرف والأمانة في تربية أبنائى الطلاب بالكلية وتعليمهم لكنى أصبحت عاجزا عن دفع مصروفات أبنائى الثلاثة فى المدارس ، لأن « الجمعيات » التى تدفع أقساطها والتى لجأنا إليها لدفع مصروفات العام الماضى مازالت تثقل كاهلنا فلا نستطيع أن نشترك فى « جمعيات » جديدة ، وأنا بالطبع لا أطلب مساعدة وأبحث حالياً عن عمل يساعدنى على تحمل نفقات المعيشة ، لكنى أتأمل حالنا نحن عقول الأمة الذين نفكر فى مشاكلها وأرانا والمشاكل اليومية الصغيرة تستغرقنا فأحزن .. إذ متى نجد وقتاً للتفكير فى مشاكل بلادنا وللانجاز من أجلها أليست هذه مؤامرة لتخريب عقول الأمة

بشغلها على العلم والابداع والانجاز بالبحث عن رغيف العيش وزجاجة الزيت .

إننى أرفض السفر والإعارة لأن ما خرب التعليم عندنا هو عدم وجود خطة تفصيلية فى أقسام الكلية المختلفة بسبب سفر من يقومون بتنفيذ هذه الخطط .. وكم من أقسام بأكملها تم تخريبها بسبب الهجرة وسفر الأساتذة ، كما أن لدى أيضا ظروفًا صحية صعبة تمنعنى من التفكير فى السفر .. وأنا أصرخ فيك أن تسمع صراخنا .. إذ لا يمكن أن تتخيل المهانة والخوف اللذين أحس بهما وأنا أحمل أوراق امتحان الطلاب معى فى الأتوبيس أو التاكسى إلى مسكنى الضيق لأصححها فيه ، وأنا أعانى الخوف كل لحظة من أن يتهور طالب فيخطف منى هذه الأوراق فى الطريق ويضيع مستقبل العلمى .. وكم أتمنى أن تجبر الجامعة أساتذتها على تصحيح هذه الأوراق فى الكليات حيث تتوفر لها أيام الامتحانات الحراسة .. فنشعر على الأقل بالحد الأدنى من الأمان ونحن نصححها أما فى الأيام العادية فليس لى كرسي فى الكلية أجلس عليه ولا مكتب وليس هناك مكاتب تساعدنا وقد نشترى الكتاب الأجنبي الواحد بـ ١٥٠ جنيتها وأسأل مكاتب الأهرام عن أسعار هذه الكتب الأجنبية إننى أقرأ لجيل الرواد طه حسين والعقاد وزكى نجيب محمود فأتوهم على جيلنا الضائع فى تفاصيل حياته الصعبة .. إذ لاتدرى كيف يمر الشهر الطويل علينا ، ومعى للدهشة معيدون بالقسم لم يمتص على عملهم سوى سنوات معدودة ومع ذلك فقد اشتروا السيارات والشقق من الدروس الخصوصية ويبدو أن القاعدة الآن هى

أن تتساءل عن أسباب فقر هذا .. لكن لاتسل كيف أثرى ذلك ..
لكنى خرجت على هذه القاعدة فسألت أحد المعيدين عن كيفية تحقيقه
« لمعجزته » الاقتصادية في سنوات معدودة ، فأجابني بمنطقه بأن
مفهوم الشرف قد تغير الآن يا أستاذ !

إننى لست ضد أحد .. لكنى فى لحظات الضيق والحصار لا أفهم
شيئا ويكاد يخيّل إلى أن « الرسالة » التى يريد أن يوصلها إلينا المعنيون
بأمرنا هى أن على كل واحد منا أن « يدبر أمره » بالطريقة التى تناسبه ..
فهل هذا هو المطلوب فعلا .. وهل تستقيم الأوضاع هكذا .. إننا لابد
أن نتوقف مع النفس لنعرف كم تأخذ هذه الأمور المعيشية الصغيرة من
عقولنا ومشاعرنا لنعرف .. هل ما يبقى منا بعدها ينفع الناس ؟
وأى نفع .

إن لى أملا فيك أن تكتب عن هذه الفئة المظلومة من أساتذة
الكلّيات النظرية الذين لم يسافروا للخارج ويؤمنوا بدورهم فى بناء
بلادهم فهل تفعل ؟

ولكاتب هذه الرسالة أقول : إنها ليست مشكلة عقول الأمة
وحدهم يا سيدى .. لكنها مشكلة جسمها كله فى الأغلب الأعم إلا
من نجا من المعاناة بسبب أو بآخروهى أشد قسوة لدى بعض فئاته
الأخرى وإنما تتحول إلى « محنة » تثير التأمل حين تضغط على
« العقول » فتصرفها عن التفكير فى العام إلى التفكير فى الخاص وعن
الاهتمام بأمر مجتمعهم إلى الاهتمام بأمر أنفسهم ومن الطموح إلى
الابداع والانجاز وتحقيق الانتصارات العلمية .. إلى الكفاح لتحقيق

الانتصارات الصغيرة فى معركة البقاء والاستمرار وتلبية مطالب الحياة الضرورية .

.. ولا أحد يستطيع أن يصور خطورة ذلك بأبلغ مما فعل الإمام الشافعى حين قال : لاتشاور من ليس فى بيته دقيق .. فإنه موله العقل ! وهذا صحيح تماما لأن المهموم بأمر معاشه لا يستطيع مهيا صدقت نيته أن يتزع نفسه من مشاكله الأساسية ويخلص بها للتفكير فى أمر الآخرين . ولقد تنبته دول العالم الثرية لهذه الحقيقة الهامة منذ زمن طويل فكفت علماءها ومفكرها ومعلمها ومسئولها التنفيذيين وغيرهم مئونة التفكير فى أمر معاشهم . ليخلصوا بأنفسهم وعقولهم للإبداع والانجاز الذى يؤتى ثماره الطيبة لفئات الشعب كله ، فازدادوا ثراء وتقدما وإزدادنا نحن فقرا وتحلفا .. وما زال هذا هو الحال فى معظم دول العالم الثالث .. التى تعاني من نفس ظروفنا .

يا سيدى رسالتك خطيرة وليس عندى ما أضيفه إليها سوى أن أضعها تحت أنظار من يهتمهم الأمر بما تعكسه من حقائق وأحاسيس « ونذر » .. لا عن العقول وحدهم وإنما عن كل الأعضاء .. وأرجو ألا تبدد صرختك هذه فى ذرات الأثير .. وشكرا .

زهـور الصـبار

أنا فتاة فى الثالثة والعشرين من عمرى أعيش مع أبى وأمى وشقيقة تكبرنى بعامين ونحيا حياة عادية ونسكن فى شقة من ثلاث غرف واسعة فى حى قديم .. بها كل الكماليات ولنا أنا وأختى غرفة خاصة بنا بها سريران وبعض المقاعد وتسريحة واسمها فى البيت غرفة البنات ولأمى وأبى غرفة خاصة بهما والثالثة للصالون .. أما السفرة فكانها الصلاة وقد استبدلناها منذ فترة قصيرة بسفرة مستديرة صغيرة الحجم ليتسع لنا المجال للحركة فى الصلاة .. ولكى نحول جزءا منها إلى غرفة معيشة نشاهد فيها التلفزيون ، وأمى سيدة تعلمت حتى الأعدادية وتقرأ الصحف والمجلات وتحب مشاهدة المسلسلات التلفزيونية ومباريات الكرة ، أما أبى فهو أيضا تعلم فى المدرسة وحصل على الابتدائية القديمة ولم يواصل تعليمه الثانوى لأنه تفرغ للعمل مع والده وهو الآن فى الرابعة والخمسين من عمره ويحيد القراءة والكتابة ويهتم بقراءة الصحف اليومية ويقرأ كل شىء فيها حتى الاعلانات ويهتم اهتماما خاصا بقراءة صفحة الوفيات . وقد حرص على تعليمنا وعلى توفير الجو الملائم لنا ولم يبخل علينا بشىء من ناحية الكتب والدروس

الخصوصية وخاصة في الثانوية العامة حتى تمكنا من اجتياز عقبتها من أول مرة وبمجموع متوسط فالتحقت أختي بكلية نظرية .. وتخرجت فيها بتقدير جيد .. ولحقت أنا بها في نفس الكلية بعد عام وتخرجت فيها بنفس التقدير ثم خرجنا للعمل ، ولأن فرصتنا في التعيين لم تأت بعد فقد عملنا في أكثر من عمل بالقطاع الخاص ونحن حاليا نعمل في مكاتب مختلفين وننتظر فرصة أفضل لعمل أكثر ثباتا وضمانا .

وخلال دراستنا في الكلية وخلال عملنا حرصنا أنا وأختي على أن نظهر دائما بالمظهر اللائق من حيث الملابس فكاننا - ومازلنا - والحمد لله نرتدى الملابس الأنيقة البسيطة التي تساعدنا أُمى في تفصيل بعضها ونشتري البعض الآخر من راتبينا .. ويهديننا أُمى بعضها في المناسبات والحقيقة أننا وبغير تواضع جميلتان .. إن لم تكن جميلتين جدا كما أننا معروفتان بالأناقة والשיكاكة .. وجيراننا وحتى والدنا يتعجبون من اناقتنا ومن أن كل ما نرتديه يصبح جميلا علينا ولو كان رخيصا .. والحمد لله على ذلك لأننا نرى حولنا في العمل من يرتدين ملابس فاخرة لا نقدر على ثمنها ومع ذلك لسن أُنِيقَات وآسفة لأننى ساضطر لأن أمدح نفسى واختى مرة أخرى لكنها الحقيقة والله عالم بكل شئ وأقول لك أيضا أننا مهذبتان وملتزمتان أخلاقيا ولم نعرف الله في حياتنا .. أضف إلى ذلك أن « لساننا حلو » كما يقولون والجميع في شارعنا « يحلفون » بحياتنا وأدبنا وخفة دمنا ولباقتنا .. فنحن « ظريفتان » فعلا والله العظيم وجاراتنا يحبن جلستنا وكلامنا ، وربما أكون قد أطلت في وصف « مميزاتنا » لأقول لك أنه كان من الطبيعي مع هذه المؤهلات أن يكثُر

خطابنا والراغبون في الارتباط بنا .. وقد كثروا فعلا منذ أواخر أيام
الدراسة الجامعية لكن شاء حظنا أن يكون كل من يقترب منا ويرغب
في الارتباط بنا دائما من علية القوم أى ابن موظف كبير في درجة نائب
وزير مثلا . أو ابن مدير كبير أو ابن رجل أعمال ينجذب كل منهم إلى
واحدة منا .. ويقترب ويبدى اهتمامه ورغبته في الارتباط بها ، ويطلب
معلومات عنها ، ففتح صدرها له وتعطيه ما يريد من معلومات فما أن
يعرف مهنة أبى حتى يطير ويخفى كأنه « فص ملح وذاب » . وتكررت
هذه الحكاية معنا في الجامعة .. وفي الأعمال التي التحقنا بها عدة مرات
حتى أن اختي تركت شركة خاصة كان عملها مريحا ومرتبها جيدا
خصيصا لهذا السبب . مع أن مهنة أبى شريفة وهى التى صنعت منا
هاتين الفتاتين المتعلمتين الانىقتين اللبقتين اللتين يتهافت عليهما الخطاب
ولقد تكررت هذه الحكاية معنا عدة مرات حتى بدأنا نتعقد .. وبدأنا
نحكى لأمننا عنها ، لكن ذلك لم يؤثر ابدا على حبنا لأبينا واحترامنا
له .. فهو مثال الأب الحنون الذى لا يبخل علينا بشيء .. وهو يدخر
لكل منا منذ طفولتها مبلغا لكى يكون لنا ما نستند إليه عند الزواج .
ومع ذلك فقد أحس بمشاكلتنا .. وقال لنا أنه ورث مهنته أبا عن
جد وأن كثيرين يتصارعون للحصول على ترخيص كالترخيص الذى
ورثه عن أبيه .. وانه لولا أن العمر تقدم به لفكر فى أن يستبدله بعمل
آخر كالتجارة .. لكنه يخشى إن فعل الآن أن يخسر كل شيء لأنها
ليست مهنته ولا يجيدها .. ولأنه لم يعرف فى حياته عملا آخر إلا هذا
العمل . فأسرعنا أنا وأختى نقطع عليه كلامه ونقول له أننا فخورتان به

وأنه يكفى أنه ربانا وعلمنا تعليما عاليا .. وانتهى الموضوع عند هذا الحد .. لكن أزمطنا لم تنته .. فالمشكلة مازالت مستمرة .. ومازال من يقترب منا يسرع بالفرار بعد أن يعلم أما من يتقدمون إلينا ويرضون بمهنة أوى فيكونون دائما متزوجين لكنهم محتاجون إلى الحنان .. كما يقولون ! فماذا نفعل ياسيدى لكى ننال حقنا فى الزواج الطبيعى والسعادة هل نرغم أبانا وهو فى هذه السن أن يغير مهنته .. وهو مالا نرضاه له .. أم نتبرأ منه كما يفعل الأشرار وهو مالا نرضاه لنفسينا ولديننا .. ولماذا يحمل الناس هذه النظرة الضيقة لبعض المهن الشريفة الضرورية وهل يمكن أن تقول كلمة لهؤلاء الذين يعرضوننا كل مرة لهذا الاحراج السخيف وأنت طبعا قد فهمت أن مهنة أبى الشريفة هى بمجال الدفن !

ولكاتبه هذه الرسالة أقول : عند الانجليز مثل غريب يقول « من أحبنى أحب كلبى » .. أى من أحبنى بصدق فسوف يحب كلبى بالتبعية لأنى أحبه ولأنه سيحب كل من أحبه حتى كلبى الصغير .. وفى الشعر العربى القديم بيت ظريف يقول فيه الشاعر :

« وأحبها وتحبنى ... وتحب ناقتها بعيرى ! »

بمعنى أن الحب قد امتد من الحبيين إلى مطيتيهما فأحبت ناقتها بعيره .. وأحب بعيره ناقتها وأريد بذلك أن أقول لك ان من يرغب بصدق فى الارتباط بإنسانه رأى فيها حلم حياته وشريكة عمره لا يتوقف عند مثل هذه الاعتبارات .. بل يقبل بها وبكل ظروفها ويحب أعزاءها ويعتز بهم كما تحبهم هى وتعز بهم .. وكل الشبان الذين اقتربوا

منكما ثم ولوا الأدبار بمجرد معرفتهم بمهنة أبيكما الشريفة والضرورية للحياة وألا انتشر الطاعون والأوبئة في المجتمع ، لم تتعد رغبة أحدهم فيكما حدود الاعجاب المبدئي بجمالكما .. لهذا لم يصمد الاعجاب للمفارقة التي يلمسونها بين مظهركما المغرى وبين حياتكما بمقائفها الاجتماعية التي لاتعيبكما لكنها تصدمهم .. ومشكلتكما الحقيقية ليست في ذلك .. « لكنها إن صح تقديري » في تطلعكما الداخلى إلى الخروج من اطار حياتكما الاجتماعية إلى حياة أخرى تريان أن جمالكما واناقتكما يرشحانكما لها . لهذا أكثر الاقتراب .. وكثر الفرار .. لأن من اقتربوا كانوا دائما من رموز هذه الحياة التي تريانها جديرة بكما .. ولو كان الأمر غير ذلك لانجذب أيضا إلى جمالكما آخرون من دائرة الأسرة والحي الذى تقمان فيه ولا بد أن هناك فى دائرة الأسرة المحيطة بكما شبانا جامعيين من غير الباحثين عن الحنان يعجبون بجمالكما وظرفكما ومؤهلاتكما التى تنال تقدير سيدات الحى كما تقولين ولو حدث ذلك لما واجهتهما المحنة كل مرة .. لأن من يقترب منكما سيكون بكل شىء يعلم قبل الاقتراب . على أية حال لاتقلقى فانتما مازلتما فى أول الشباب .. وستأتى فرصكما تجرى .. والجمال فى النهاية تاج يجذب إليه الكثيرون وقد أضفتما إليه مؤهلات أهم منه كالالتزام واللباقة والذكاء الاجتماعى وحلاوة اللسان .. لهذا سيأتى فارس الأحلام الذى يرغب فيكما بصدق ويتربط بكما عاطفيا . والارتباط العاطفى الصادق هو الذى يصمد لأية مفارقة ويتحداها .. وحبذا لو كان من محيطكما العائلى أو الاجتماعى لأن التكافؤ الأسرى من أهم مقومات الزواج الناجح .. ولأن من

لا يقبل بكما وبكل ظروفكما عن اقتناع صادق وحقيقى وليس عن
ضعف عابر أمام الجمال لن تسعدا معه ولن تجدا عنده ما ترغبان فيه من
أمان واستقرار .. وكل آت قريب بإذن الله .

الوجه الضاحك

أنا ياسيدى شاب فى الثانية والعشرين من عمرى أدرس بإحدى كليات الصعيد وأقيم مع أسرتى فى إحدى المدن الصغيرة القريبة . من عاصمة الإقليم وخلال الدراسة أسافر كل يوم إلى كلى وأعود قرب المساء فأنعم بجو عائلى حميم فأبى يعمل موظفا بإحدى المصالح الحكومية فى نفس العاصمة ويذهب لعمله كل يوم معى وقد يمضى أياما فى استراحة المصلحة كل فترة ، وأمى سيدة بيت متعلمة أثرت رعاية بيتها على العمل ولى شقيقة متزوجة فى نفس المدينة وشقيقة أخرى صغرى تدرس بالمرحلة الاعدادية ، وشقيق أكبر تخرج فى كليته الاقليمية وعمل فى مدينة أخرى قريبة وأصبح يزورنا فى نهاية الأسبوع فيشتعل البيت مرحا وبهجة بمجرد عودته فهو من هذا النوع من البشر الذى لا يعرف فى حياته إلا المرح والدعابة والابتسام مع استقامته وتدينه ومواظبته على الصلاة وكان دائما الوحيد الذى لا يستطيع أبى المعروف بجديته وتحفظه أن يقاوم دعاباته الملهبة فى حدود الاحترام فإذا أحس بأن وقاره فى خطر صاح به وهو يغالب الضحك « اسكت أيها المهرج » فيسكت لأنه يكن له احتراما عميقا ويقول لى دائما عنه أنه أب عظيم

ويعتبره مثله الأعلى في الاستقامة وحسن السمعة واحترام الأهل والناس له ، كما أنه أب عادل لا يفرق بين ابنائه ولا يقبل الظلم لأحد ، أما أمي فإن فراملها تسبب بمجرد أن ترى وجه أخى الضاحك وهو قادم إلى البيت ظهر يوم الخميس حاملا معه حقيبة ملابسه الصغيرة لكي يستبدلها بملابس نظيفة .. وحاملا معه « هدية » للأسرة من مدينته ولا بد أن تكون دائما شيئا غريبا يثير التعليق والابتسام .. فرة يأتي إلينا حاملا من مدينته كمية من البطاطا المتوافرة في مدينتنا ! ومرة أخرى حزمة من القصب الذي يملأ مدينتنا .. ومرة ثالثة كيسا هائلا من « الشيبسي » مع أن تحت بيتنا محلا للبقالة به أكوام منه .. وذات مرة لم يجد ما يشتره فجاءنا بجوال من الفحم ! صادف رجلا يحمله قرب بيتنا فاشتراه منه حتى لا يدخل إلينا بيده خالية .. ولكي « ثمر » فينا هداياه في المستقبل كما كان يقول !

وفي كل مرة لابد له من قصة حدثت في القطار وهو في طريقه إلينا فيرويه لنا ونحن تناول طعام الغداء وتنفجر جنوبنا من الضحك . وفي هذا وغيره يمضي معنا يومي الخميس والجمعة ، ولا ينسى في كل أسبوع أن يزور شقيقتي المتزوجة ويتحفها بهداياه المبتكرة وإن يطمئن على دراسة أختي الصغرى ودراستي ويسألني ويسألها دائما هل نحتاج إلى نقود ويبدى استعداداه دائما لأن يعطينا ما نريد مع أن راتبه صغير وينفق معظمه على السكن الذي يتقاسمه مع اثنين من زملائه وعلى المواصلات .. فنعتذر دائما شاكرين لأن أبي لا يقصر في حقنا والحمد لله ..

وفي أحد أيام الخميس السعيدة هذه قبل امتحاني بشهر واحد ..
 جاءنا أخى من مدينته حاملا معه غرائبه المعتادة من عرقسوس وفول
 سودانى وكركديه مؤكدا أنها من أنواع خاصة غير التى نعرفها فى مدينتنا
 ولم يكن أبى فى البيت لأن عمله اقتضى ان يمضى نهاية الأسبوع فى
 عاصمة الإقليم فانطلق أخى على سجيته وجلسنا بعد تناول الغداء وسماع
 القصة التقليدية نشرب الشاى ونتسامر .. فتألق أخى أكثر من أى مرة
 فى اسعادنا واضحا كنا حتى دمعت عيننا أُمى واخى من الضحك ..
 وعجزت أنا عن ملاحظته .. فرجونه أن يخف قليلا ، فنهض مغادرا
 الحجرة إلى غرفة نوم أبى ثم عاد بعد قليل حاملا معه مسدس أبى
 القديم الذى يحتفظ به فى دولاب ملاهسه والذى لم يستخدمه منذ ٢٠
 سنة ، ويجدد رخصته كل عام ، لأنه كان فى شبابه مطلوبيا بئار ثم مات
 طالبه وامن على نفسه واستراح وحمل أخى المسدس الخالى من
 الطلقات منذ ٢٠ سنة وراح يداعبى به فيسدهه إلى ثم يطلق الزناد ..
 مرة ومرتين وثلاثا فانصرفت عن أخى بنظري قليلا لاتابع التلفزيون
 ومل هو اللعبة فجلس قريبا منا ينظف المسدس القديم .. وانشغلنا عنه
 بمتابعة التلفزيون عشر دقائق فإذا بنا نفيق على صوت رهيب وصرخة
 هلع مروعة .. ونرى أمام أعيننا ابشع منظر يمكن ان يراه إنسان .. فلم
 ادر ماحدث إلا من خلال صراخ أُمى وأخى الذى يمزق القلب وهما
 يريان وجه الضاحك وقد غطته الدماء وتجمد من الرعب وبعد ساعات
 قليلة ياسيدى من هذه الجلسة التى بدأت سعيدة كان أبى قد جاء
 مهولا من العاصمة يتعثر فى مشيته ويحيط به اشقاؤه وأقاربه .. وكان

بيتنا قد امتلأ بالناس عن آخره ..
 وكنت أنا واقفا بين اليقظة والغيوبة إلى جوار أبي وأعمامى وأقاربى
 أمد يدي لأصافح بلا وعى من جاءوا ليشاركونا هذه المصيبة .
 وخيم السواد على بيتنا السعيد .. وخلا من معظم أهله .. فلقد
 نقلت أُمى إلى المستشفى لاصابتها بصدمة عصبية شديدة .. وضم عمى
 شقيقى إلى أسرته ليعبدها عن بيتنا وألح على أبي وعلى أن نقيم معه عدة
 أسابيع فرفض أبى ورفضت أنا أن أتركه وحده وسط إشباح الذكريات
 السعيدة وجاءت شقيقتى المتزوجة لتعيش معنا عدة أيام وتقاسمنا هذه
 الحياة الكثيرة وبعد شهر خرجت أُمى من المستشفى ذابلة الصحة منهزمة
 كأنما زاد عمرها عشرين عاما فما ان خطت إلى داخل البيت الذى
 أدخلت بسرعة من كل شيء يخص أخى الراحل - رحمه الله - حتى
 انتابتها نوبة من الصراخ والعويل والهياج فأمرنى أبى أن أحملها حملا
 إلى بيت شقيقتى وتعاون معى فى نقلها عنوة إليه .. ومن هناك طلب
 شقيقها المقيم فى المنيا ودعاه لأن يحضر مع زوجته ليصطحبها إلى بيتها
 لفترة حتى تهدأ أعصابها .

أما شقيقتى الصغرى فلقد ذهبت إلى امتحانها من بيت عمى ..
 ووفقها الله فى اجتيازه رغم الآلام .. وأما أنا فقد ذهبت بعدها إلى
 امتحانى بعقل غائب فأحاطنى اساتذتى وزملائى بعطفهم ورعايتهم ..
 وجاءنى أحد أسدئذى المقيمين فى عاصمة الاقليم وكان أحبيهم إلى
 حملا فى يده زجاجة كوكاكولا وجلس بجانبى وأمرنى أن أشرها
 وحدثنى طويلا عن القضاء والقدر وضرورة الاستسلام لأمر الله ..

وطلب منى ان أقرأ الفاتحة على روح أخى كلما تذكرته وان أقرأ له سورة « يس » كل صباح .. وأبلغنى ان الميت يتعذب فى قبره ببكاء أهله عليه .. وان أفضل ما أقدمه له هو أن أحقق له احلامه بنجاحى فى الامتحان وبرعاية شقيقى وأبى وأمى وكان يحدثنى وهو مبتسم وغلالة من الدموع فى عينيه لأنه مجروح بفقد إحدى بنتيه فى حادث تصادم منذ عامين وكثيرا ماحدثنا فى بعض محاضراته عن محن الحياة وضرورة احتماها .. فشكرته من قلبى ودعوت له .. فدعا لى بالتوفيق وغادرنى .. وأوصى المراقبين بحسن معاملتى وكان يجيئنى كل يوم طوال الامتحان ليطمئن على أحوالى حتى انتهى الامتحان .. وفوجئت بنجاحى بتقدير مقبول مع أنى كنت يائسا تماما من النجاح .

ولم افرح بنجاحى كما لم تفرح أختى بنجاحها .. فقد غابت الهبة عن بيتنا إلى الأبد وأصبح صامتا موحشا وأصبحت الحياة شديدة المرارة فى فى .. ثم تضاعفت مرارتها حين عرفت بعد أسابيع من الكارثة ماجاء بتقرير الطبيب الشرعى عنها .. فقد أكد أن المسدس الخالى كانت به طلقة محشورة منذ ٢٠ عاما ظلت كامنة فيه طوال هذه السنوات وأنها فى هذه الحالة لاتستجيب للانطلاق عند أول ضغطة على الزناد .. وإنما تنطلق إذا ضغط الإنسان عليه عدة مرات فتسخن من جديد وتنطلق !

وحين علمت ذلك تعجبت مما تفعله بنا الأقدار .. لقد سدد أخى المسدس إلى وضغط على الزناد عدة مرات وهو يداعبنى وكان من المحتمل فى كل مرة أن تستيقظ الطلقة من سباتها فتختارنى لكن القدر

اختاره هو ليضع هذه النهاية الأليمة لحياته القصيرة الباسمة .. وليخطف
الفرحة والسعادة من قلوبنا إلى الأبد فلماذا اختارته ولم تخترنى وما معنى
هذا ياسيدى ؟

لقد تضاعف عذابي عندما علمت بهذه الحقيقة وما أكثر ماتميت
فى أعماقى لو كانت هذه الطلقة قد استجابت فى المرات الأولى فاصابتنى
ونجا هو لكن ماذا أقول فيما أراد الله لنا .. وماذا أفعل لكى اخفف عن
أبى وأمى واختى ، ولكى أستطيع احتمال الحياة التسعة ؟! وقد رفعنا
كل شىء يذكرنا به من البيت .. واصبحنا نتجنب ذكر اسمه ..
ولا يجروا أحد على أن ينطق به .. مع أنى أشعر فى كثير من الأحيان أنى
أريد أن اتحدث عنه ، لكننى احجم اشفاقا على أبى .. لقد أصبح من
كان لا تمضى لحظة دون أن يتردد اسمه فى البيت مقما أم غائبا .. اسما
ليس من الرحمة أن يذكره أحد فهل هذا عدل وماذا أفعل وأنا لا أنام
سوى لحظات قلقلة كل ليلة منذ خيم الظلام على عشنا القديم ؟

ولكاتب هذه الرسالة أقول : ازاء تصاريى القدر لا يملك الإنسان
ان يسأل لم .. أو لماذا .. أو كيف؟؟ وإنما عليه أن يقول دائما شاء
الله وكما شاء فعل وأراد جل شأنه ولا راد لقضائه فلا تسرف على نفسك
فى هذا الأمر ، وتشاغل عنه بالاندماج فى الحياة الاجتماعية من
حولك ، وبالصبر والصلاة والرضا بقضاء الله وقدره وهو من أركان
الإيمان .

إن الأحزان يا صديق ككل شىء فى الحياة لها أطوار فتبدأ قوية ثم
تعلو إلى مرحلة « الأوار » المستعر .. ثم تبدأ فى الانكسار بعد حين وتخبو

شيئا فشيئا .. حتى تتحول إلى جذوة دافئة بالألم الإنساني النبيل وهذه الجذوة هي التي تستقر في النهاية في أعماقنا وتترك علينا بصمتها فتصبح كالندوب أو آثار الجروح القديمة وتكن في داخلنا إلى أن يستدعيها داع جديد من أحزان الحياة فتطل برأسها من جديد أقل حدة وأكثر احتمالا ، ولقد علمتنا التجارب الأليمة إننا نستطيع ان نحمل حياتنا وفي أعماقنا هذه الندوب وإن من واجبنا تجاه انفسنا ألا نضاعف خسائرننا القدرية التي لا حيلة لنا فيها بخسائر اضافية أخرى نملك لو أردنا ألا تكلفها .. كالحسائر الصحية والنفسية والاجتماعية التي نخسرهما بالاستسلام للأحزان بلا مقاومة .

وأنت يا صديقي في مرحلة الأوار المشتعل اعانك الله عليها وليس هناك وقت يحتاج فيه الإنسان لأن يتجلد أكثر من هذه المرحلة .. لهذا قال رسولنا الكريم « إنما الصبر عند الصدمة الأولى » أى ونحن نعانى من هذا اللهب القاسى الذى يدمر النفس والروح والصحة .. فاصبر وتجلد . وحبذا لو استطعت أن تمارس خلال هذه الاجازة الصيفية عملا بدنيا مرهقا يعادل معاناتك النفسية ويخفف من أضرارها ويسلمك إلى الفراش .. لتحظى بساعات من النوم كل ليلة . ولا بأس بعد ذلك بأن تتخطى حاجز الصمت الذى نخطئ دائما في أعقاب التجارب الأليمة فنفرضه على ذكر اعزائنا الراحلين تجنبنا لتجديد الأحزان .. فالحق ان تذكرهم والحديث عنهم مع أحبائهم وأصدقائهم يخفف عنا بعض آلامنا المكتومة .. فتحدث عنه بلا حرج مع أصدقائك ومع اصدقائه واعتز بذكراه واحمل له دائما أجمل

الذكريات .. وحقق له أحلامه الموهودة التي لم يمهلها العمر
لتحقيقها .. بتحقيق أهدافك أنت في الحياة وبرعاية أسرتك وبالحفاظ
على علاقات المودة والتراحم التي تجمع أفرادها .. عسى ان يأذن الله
لطائر السعادة بأن يعود إلى بيتك الحزين مرة أخرى .. ولو بعد حين ..

الخيوط الحيرية

منذ أن وعيت للحياة لم أعرف لى أما ولا أبا ولا عائلة ... وإنما سمعت الجميع يقولون انه كان لى بيت وأب وأم ككل الأطفال ثم انهار البيت على من فيه فلم ينج من أهله سوى وعمرى عامان فضمنى بعض الجيران إليهم ونشأت بينهم وقت بخدمتهم والحقوفى بالمدرسة حتى بلغت الثانية عشرة من عمرى ثم وجدت نفسى مرة أخرى وحيدا تماما فى ظروف لا أحب أن اذكرها .. فخرجت إلى الحياة صبيا وامضيت الليالى نائما بلا غطاء فى مستودع للأخشاب وفى الصباح أذهب إلى مدرستى ثم أعود فيها إلى العمل ومضت فى الحياة هكذا انتقل من عمل إلى عمل .. واكسب رزقى .. واذاكر دروسى واؤدى امتحاناتى وأنا وحيد تماما فى الحياة كشجرة نبتت خطأ فى الصحراء القاحلة إلى ان التحقت بكلية التجارة وبلغت من العمر العشرين .. ومازلت أواصل دراستى بنجاح .. واكسب ما يكفى متطلبات حياتى البسيطة ونفقات تعليمى ومظهرى كطالب جامعى .. ثم بدأت تلح على منذ شهور أمنية طالما تخيلتها فى أحلام اليقظة وتجسدت لى فى أحلام الليل كأنها واقع جميل .

فلقد تمنيت دائما ياسيدى ومنذ كنت فى سن الثانية عشرة أن يكون لى أم توقظنى فى الصباح لأذهب إلى المدرسة .. وتصنع لى بعض الساندوتشات وتنهىنى لأشرب كوب اللبن .. فأشربه متأففا من مذاقه الذى لا أحبه ، ثم أحمل كتيبى وأودعها وأذهب إلى مدرستى نشيطا مبتهجا ، وأعود إليها فى الظهر فأجدها فى انتظارى لتسألنى عما فعلت فى يومى وأروى لها عما أسعدنى أو ضايقنى من زملائى أو من المدرسين .. وأتناول طعام الغداء الذى صنعتته لى بيديها .. وانتظر كوب الشاى لأشربه ثم أبدأ مذاكرتى لدروسى وعندما يتقدم الليل أجلس إلى جوارها لأشاهد معها برامج التلفزيون وأرجوها كل ليلة أن تدعنى أسهر هذه المرة بعض الوقت مع وعدى لها بأنى سأصحو فى موعدى .. فترفض بإصرار .. وتدفعنى دفعا إلى فراشى بمزيج من الحنان والحزم وتغطينى فى ليالى الشتاء .. وأحس بدفء أنفاسها وأنا نائم كلما جاءت لتحكم وضع الغطاء حولى .

واتمادى فى أحلامى فأراها فى ليالى الامتحان تسهر بجوارى وتودعنى بدعواتها فى الصباح وتنتظرنى بلهفة عند العودة وتفرح وتزغرد البهجة فى وجهها حين أؤف إليها خبر نجاحى فلقد نجحت مرارا وتكرارا ياسيدى فلم أجد من أبلغه خبر النجاح .. ولا من أعود إليه بالخبر وأنا اتوقع أن أسعده به .. وكنت أعود من المدرسة وقد علمت بنجاحى إلى عملى فلا انطق بحرف عنه ولا يسألنى أحد عن النتيجة إلا مصادفة وبعد ظهورها بأسابيع اننى لا أعرف لماذا تلح على هذه الخواطر الآن فأتذكر فجأة إنى لم أقل لأحد أبدا طوالى حياتى يا أمى أو يا أبى أو

يا أخى ولا أعرف لماذا اشتدت حاجتى العاطفية الملحة هذه وأنا فى سن العشرين إلى أم تحنوبل وتقسو على أيضا من أجل مصلحتى فى حين أن بعض زملاى يضيقون بقيود أبائهم وأمهاتهم .. ويتمنون ان يكونوا « احرارا » من هذه القيود . أهكذا الدنيا دائما ياسيدى تعطى البعض مالا يحسبون بقيمته .. وتحرم البعض مما يكونون أكثر الناس ادراكا لقيمته ! أننى اسمع هذه الشكوى واتعجب لأننى « اتمتع » بهذه الحرية اللعينة منذ صباى وأتمنى من كل قلبى لو استبدل الله قيودا عائلية حبسية بها .. لكن ماذا أقول أكثر من أن ارادة الله فوق الجميع دائما .. إننى اكتب إليك لأطلب منك طلبا قد يبدو غريبا لكنه لا يعرف أهميته إلا من عاش مثل ظروفى .. إننى أريد أمّا تهتم بأمرى .. و « تشخط » فى إذا رأت فى سلوكى ما لاترضاه لى .. وان كان سلوكى - والحمد لله - قويا لأنى تحملت مسئولية حياتى منذ صغرى فلم أجد وقتا للعبث فهل تستطيع مساعدتى فى تحقيق هذا الطلب .. أننى لا أريد منها أية مسئولية مادية عنى لأنى أعمل واتكفل بنفقات حياتى وإنما أطمع منها فقط فى الرعاية الروحية والعاطفية لمن كتبت عليه الأقدار أن يحرم منها فهل يمكن أن أجد من تتبأنى روحيا وتسمح لى بزيارتها من حين إلى آخر .. وتتابع تقدمى فى دراستى .. وتفكر معى فى اختيار شريكة حياتى فى المستقبل وتسمح لى بأن انتسب إليها وأن أدعوها أمام الآخرين ولو مرة واحدة فى عمرى « يا أمى » ؟ لقد قرأت فى بعض الرسائل عن أمهات يشكين من انشغال ابنائهن عنهن بحياتهم وأنا لا شىء يشغلنى عن الاهتمام بأم فهل يمكن أن يتحقق.. هذا الأمل .. أم ترى أنى قد

استسلمت لأحلام اليقظة حتى افسدت على تقديرى للأمور ؟
ولكاتب هذه الرسالة أقول : لا يا صديق لم تسرف فى أحلامك .
ولم يخلل تقديرى بل عبرت - بصدق يؤلم - عن آفة الإنسان الذى قال
عنه شكسبير فى رائعته هاملت أن العادة تخلق عنده أحيانا الشعور
بالاستخفاف فلا يعرف للأشياء قيمتها الحقيقية مادامت متاحة له وفى
متناول يده ومن حقائق حياته .. ورسالتك تصور هذا الخطأ البشرى
أصدق تصوير وأنت تتحدث عن يضييقون بقيود الأهل الحرية غي
مدركين أنها قيود مجدولة من خيوط الاهتمام الإنسانى الذى يفتقد
آخرون .. وان هذا الاهتمام ميزة يتمتعون بها وليس « ألما » يشكون
منه .. فالإنسان يحتاج دائما إلى من يهتم بأمره خاصة فى سن الصب
والشباب فعسى أن تنزل رسالتك المؤلة هذه ماء باردا فوق رءوس من
لا يفهمون دوافع هذا الاهتمام .. ولا يقدرنه حق قدره وعسى أن
استطيع ان احقق لك ماتتصوره حلما من أحلام اليقظة فما أكثر من
يسعدهم الاهتمام بأمر شاب محروم مثلك .. وما أكثر من يرون فيه
عبادة وقرى لله وتعويضها لهم عن جراح الحياة الدامية .

الصفحة الجديدة

أنا سيدة في الخامسة والعشرين من عمري متزوجة من رجل في مثل عمري جمعتنا قصة حب عنيفة وطويلة التقينا فيها في صبانا فكبرنا معا وكبر حبنا معنا .. وأحبيته وهو لم تتكون بعد معالم شخصيته وأحبيته بكل عناصر شخصيته التي اكتملت وأنا معه فتقبلته بعيوبه وتقبلني بما أنا عليه وأصبحنا لانستطيع أن نفترق وتزوجنا بعد صراع طويل مع مشاكل المراهقة ومع الأهل الذين بدأ القلق يساورهم تجاه مستقبلنا بسبب حبنا . وأنجبنا ولدا أصبح الآن في التاسعة من عمره وبناتنا في السادسة وأتم الله نعمته علينا بالرزق الحلال وأنعم علينا بالصحة فأصبحنا بنعمته أسرة سعيدة والحمد لله فزوجي يحبني جدا ويمتدحني في كل مناسبة ويقول دائما أنه لا يرى في عيبي يمكن أن يشكو منه وأنه لو لم يتزوجني لما طال له زواج وأنا من ناحيتي لا يشغلني في حياتي شيء سوى أن أرضيه وإن أحافظ على الحب الذي يجمع بيننا .. وأنا متوسطة الجمال وجامعية وعلى قدر من اللباقة وعلاقتي بأهله طيبة جدا .. ومنذ ٣ سنوات أصبح لزوجي عمل خاص به وبدأ عمله ينجح ويستقر فبدأت اعراض الخيانة تظهر عليه لأول مرة ! فارتبط باحدى

سكرتيراته وكانت فتاة مخطوبة .. وعلمت بارتباطه بها وكانت أول خيانة وصدمة غير متوقعة مع كل ما يجمع بيننا من حب فهزت كياني من أعماقه وكدت أفقد عقلى بسببها وبدأت رحلة العذاب والشك والغيرة وعدم الثقة فى نفسى وفى زوجى وبدأ زوجى يعانى منى ومن ملاحقتى له فى التليفون .. ومن رفضى لأية مبررات يقدمها لتأخره فى أى مشوار رغم علمى بأن ذلك ليس امرا صحيحا لزواجنا وانتهت المحنة أخيرا بزواج السكرتيرة من خطيبها .. وبدأت التخطئ أنفاسى وأحاول أن أنسى ما حدث فإذا بزوجى يلطمنى لطمة أخرى كدنا ننفصل على أثرها .. وكانت « البطلة » هذه المرة أيضا مرتبطة حتى أنني شككت فى أنه يعتمد اختيار البطلات كذلك حتى لايتورط معهن فى زواج أما أكثر ما يجيرنى فى هذا الأمر فهو أن كلا منهما تعلم تماما منزلتى عنده وأنه لا يستطيع الابتعاد عني أو الزواج منها ومع ذلك يقبلن إقامة علاقات معه وبعد عذاب أطول انتهت المشكلة واقسم زوجى بالطلاق أنه قد أنهى الأمر .. وأنه اذا كرر فعلته مرة أخرى فستكون النهاية بيننا واسترحت لذلك قليلا وبدأت استرد ثقتى فيه فإذا به يعود إلى نفس الأمر ومع نفس الفتاة ! فقررت الانفصال عنه وطلبت منه مغادرة البيت تمهيدا للطلاق .. وخرج زوجى بالفعل دون أن يحاول ترصيتى أو الدفاع عن نفسه تاركا لى أن أقرر ما اختاره لينفذه متظاهرا بالبراءة ..

وفعلا غادر البيت لمدة يومين فأحسست بافتقاده وبعدم قدرتى على تربية الطفلين وحدى وبعجزى عن ان أحمل شوقها له وسؤالها عنه خاصة أنها يحبانه وهو يحبها .. وتدخل بعض الأصدقاء بيننا وقرروا أن نبدا

صفحة جديدة وعاد زوجي إلى البيت واقسم لى أنه يحبني وانه لا يستطيع ان يعيش بدون أولاده .. وهو لا يكذب فى ذلك وأصدقته فيه لكن المشكلة هى فى الصراع المحتدم الآن بين قلبى الذى يعشقه وبين كرامتى التى جرحها وكبريائى الذى حطمه .. لقد صدقته لكننى لم أثق فى أنه قد أنهى الأمر تماما خصوصا ان هناك بعض « العلاقات » التى تثير قلقي وتشعرنى بالإذلال لأننى لم أصمد ولم انفذ تهديدى له بالطلاق إذا عاد لخياتنى .. وأحس أن تأكده من أنى غير قادرة على تركه يجعله يتأدى فى غيه وهو يعرف أن الأمر لن يكلفه سوى اظهار مزيد من الحب لى والتقرب منى .. خاصة أنه يعتبر هذه العلاقات عابرة لا تؤثر على علاقته بى وبأولاده لكننى لست راضية عن حياتى معه بعد كل ما عانيته من آلام نفسية ومن جنون الغيرة والشك فى الأزمات السابقة وأريده أن يعلم ان ما يفعله هو كفر بنعمة الله عليه .. وأننى أشعر أحيانا بالخوف من أن ينتقم الله منه لذلك فى عزيز من أعزائه وأشد ما أخاف منه أن يكون هذا العزيز لا قدر الله أحد طفلينا .. كذلك أريده أن يعلم أن من يساعد فتاة أو سيدة على أن تتلاعب بعرض خطيبها أو زوجها قد يعاقبه الله بمن يعتدى على عرضه كذلك أريد أن توجه كلمة شديدة إلى هؤلاء الفتيات اللاتى يلهن وراء الرجال المتزوجين لأنه لولا أن هناك من ترضى بأن ترتبط برجل متزوج ما كان هناك أزواج خائنون .. وارجو أن تشفى كلماتك غليلى .. وان يجد زوجى النصيح عندك .. والسلام .

ولكتابة هذه الرسالة أقول : فى كلماتك المحترقة بنار الحق كل

الكفاية ، فيها نسجت من كلمات لن أستطيع أن اشحنها ببعض هذا « الغل » الشعور الذى تتأجج به كلماتك لهذا سأتجاوز عن هذه النقطة إلى نقطة أهم وأقول لك ان هناك مثلاً عربياً قديماً يقول « ان ذكر الجفاء فى الصفاء .. جفاء ! » وأنت ياسيدتى قد فتحت مع زوجك صفحة جديدة وعاد هو إليك مقسماً يمين الولاء بين يديك .. وتأكدت أنت خلال غيابه أنك لن تطيب لك الحياة بعيداً عنه فلماذا تجربين الآن أسباب العذاب بعد أن عفوت عما سلف !

إننى معك تماماً فى ان مايسميه علاقات عابرة هو اثم لاشك فيه وبطر بنعمة الله عليه وكفر بهذا الحب العظيم الذى يظلل حياته .. بل وأخشى أن أقول انه صورة أخرى مما يفعله البعض حين تستقر أحوالهم المادية « فيشكرون » الله على نعمته بالاجترأ على حدوده بدلاً من شكره بطاعته واتقاء غضبه .. والا فلماذا لم تظهر عليه هذه الأعراض إلا بعد أن أصبح له عمل خاص وأصبح له سكرتيرات يستطيع أغواءهن ! لكنى لن أطيل فى هذه النقطة والا لعدت على رغمنى إلى أسباب الجفاء التى أدعوك لتجاوزها .. لهذا فأنى أقول لك مرة أخرى أنك قد فتحت معه صفحة جديدة .. فحاولى أن تصدقيه وأن تغفرى له ضعفه البشرى وهناته .. وألا تسمحن للغيرة الجاحمة بأن تفسد عليك حياتك وسلامك النفسى لأن الغيرة وحش يلد نفسه بنفسه ولا يحتاج أحياناً إلى علامات أو شواهد لكى يطل برأسه فيلتهم أسباب السعادة ووحش الغيرة يلد وحشاً آخر هو القلق النفسى الذى يؤدى إلى توتر الأعصاب وحدة المزاج فلماذا تفتحين على نفسك أبواب الجحيم ..

وكيف يرضى لك هو بكل هذه المعاناة وأنت رفيقة قلبه منذ عزف أولى
أنغام الحب !

فانسى ماجرى لكى تنهأ لك الحياة .. وساعديه على الالتزام الخلقى
بك وبأسرته باشعاره انك قد استعدت بعض ثقتك فيه . لأن سوء
الظن الدائم قد يدفع المرء أحيانا إلى الخطأ مهونا الأمر على نفسه بأنه
متهم فى كلا الحالين سواء أخطأ أو لم يخطئ .. واصبرى عليه قليلا
فسوف يعود إلى رشده عاجلا أم آجلا فمن لم يلتزم بالحب التزم بغيره من
غوائل الحياة التى تعلم الإنسان ما لم يعلم .. حماه الله من أجلك وحماك
منها مع تمنياتى لك براحة البال .

أهالات السوءاء

منذ تفتحت مداركى اكتشفت أننى لست طفلا ككل الأطفال ..
 وإنما مشكلة عائلية ! فلقد اختلف أبى وأمى وانفصلا بالطلاق وعمرى
 ٤ سنوات فعادت أمى إلى بيت جدتى وبدأ أبى يزورنى مرة كل
 أسبوعين فيجلس فى محل البقالة الذى يقع أسفل البيت ويرسل صبى
 المحل لاستدعائى فأخرج معه خائفا أن اظهر فرحتى تجنبا لنظرات أمى
 العاتبة .. وبعد عودتى أخضع لاستجواب دقيق منها ومن جدتى ماذا
 قال لك وماذا فعل .. وهل بدا سعيدا أم تعيسا إلخ .. وقد ازداد جو
 بيت جدتى قتامة وانخرطت أمى وجدتى فى بكاء طويل وعرفت بعد
 قليل أن أبى تزوج وبعد عام من زواجه بدأت روح جديدة تسرى فى
 البيت فجلى تجدد الصالون المتهاك .. وأمى وخالى يستغرقان فى
 أحاديث هامسة طويلة .. ثم جاء إلى البيت رجل طويل أنيق حاول أن
 يتودد لى فشعرت بنفور غريب منه .. وبعد قليل انتحت لى جدتى جانبا
 ومهدت لحديثها معى بأننى قد أصبحت « رجلا » ويجب أن أواجه
 الواقع ، أما هذا الواقع الذى كان على أن أواجهه وأنا « رجل » فى
 السادسة من عمره فهو أن أمى سوف تتزوج وتنتقل إلى بيت هذا الرجل

الطويل أما أنا فسابق مع جدتي لأونس وحدتها .. ثم سرعان ما خلا البيت من أمي الحبيبة كما سبق أن خلت حياتي من أبي بعد انشغاله عني بزواجه وبعد شهور اصطحبتني خالي لزيارة أمي في المستشفى فقدمت لي مولودا صغيرا عرفت أنه أخى الجديد ثم جاء أبي بعد أسابيع لزيارتي وفي يده طفلة صغيرة عرفت أيضا أنها أخت جديدة لي .. وعشت طفولتي في بيت جدتي الحزينة دائما لسبب لا أعرفه اتلهف على موعد زيارة أمي لي كل أسبوعين وموعد زيارة أبي لي كل عدة أسابيع .. واتشوق إلى رؤيتها ورؤية أخوتي الجدد وليس من حق زيارتها في بيتيها تجنبا للإحراج .. وعندما وصلت إلى السنة الأولى الثانوية رحلت جدتي عن الدنيا .. وانفض المعزون فجلست أمي وخالي وأبي والأقارب يتدبرون أمري بعد أن أصبحت مشكلة للجميع .. وأن نسيت كل شيء في حياتي فلن أنسى هذه اللحظات القاسية وأقرب الناس لي يلقي كل منهم عبئ الثقيل على الآخر فتقترح أمي ان يضمني أبي فيرفض لأن شقيقه ضيقة وزوجته موظفة ولن تتحمل ثم يعرض هو عليها أن تضمني إلى أسرته ويدفع نفقتي فتقول صراحة أن زوجها لن يستريح لي كذلك وأنها مثقلة بالأعباء .. وهكذا ظلوا يتناقلونني كالكرة وأنا جالس صامت أحس بهوان الدنيا كله ولا أملك أن أقرر مصيري إلى أن استقر رأيهم على أن أبقى وحدي في شقة جدتي القديمة وان أعتمد على نفسي لأنني « رجل » في الخامسة عشرة من عمره ! فتقبلت قرارهم صامتا ولم يكن لي طلب سوى أن يسمحوا لأخوتي الذين أحبهم بأن يزوروني من حين إلى آخر ليخففوا من وحدتي .. وواجهت حياتي

بمصرفي الشهرى الصغير الذى كان يعطيه لى أبى .. وعرفت جفاف الحياة فى أقصى صورها وأصبحت مسئولا عن دراستى وطعامى وملابسى وتنظيف البيت وليس لى مورد سوى خمسة عشر جنيها كنت أفعل المستحيل لكى أعيش بها .. فكانت تمضى أيام طويلة لا أأطعم فيها سوى الخبز والحلاوة الطحينية ومع ذلك فلقد كنت أرفض دعوات خالى للغداء عنده خجلا من زوجته ومن رثاءة ملابسى .. واعتصمت بالصبر والصلاة وتلاوة القرآن كلما ضاقت بى الدنيا أو كلما استشعرت الخوف فى الليالى الباردة فى الشقة القديمة .. ووجدت فى الصلاة عزائى وسلواى .. فكنت كلما ضاق صدرى قمت إلى الصلاة وأطلت التلاوة بصوت متهدج .. حتى إذا سجدت لله انهمرت دموعى بغزارة وبللت السجادة .. وشعرت بعدها بالراحة إلى أن جاء خالى ذات يوم وأنا أصلى وكان يحمل مفتاحا للشقة ولم أشعر به إلا بعد أن انتهيت من صلاتى فإذا به جالس إلى جوارى يرقبني ودموعه تتساقط على خده ثم ينهض فيحتضننى ويقبلنى ويطلب منى الصبر ويؤكد لى أنه ما وافق على بقاى بالشقة إلا لكيلا يضيع حق فيها وانه يسعى لتغيير عقدها باسمى لتكون ضمانا لى للمستقبل . وصدق خالى الطيب فى وعده فجاءنى بعد أيام واصطحبني إلى بيت صاحبة البيت وقدمنى لها فرحبت بى بعطف وشدت من أزرى وطالبتنى بزيارتها كلما استطعت وغيرت عقد الشقة باسمى .

وكنت أدرك أن ظروفى لا تسمح لى بأى تهاون فركزت جهدى فى دراستى ونجحت بتفوق فى الثانوية العامة والتحقت بكلية الهندسة وبعد

التحاقى بها ازدادت قسوة الحياة على بسبب نفقاتها فخرجت للعمل صيا في نفس محل البقالة الذى كان أبى يرسل صبيه لاستدعائى . ووفقنى الله فى احتمال كل ظروف حياتى وحائى من الانحراف رغم معيشتى منفردا فى شقة واسعة وتخرجت واديت الخدمة العسكرية والتحققت باحدى شركات القطاع العام وقبضت أول مرتب لى فحرصت على شراء هدايا صغيرة لأخوتى من أبى وأخوتى من أمى وزرتهم وطالبتهم بالألا يغيبوا كثيرا عنى وتفرغت لعملى بجديتى التى اعتدت عليها منذ الصغر فأصبحت بعد عدة سنوات رئيسا لأحد أقسامها وجاءتنى فرصة العمل فى الخارج فاعتذرت عنها لأنى قد شبعت من الوحدة ولست فى حاجة إلى المزيد منها .. ثم كلفتنى الشركة ذات يوم بانهاء بعض معاملاتها فى إحدى المصالح الحكومية فترددت عليها كثيرا فتعرفت على من بيدهم الأمر .. وكان من بينهم فتاة متوسطة الجمال تبدو دائما ساهمة وحزينة وقليلة الابتسام ، فلفتت نظرى وسعيت للحديث معها فرحبت لى بتحفظ ، وذهبت يوما للمكتب الذى تعمل به فلم يكن به غيرها فتشجعت وسألتها عن سبب اكتئابها المستمر .. فنظرت إلى طويلا ثم قالت إنه لاسبب مباشر لديها لكنها ربما تكون طفولتها غير السعيدة هى التى اكسبتها هذا الطابع فاشتعل الاهتمام بها فى قلبى واللمحت عليها أن تحدثنى عن طفولتها فإذا بها تروى لى قصة ماثلة تماما لقصتى تمزقت خلالها بين أبوين منفصلين ومتزوجين .. وأنها تنقلت بين البيتين طوال حياتها ولم تسترح فى أيهما .. فاستقرت مؤخرا فى بيت جدها الذى خلا من الأبناء بعد زواجهم ! يا ألهى لست إذن

وحدى الذى ذاق نفس هذه الماراة ! ووجدت نفسى مشدودا إليها بشدة وعدت لزيارة المكتب عدة مرات .. ثم صارحتها بمشاعرى وصارحتنى واتفقنا على الزواج .. وتعجبت من تصاريى القدر التى جمعت بينى وبينها .. واقتنعت بأنه لم يكون فى الدنيا اثنان حريصان على ألا يفرطا فى علاقتها مثلنا .. فوراءنا حرمان طويل من العطف والاهتمام وكلنا سوف ييلع الزلط لكى يحافظ على حياته الزوجية مع من يحب حتى لو ضاع الحب يوما حرصا على ألا يذيق ابنائه ما ذاقه هو من تمزق وضياى .. وقربت بيننا الأيام التى جرى فيها الاستعداد للقران اكثر واكثر وكنا نتكلم لغة واحدة .. ونعرف معنى حساسيات وضعنا .. فقررت مثلا أن تتم الخطبة والقران فى بيت جدها لنرفع الحرج عن جميع الأطراف وفى يوم زفافنا كنا العروسين الوحيدين تقريبا فى العالم اللذين لكل منهما أربعة آباء وأمهات أى ثمانية فى مكانة الأب والأم بغير اداء أى واجب من واجبات الأمهات والآباء تجاه ابنائهم .. ورغم ذلك كنت سعيدا بأهلى وان لم يؤدوا إلى حقوقى وسعيدا بإخوتى .. أما هى فلاحظت تحفظها مع أبويها وزوج الأم وزوجة الأب والأخوة غير الاشقاء وفهمت أن مرارتها القديمة معهم لم تطب بعد .. وتزوجنا فى شقى بعد أن جددتها .. وبدأنا حياتنا معا بشوق كبير إلى ان يحتفى كل منا بالآخر من الوحدة .. ومضت أيامنا سعيدة هائلة .. وكنت اتلهف على الانجاب .. لكننى صدمت بعدم حساسها له .. وفهمت منها ان تراشا العائلى من التعاسة يجعلها تشفق من ان تنجب اطفالا قد يتعرضون لما تعرضنا له إذا « لا قدر الله » وقع خلاف بيننا

وتفهمت ظروفها .. فحاولت اقناعها بأن تثق في ربه وفيّ وإن تتفاعل خيرا وإن تبعد هذه الهواجس عنها .. وانجبنا طفلة وطفلا ملاّ علينا حياتنا .. لكن الهواجس عادت تلح على زوجتي من جديد خوفا من المستقبل وطلبا للأمان .. فراحت تلح على أن أبحث عن عمل في الخارج لكي نؤمن مستقبل الطفلين حتى لاندعها في مهب الريح كما وجدنا أنفسنا .. فتحمست للعمل في الخارج هذه المرة مادامت زوجتي وطفلاي معي .. وبحثت عن عمل ووفّقني الله في الحصول على عمل ممتاز باحدى الدول وحصلت أنا وزوجتي على اجازة من عملينا وسافرنا .

وزادت الغربة من تقاربنا ومن تماسكنا ولم يفسد علينا أوقاتنا سوى خوفها المستمر من المجهول ومن المستقبل .. وانعكس هذا الخوف عليها في رغبتها ان ادخر كل قرش اكسبه للأولاد .. وفي الحاحها على بأن اسمح لها بالعمل هناك لكي يكون لها رصيد تستند عليه في مواجهة الحياة .. وعارضت فكرة عملها طويلا لحاجة الطفلين إلى رعايتها لكنها أصرت .. وظهر الخلاف في حياتنا لأول مرة فاجتنبني ونحن غريان ولا سند لكل منا سوى الآخر ووجدت نفسي وحيدا مرة أخرى تحت سقف واحد مع زوجتي الحبيبة وضعفت مقاومتي فوافقت .. فبكّت وأكدت لي أنها تحبني ولا تتصور لنفسها حياة إلا معي لكنها تخاف من المستقبل وتريد أن تحتّمى من غدره وعملت زوجتي بمرتب معقول كنت اضعه لها في البنك في مصر أولا بأول واكثرت من هداياى الذهبية لها لكي تزداد احساسا بالأمان وزدت على ذلك ان وضعت معظم

مدخراتى باسم ابنى وابنتى فى البنك وخصصت جزءا منها لها باسمها وعاد الهدوء إلى حياتنا .. لكنه هدوء مشوب بالخذر دائما من جانبي توقعا للعواصف .

وأرسلت الشركة استدعيني بعد ٥ سنوات .. فهاجت زوجتى وطالبتنى بعدم العودة وبالاستقالة .. ورفضت ان أضحي بوظيفتى وفرصتى فى التقدم فى عملى فى مصر فحولت حياتى إلى جحيم .. واشركت بعض الأصدقاء فى أمرنا فأيد البعض عودتى وأيد البعض الآخر استمرارى .. فقاطعت زوجتى كل من أيد العودة .. وانقضى الله من هذا الترق فوافقت الشركة على مد الاجازة سنة أخيرة .. وانتهت السنة سريعا وتكررت المشكلة .. وزادت زوجتى من ضغطها على هذه المرة لاستمر فغادرت بيتى فى الغربة إلى بيت أقرب اصدقائى هناك واقامت مع زوجته وحرمتنى من الهدوء والسكينة حتى أعادتها زوجة صديقى واقنعتها بالرضا بما اختاره لنا الله .. وعدنا إلى بلادنا وكنا قد اشترينا « شقة تمليك » دفعت معظم اقساطها واقترب موعد تسليمها فإذا بها تطالبنى بان اكتب هذه الشقة باسمها وان اسجل السيارة التى اشتريناها أيضا باسمها بحجة الأمان والمستقبل والخوف على الأطفال ووجدت الأمر جارحا لكرامتى فحاولت أن اتفاهم معها بالحسن فلم ترد إلا اصرارا .. وعدت من عملى ذات يوم فوجدت الشقة خالية وفى الحوض كيس من أكياس اللحم ينسكب عليه الماء من الحنفية لعلها كانت تستعد لطهيهِ حين ركبها شيطان الخلاف فهجرت البيت فجأة وهرولت كالمجنون إلى بيت جدها فوجدتها هناك فصحت فيها إننى لا

أريد لابنائى أن يعيشوا ضيوفاً فى بيت أحد فاما أن تعودى معى أو أعود
بأطفالى .. فزجرها جدّها ودفعها دفعا للخروج معى .
وهكذا عشنا أيامنا بين شدّ وجذب .. وحين تصفو تكون كالنسيم
وإن كانت حزينة وحين يأتياها هاجس المستقبل تركبها الشياطين حتى
صارت حياتى جحيماً لا يطاق .. واصبحت اتعجب هل هذه هى
الإنسانة التى جادت على بها الأقدار ليطمئن إليها جانبى وتعوضنى من
تعاسى القديمة .

وتكررت حكاية هجرها لى وعودتها بتدخل جدّها أو أبيها عدة
مرات ثم هجرت البيت نهائياً منذ سنة .. لنفس السبب وأصبحت معظم
علاقتنا تليفونيا هى فى بيت جدّها وأنا فى مسكنى ونتواصل عن طريق
التليفون .. وبعد أسبوع من مغادرتها للبيت لأول مرة ذهبت لرؤية
أطفالى فقابلتنى زوجتى بجيئة تام وترحيب عادى كما نرحب بالغرباء ثم
طلبت منى ان اصطحب الأطفال للنزهة وشراء بعض الأشياء
الضرورية لهم .. فطلبت منها ان تأتى معى لنشتري لابنائنا ما نريد
فاعتذرت فاصطحبت الطفلين وهبطت الدرج وهما يتقافزان حولى
سعيدين .. فتذكرت فجأة نزهاتى القديمة مع أبى وانقبض صدرى
وقدت السيارة وأنا لا أرى الطريق من سحابة الدموع التى ظلمت
عينى .

ولأن لكل شىء آخرى ياسيدى كما تقول أنت كثيراً .. فلقد تعمق
احساسى بأنها ظلمتنى ولم تقابل محاولاتى لاسعادها بأى قدر من
الحرص على اسعادى لها وبعد استقرارها فى بيت جدّها وفشل محاولات

أهلها لاقناعها عادت هي لعملها .. وبدأت أنا التكيف مع وضعي وأسلم أمرى لله .. وإن كانت ساعات نومى قد قلت كثيرا وهزلت وظهرت هالات سوداء تحت عيني وفي هذه الظروف بدأت أحس باهتمام زميلة لى فى العمل وكنت غارقا فى احزاني فلم اشعر بها إلا وهى تحاول اخراجى من اكتئابي والتسرية عني ، وحاولت ادماجى فى وسط الزملاء والزميلات ثم نظمت الشركة رحلة للاسماعيلية ففوجئت بها تدفع لى الاشتراك نيابة عني لكي أخرج مع الزملاء .. واتشغل عما يحزننى وفعلا ذهبت إلى الرحلة معهم .. وسريت عن نفسى قليلا وتأملت طويلا أنها فتاة جميلة عاشت حياة طبيعية بين أبويها .. وتعامل مع الجميع بأدب وباسمة دائما والجميع يحترمونها ويحبونها .. ولاتحمل كراهية لأحد وسألت نفسى لماذا لم يهينى الله زوجة باسمه تضمده جراحى كهذه الفتاة ؟

وترددت طويلا فى الاقتراب منها ثم وجدتني منساقا إلى عالمها واشتركت فى دورة اللغة الفرنسية بالمركز الثقافى الفرنسى مثلها لى اندمج فى عالمها البهيج الذى لا يخاف من المستقبل ولا يحملنى دائما هوما لا ذنب لى فيها .

وفى غمرة محاولاتي لتضميد جراحى .. رن جرس التليفون فى شقتى فى الليل وجاءنى صوت زوجتى يحمل إلى كل هموم الدنيا كالعادة الولد مريض بكذا خذه للطبيب غدا .. البنت جرحت أصبعها وتحتاج إلى فك الغرزة التى أجريت لها .. جاء موعد القسط الأخير من الشقة فادفعه غدا .. وبينما هى تواصل تحميلى بكل الواجبات بغير أى

مقدمة .. قلت لها فجأة لماذا لاتعودين لى ونفعل كل ذلك معا ونضم أطفالنا تحت جناحين .. فإذا بها تكرر مطلبها القديم .. وتضعنى أمام خيار قاس هو إما هذا وإما الطلاق ! .. الطلاق يا زوجتى الحبيبة التى عرفت مرارة التمزق بين الأب والأم .. ومن أجل شقة لاتعنى كثيرا لولا استشعارى فقط بالهوان لاصرارك عليها ؟ . نعم ، وفى نوبة انفعالى قلت إذن فليكن الطلاق وسأنى إليك بعد أسبوع لأتمم الاجراءات .

وفى اليوم التالى وجدتنى ابادر بالاقتراب من زميلتى فى العمل وأسألها عن أسرتها فتدعونى ببساطة لزيارة بيتها لأن كل الزملاء يزورونها .. واقبل الدعوة وأذهب لزيارتها فأجد بيتا بهيجا يحب افراده الناس ويرحبون بهم وأجد بعض الزميلات فى زيارتها والجميع سعداء .. فخرجت ورأسى يدور .. وهمت أكثر من مرة بأن أعود إليها واطلب يدها وأبدأ حياتى من جديد .. لكنى فى كل مرة اراجع كلما تذكرت ابنى وابنتى .. وذاكريات طفولتى الحزينة وعهدى لنفسى ألا أفعل بأطفالى ما فعله بى أبواى .

اننى اكتب لك لأسألك هل صحيح أن هناك بشرا لم يكتب الله لهم السعادة فى كل حياتهم من مولدهم إلى مماتهم بدليل أننى شقيت فى طفولتى وصباى وشبابى ومازلت أشقى الآن بزوجتى ووحدى وبم تنصحنى أن أفعل هل استجيب لطلب زوجتى واكتب لها الشقة والسيارة أم أواصل الرفض وانفصل عنها وهل لطلبها هذا سند من الشرع والدين أم هل تنصحنى بأن أبدأ حياة جديدة مع هذه الفتاة

الباسمة الواعدة بالسعادة وهل سيغفر لى أطفالى أنى بحثت عن سعادتى
على حسابهم أم ماذا أفعل؟

ولكاتب هذه الرسالة أقول : زوجتك يا صديقى لا تريد الطلاق فى
أعماقها وستكون أول من يشقى به إذا وقع لكنها تستغل فىك خوفك
النبيل من تعريض ابنائك لما تعرضت أنت له فى طفولتك وتبتزك إنسانيا
بهذا الجرح القديم مع إنه جرحها هى الأخرى وكان الظن أن تكون
أحرص منك على أن تحب أطفالها هذه التجربة الحزينة . لكن ماذا
نقول عن النفس البشرية وبعض الحمقى من الأزواج والزوجات
يتعاملون فيما بينهم أحيانا بقانون من قوانين إدارة الصراع هو قانون حافة
الحرب بمعنى أن يضغط طرف على آخر ويصعد المشكلة معه حتى تصل
إلى حافة الحرب فيستسلم الطرف الأقل استعدادا لخوضها ويلبى مطالب
الآخر طائعا أو كارها .. والمؤلم ان هذا القانون المزدول ان صلح لإدارة
الصراع بين الدول أو حتى بين الأشخاص الغرباء فإنه لا يصلح أبدا
للتعامل به بين شركاء الحياة ومن ينبغى أن تقوم شركتهم على التعاطف
والمودة والرحمة .. وإن صلح تجاوزا لأى إنسان فإنه قطعاً ما كان
يصلح للتعامل معك وأنت الزوج المحب العطوف على أبنائه الحريص
على زوجته وعلى المسك باستمرار الحياة معها . فضلا عن أنه سلاح
ذو حدين قد ينقلب على من يستخدمه فيجره إلى الأزمة التى لا يريد لها
فى أعماقه كما تنذر الأحداث الآن بينك وبين زوجتك . ان الحرص على
نجاح الحياة الزوجية لا بد أن يكون متكافئا لدى الطرفين وإلا تحول عند
طرف منهما إلى نقطة من نقاط ضعفه تتيح للآخر ان يبتزه إنسانيا وان

يرغمه على ما لا يريد استغلالاً لحرصه على استمرار الحياة ، وأنت يا صديقي ، مدفوعاً بأنبل الدوافع ، كنت حريصاً دائماً على نجاح حياتك الزوجية وبحركك حنين قديم إلى السعادة ورغبة إنسانية في ألا يتجرع ابناؤك كأس المرارة التي تجرعتها أنت صغيراً وكان الظن أن تكون زوجتك أكثر حرصاً منك على ذلك ولنفس الأسباب .. لكنها بعقلية حسابية باردة استغلت فيك هذا الدافع وشجعها تنازلك وتراجعك أمامها على التهادي حتى تجاوزت معك الحدود وقد علمتنا التجارب المريرة أن مثل هذه الزوجة الجحود لا تثوب إلى رشدّها إلا إذا هوت مطارق الحياة فوق رأسها .. لهذا فإني انصحك بالألا تستسلم لمطلبها غير المشروع فليس من حقها أن تطالبك بملكية الشقة وليس في الشرع ما يقضي سوى بأن تكون للزوجة ذمتها المالية المنفصلة عن ذمة زوجها فيكون لها الحق في أن تحتفظ بما لها الموروث والمكتسب بغير أن يختلط بمال الزوج أو يذوب فيه وأنت قد فعلت كل ذلك وأكثر واغدقت عليها مالاً الخاص وكتبت معظم مدخراتك باسم طفليكَ لتشعرها بالأمان فإذا تريد هي أكثر من ذلك ؟ ان من حق الإنسان أن يهب زوجته ما يشاء لكنه ليس من حقها بكل تأكيد ان تطلب الهبة وان تجعل الحصول عليها شرطاً لاستمرار الحياة الزوجية أو لعودة السلام لحياته فما هكذا تكون علاقة الزواج السليم كما أراد الله سبحانه وتعالى .

ولو عقلت زوجتك الأمر لعرفت أن كل ما للزوج هو في الواقع لزوجته وابنائها طال المدى أم قصر وان المستقبل بيد الله وحده مهما

احتطنا له من احتياطات وأن السعادة الحقيقية لا تقدر بمال ولا توزن
 بجواظ شقة مهما بلغت وانه ليس في الدنيا ما يعدل ابتسامة طفل سعيد
 آمن بين احضان أبويه المحبين .. فماذا تريد من الدنيا أكثر مما أعطتها ..
 ولماذا نتخفي أحيانا وراء هواجس لا معنى لها لكي نبرر أنانيتنا وحبنا
 للتسلط وفرض الارادة . يا صديقي أصمد لهذا الضغط غير الإنساني
 الذى تعرض له وانذرنا الإنذار الأخير بالعودة وطى الصفحة القديمة
 وإعادة الحياة الطبيعية بينكما أو فليكن الانفصال بالطلاق الذى
 ما شرعه الله وهو أبغض الحلال إليه إلا لمثيلات زوجتك إذا عميت
 قلوبهن وأبصارهن ورفضن الاستماع لنداء العقل والعدل والإنسانية
 وذلك جزاء الظالمين .

لكنى لا انصحك بالمسارعة بالارتباط بغيرها لأنى اتوقع لو بلغ
 الأمر حد الطلاق بينكما ان تكون صدمته كفيلة باعادتها إلى رشدها بعد
 حين .. وعندها ستكون أنت أسعد الناس بعودة الأمان والسلام إلى
 حياتك ليس فقط لأنى استشف صدق رغبتك فيها وإنما أيضا لأنى
 أدرك تماما أن مثلك لن يعرض أطفاله لما يكرهه لهم وعلى حساب
 سعادته الشخصية أما إذا لم تتعلم هى درس التجربة فلاشك أنه سيكون
 من حقه بعد انتظار معقول ترضى به ضميرك وربك أن تبدأ حياة
 جديدة وليفعل الله ما يشاء ولست فى حاجة لأن أذكرك بواجبك
 الإنسانى تجاه طفليك اللذين اتنى ألا تقضى المقادير لهما بما لا تحب
 ولا ترضى . أما السعادة والشقاء فلكل إنسان نصيبه المقدور منها

وسيوفى إليه كاملا غير منقوص فلتكن سعادتك حقيقية كما كان شقاؤك
حقيقيا أيضا ولنذع الله أن تزول هذه الهالات السوداء من تحت عينيك
ومن حياتك إلى الأبد إن شاء الله .

الشوب الأبيض

أكتب إليك من إحدى العواصم الأوربية لأروى لك قصتي بعد أن شاركت قراءك همومهم طوال السنوات الماضية . وخصوصا في الفترة الأخيرة التي اغتربت فيها عن وطني وأسرتني فأنا ياسيدي رجل في الرابعة والأربعين من عمري ، نشأت في أسرة بسيطة ابنا لأب موظف بالحكومة وشقيقا وحيدا لثلاث فتيات يصغرنني وما أن تخرجت في إحدى الكليات العملية وعملت بإحدى شركات القطاع العام حتى أحيل أبي للمعاش وانخفض دخله للربع بعد حرمانه من الموارد الإضافية فوجدت نفسي مسئولاً عن الأسرة وعن شقيقاتي الصغيرات اللاتي رضعن حبهن منذ طفولتي ، وتمتعت دائما بحبهن واحترامهن ..

ويوم قبض أبي معاشه الأول رأيته جالسا مع أمي يحاولان تدبير حياتنا بالبلغ الصغير وملامح الانكسار تعلو وجه أبي . فلم أطق ان أراه مهزوما فتقدمت منه وقبلت يده وقلت له لقد أحسنت إلى كثيرا وحرمت نفسك من كل شيء في الحياة لتعلمني وجاء دوري لأرد لك الجميل ، فاعتبرني من الآن مسئولاً عن شقيقاتي ولا تشغل نفسك بأمرهن ، وأخرجت راتبي كاملا وكان وقتها أربعين جنيها وأعطيته لأمي

فحاول أنى الاعتراض مذكرا إياى بأنى شاب وسوف اتزوج ذات يوم ، فطمأنته ورجوته ألا يفكر إلا فى نفسه وصحته ، ولم أقبل من راتبى سوى خمسة جنيهات لمواصلاتى ونثرىاتى وتركتهما ودعاؤهما يلاحقنى بأن يبارك الله لى فى صحتى وعملى وشبابى وخرجت منتشيا بهذا الدعاء إلى لقاء صديق فى المقهى القريب فوالله ما جلست معه ساعة حتى جاءنى صديق ثالث يعرض على أن أعمل رساما هندسيا فى مكتب عمه الذى يبحث عن شاب مجتهد ليعمل معه ساعات المساء مقابل ثلاثين جنيها ، فقلت معه إليه .. وتسلمت عملى فى نفس الليلة وعدت لبيتى وفى جيبي عشرة جنيهات من أجرى ، أصر صاحب المكتب على أن يعطينا لى فى أول لقاء . وواجهت الحياة متفائلا رغم ثقل المسؤولية ونظمت وقتى بين عملى الحكومى وعملى الحر فى المساء وخصصت لشقيقائى مصروف يد خمسة جنيهات لكل منهن بعيدا عن مصروف البيت الذى لا يتحمل هذا الترف .. ومضت حياتنا هادئة رغم الصعوبات وواصلت شقيقائى تعليمهن بنجاح وكنت مدرسهن وصديقهن ومستشارهن فى كل ما يعرض لهن من أمور .. حتى أمور العاطفة .. واشعرتهن دائما بثقتى فيهن وبجدارتهن بهذه الثقة .. فلم يخذلننى أبدا وتخرجت كبرى شقيقائى وحصلت على تقدير متفوق بفضل اجتهادها وسهرى معها للصباح فى ليالى الامتحان .. وعملت بعد شهر من تخرجها وجاءنا من يطلب يدها فتمت خطبتها وساهمت فى تجهيزها بكل قرش كسبته خلال السنوات الماضية وزفناها إلى زوجها بشكل كريم يتناسب مع امكاناتنا .. وواصلت كفاحى مع الشقيقة

الوسطى حتى تخرجت فى كلية نظرية بعدها بعامين وتزوجت هى الأخرى وخلا بيتنا إلا من الصغرى التى كانت قد وصلت إلى السنة الثانية فى كليتها وجلست التقط أنفاسى بعد زواج الشقيقتين . فجاءنى أبى يقول لى أنه أن الأوان لأن افكر فى الزواج قبل ان يفوتنى القطار .. وكنت فى حاجة فعلا لذلك فقد قاربت الثلاثين ولم أفكر فى الارتباط بأى إنسانة .. وكنت قد ترقيت فى عملى بالقطاع العام وتضاعف راتبى كما تضاعف أجرى من المكتب عدة مرات ، وزاد دخلى منه بما بدأت انفذه لحسابى من أعمال يخصنى بها صاحبه .. وسألت نفسى إذا كنت استطيع الزواج فأين هى شريكة العمر . وأحست أُمى بما يدور داخلى فابلغتنى بأن عروسى جاهزة وأنها متيمة لى ، لكن هموم الحياة قد شغلتنى عن ملاحظة عيونها الهائلة .. وسألتها عنها ففكرت أنها صديقة صغرى شقيقائى التى تزورها كثيرا وتبدى لى الود فعلا ولم انتبه إليها من قبل .. ووجدت نفسى أفكر فيها ، انها تصغرنى بتسع سنوات وجميلة جالا أخذنا كشقيقتائى الثلاث ومن أسرة صديقة طيبة .. وسرعان ما أحببتها .. وتمت خطبتي عليها فانفجر ينبوع حبها الصامت لى منذ ٣ سنوات متدفقا ، وكانت زميلة شقيقى فى الكلية فأصبحت جلسات المراجعة نضمنا نحن الثلاثة ، وحين وصلت إلى السنة النهائية من كليتها قررت أن نتزوج وان تواصل دراستها وهى زوجة ، وتم الزواج فعلا واقمت فى شقة صغيرة حصلت عليها عن طريق عملى ، وتخرجت زوجتى وشقيقتى فى يوم واحد ، وانتهت بذلك مسئوليتى العائلية تماما فيما عدا مساعدتى الشهرية الصغيرة لأبى وقسط « الجمعية » الذى ادفعه

لأُمى لتجهيز شقيقتي الصغرى للزواج عندما يأتيها النصيب ، ولم يتأخر
 حظها طويلا فلقد عملت وخطبت لزميل فى العمل .. وتزوجت بعد
 عامين وفى يوم زفافها اكتمل شملنا جميعا : شقيقاى وأزواجهن وأنا
 وزوجتى واحسست بالرضا عن نفسى ان وفقنى الله لأداء مسئولياتى
 العائلية ونجست حين طلب أبى من صهر شقيقتي الصغرى ان يضع
 يده فى يدى أنا لأنى - كما قال - أبوهن الحقيقى .. ورفضت باصرار
 ومضت حياتنا سعيدة هادئة لا يعكر صفوها شىء نلتقى كل يوم جمعة
 حول أبى وأُمى فى شقتنا القديمة ونلتقى مرة أخرى فى بيتى مساء الأحد
 حيث لا يعمل المكتب الهندسى ونستمع بسهرة سعيدة يظللها الحب
 والتفاهم .

ولم تخل الحياة بالطبع من بعض المنغصات .. وقد اختارتنى أنا
 فتقبلت نصيبى منها راضيا فلقد حملت زوجتى بعد عام من زواجنا ،
 لكن حملها لم يعيش سوى أربعة شهور وبعد عام آخر حملت مرة ثانية
 وطال حملها لمدة سبعة شهور ثم مات الجنين داخلها واضطر الأطباء
 لتوليدها بجراحة قيصرية لإخراجه وتأكدت من عدم قدرتها على
 الانجاب فطلبت منها ألا تكرر التجربة مرة أخرى خوفا على حياتها لكنها
 تآقت إلى الانجاب فتكررت نفس المأساة وكادت تهلك أثناء الجراحة ثم
 استسلمت بعدها لرأى الأطباء وكفت عن المحاولة لكن أشياء كثيرة
 تغيرت فى روحها بعد ذلك ، فبدأت تضيق بقاء الأحد الذى يجمع
 شقيقاى وأطفالهن وأزواجهن فى بيتى ، وبدأت تخلق الأعذار لتعوقنى
 عن الذهاب إلى بيت أبى يوم الجمعة وتضيق بجبى لأبناء شقيقاى

وملاعبتي لهم وبدأت شقيقاتي يلاحظن سهومي واكتئابي ويحاولن التخفيف عني وفي هذه الفترة انتقلت من الشركة التي أعمل بها إلى منصب مرموق في شركة كبرى ، وأصبحت لى سيارة وسكرتيرة .. ففقدت زوجتي اتزانها وتسלט عليها الشك فى تصرفاتي .. والاحساس بعدم الأمان معى ثم سافرت فى مهمة قصيرة للخارج فوجدت نفسى أفكر فى حياتى معها واعترف لنفسى بأنى اتمزق داخليا بالرغبة فى الانجاب طفل وان هذا هو سبب متاعبى معها رغم حبها الجارف لى بل وحبى أيضا لها وعدت من السفر عازما على أن اذهب إلى بيت أبى وأقيم فيه إلى أن أضع حلا لمشكلتى معها . ووصلت إلى المطار ففوجئت بها تنتظرنى فيه بالرغم من عدم ابلاغها بموعد عودتى .. فعجزت عن مصارحتها برغبتى وعدت معها إلى مسكننا .. وعشت عدة أسابيع بعدها لا أرى منها إلا عذوبة الفتاة الجميلة الرقيقة التى أحببتى حبا صامتا ثلاث سنوات قبل الخطبة .. وقررت العدول عما فكرت فيه .. لكن آه من وساوس النفس الباحثة دائما عما ينقصها فبعد شهور عادوتنى نفس الأفكار وضقت بهمى فحزمت أمرى وعدت من مكتبى إلى بيت أسرتى وصارحت أبى وأمى برغبتى فى طلاق زوجتى لكى اتزوج أخرى وانجب فعارضانى بشدة وجاءت شقيقاتي فعارضننى اشفاقا عليها .. مع تسليمهن بحق المشروع فى الانجاب ، وبكت شقيقتى الصغرى واستحلفتنى ان أرجع عن قرارى إدراكا لمدى حب زوجتى لى وطالبى أبى بمراجعة نفسى لفترة فاستجبت له وقررت الإقامة فى بيته لفترة وعرفت زوجتى بالأمر .. فبكت طويلا ورفضت مغادرة

الشقة إلى بيت أسرتها أملا في أن أعود إليها وبعد أسبوعين أرسلت إلى شقيقتي الصغرى تبلغني موافقتها على زواجي من أخرى بشرط ألا أطلقها وإن أعدل معها .. لكنني تخوفت مما سأعانيه من تمزق وغيره ومتاعب معها فرفضت ، واستاء أبوها من موقفها فذهب إليها وحملها على مغادرة الشقة ونقل أسيائها وأثاثها إلى بيته وجاء يوم الطلاق فأصرت هي على أن تذهب إلى المأذون لتتم الاجراءات في حضورها حتى تعفى نفسها من مهانة تسلم ورقة الطلاق عن طريق قسم الشرطة ، وذهبت مع أبي وأزواج شقيقياتي واجما فوجدتها مع أبيها جالسة مطأطأة الرأس ترتدى فستانا أبيض كأنها تذكرني بثوب زفافها وذكرياتنا السعيدة وجالها الحزين يشع في المكان ومرت الإجراءات التقليدية ففوجئت بها تصافحني ودموعها تنساب من عينيها ثم تقول لي لقد شققت بطني من أجلك مرتين وكنت على استعداد لأن أشقها مرة أخرى .. لكنك اخترت غير ذلك وظلمتني .. فليسأحك الله على ظلمك لي .. مع السلامة .. فلم استطع أن أمنع دموعي وهرولت خارجا وأثر في هذا الموقف فاكتأبت طويلا .. ثم بدأت ذكرياته تتراجع من رأسي شيئا فشيئا وعدت إلى شقتي واعدت تأثيثها .. وعشت وحيدا عدة شهور ، ثم تعرفت بمهندسة زميلة لي في العمل في الثلاثين من عمرها سبق لها الزواج وطلقت من زوجها لرفضه الانجاب لأن له أبنا وابنة من زواج سابق وبسبب إجباره لها على اجهاض نفسها كلما حملت فوجدت فيها ضالتي وتعجبت من تصارييف القدر وتقاربنا سريعا ولم ألبث ان صارحتها بحبي وصارحتني بحبي ، ثم خطبتها وتم

زواجى الثانى بعد سنة من طلاق وأنا فى الثامنة والثلاثين من عمرى وبعد عام من زواجى انجبت طفلة جميلة سعدت بها سعادة طاغية . وشكرت الله كثيرا وسعدت بكل لحظة فى حياتى الجديدة وعرضت على زوجتى ان تتفرغ لبيتها فلم تتردد ، واستقالت وتفرغت لى ولطفلتها .. ورشفت من رحيق السعادة معها ومع ابنتى حتى الثمالة .. حتى خشيت على سعادتى من غدر الزمان فبدأت استقصى اخبار زوجتى السابقة من شقيقى واحلم باليوم الذى تتزوج فيه حتى لا تظل المرارة مستقرة فى اعماقها تجاهى وحزنت حين عرفت انها لم تتزوج وفضلت ان تعمل مدرسة انتظارا لشفاء نفسها من مرارة التجربة ثم شغلتنى ابنتى الصغيرة بعد قليل عن أى شىء آخر وواصلت نجاحى فى حياتى العملية واستقرت أحوالى المادية .. واعطيت عملى كل جهدى وطاقتى وذات يوم كنت أشرف على أحد مشروعات الشركة فى ضواحي القاهرة فأصبت باغماء مفاجئ . وحملنى الزملاء إلى أقرب مستشفى حيث عاجلنى الأطباء وخرجت وفسرت الأمر بالاجهاد .. لكنى بعدها بدأت أشعر بنجمود غريب فى جسمى ، فذهبت إلى الطبيب وبدأت دورة لا تنهى من التحاليل والأشعات والفحوص وبعدها طالبنى الأطباء بعدم الاجهاد وبالعمل بنصف طاقتى وبالالتزام بنظام غذائى وعلاجى مستمر .. والتزمت بتعاليم الأطباء إلى أن تكررت نوبات المرض وتلاحقت فقررت الشركة ايفادى للعلاج بالخارج . وسافرت وحيدا ودخلت المستشفى وبدأت العلاج .. حتى جاء الموعد الذى سيبدى فيه الطبيب الكبير رأيه النهائى فى حالتى فوجف

قلبي لأن الأطباء في هذه البلاد لا يجاملون المريض ولا يعرفون
الاعتبارات العاطفية التي تمنع أطباءنا من مصارحة المريض بحقيقة
حالته .. وارهفت أذنى له فإذا به يصارحنى ببساطة بحقيقة مرضى
الذى اشفق الأطباء في مصر من مصارحتى به .. وبجئت عن صوتى
لأسأله عن مدى سوء الحالة فأجاب بنفس الواقعة القاسية وبكلمات
مقتضية : أنها متأخرة جدا ! ثم طالبنى بالبقاء تحت إشرافه ٣ أسابيع
ان استطعت أو بمتابعة العلاج مع أطبائى فى مصر وهكذا سمعت حكم
الإعدام الوشيك بأذنى ياسيدى فغرقت فى حزن عميق ثم قمت للصلاة
فى غربى ، واتصلت برئيسى فى العمل وابلغته فتأثر بما سمع .. وطلب
منى البقاء تحت إشراف الطبيب والعودة بعد ٣ أسابيع فقضت على
الدقائق ثقيلة وأنا سجين فى أفكارى .. اتحاور مع نفسى وتتوالى
الخواطر والصور على مخيلتى فأرى ابنتى وزوجتى وأبى وأمى وشقيقائى
واتخيل وقع الخبر عليهم ، بل وأرى زوجتى السابقة بجبالها الحزين
وفستانها الأبيض يوم الطلاق .. واتساءل هل ساحتنى حقا أم أن
مرارها مازالت فى الأعماق فنالنى من ظلمى لها ما نالنى .. واقترب فى
هذيانى وحوارى الباطنى من حافة الخطر أحيانا فأتساءل استغفر الله -
لم اذن انجبت إذا كان الرحيل مقدرا سريعا هكذا ؟ .. هل لأترك
زهرك الجميلة لليتم قبل ان تتم عامها الخامس ! ومادام كل شىء
بقضائه وبقدره .. لماذا لم يلهمنى الله أن أبقي على زوجتى الأولى
فأخفف من ذنوبى ومن همى بأمر طفلى وأرحل خفيفا وحيدا بلا خسائر
أخرى ! اننى أعرف ان الأعمار بيد الله وحده لكنى اهذى وحيدا فى

غربتي واحتاج إلى من يسمع تساؤلاتي ويحجب عنها فهل تستطيع ؟
ولكاتب هذه الرسالة أقول : كل إنسان يا صديقي مكتوب عمره
بين عينيه هكذا جاء في المرويات أن الله سبحانه وتعالى قد ابلغ آدم
حين أمره بالهبوط من الجنة . فلا تزد من أشجانك بهذه الخواطر الحزينة
التي تعين مرضك عليك .. ولا تساعدك على مقاومته .. والإنسان قد
تؤذيه هواجس نفسه أحيانا بأكثر مما تستطيع أمراض جسمه .. فأعن
نفسك على مرضك ولا تسئل عما لا تعلم ولا تملك من أمره شيئا فما أنت
من جئت من عالم الغيب بهذه الزهرة الجميلة إلى الحياة وما أنت من
اخترت لزوجتك الأولى ألا تنجب ، ولا أنت تستطيع ان تجزم بأن
زواجك منها لو استمر لم يكن ليحقق أمل الانجاب لكما بعد حين فتأني
إلى الدنيا زهرة أخرى ربما في نفس الموعد .. وإنما قدر الله في كل
الأحوال وكما شاء فعل .. ولا يسأل جل شأنه عما فعل وتجارب الحياة
تعلمنا أننا إنما نفر من قضاء الله دوما إلى قدره لهذا نعيش حياتنا ونحن
نعرف دائما أن الستار الأخير قد ينزل عليها في أى لحظة .. ولا يمنعنا
ذلك من أن نحيا ونستمتع بأيامنا ونخطط للمستقبل ونزرع الأشجار
أَمْلا في أن نقطف ثمارها لهذا فلا بد دائما من الأمل في رحمة الله
وعدائه . وهناك دائرة مجهولة يعجز طب الأطباء عن الاقتراب من
حدودها هي دائرة الغيب الذي لا يعلمه سواه . وكم كذب الغيب
نبوءات الأطباء وعلم العلماء .. فلنلق إذن في أن من منحنا هبة الحياة
هو وحده من يقدر على أن يستردها حين يشاء وانه لا يصرح بعلمه هذا
لغيره .

فهون عليك يا صديقي فربما تكون أطولنا عمرا ! وتخفف من
احساسك بالذنب لكيلا يتحالف مع أدواء جسمك عليك وأنت في
النهاية وان ظلمت زوجتك الأولى لست أول من ظلم قلبا أحبه جريا
وراء أمل الانجاب ولن تكون آخرهم واحساسك هذا بالذنب رغم بعد
الذكرى دليل جديد على نفسك الطيبة الخيرة يضاف بكل تأكيد إلى
سجلك النبيل في بر أبويك . ورعاية شقيقاتك وهو سجل لا يضيع
أجره عند من لاتضيع عنده الودائع وبعد كل ذلك فانك لو أردت أن
تبرئ ذمتك وتهدي خاطرك مما تحسه من ذنب تجاه زوجتك الأولى
فأنى انصحك بأن تكتب إليها من غربتك سائلا إياها الصفح الجميل
عما جرت به المقادير بعد ان انقضى الآن كل شيء وسحب النسيان عليه
ذبوله أو خفف على الأقل من مرارته ، وكلى ثقة أنها لن تضرن عليك به
لأن من أحب إنسانا حبا حقيقيا ذات يوم لم يكرهه ولو اساء إليه أو
ظلمه ولم يريج له ضررا أو سعد بما يناله من آلام الحياة ، فالحب الحقيقي
قد يحمد وقد تذبل أوراقه ويموت كما تموت الورود لكنه يبقى دائما من
أريجيه القديم نفحة لاتسمح له أبدا بأن يتحول ذات يوم إلى كراهية
حاقدة مدمرة فاطمئن تماما إلى أن قلبها الأبيض مثل ثوبها سوف يغفر
لك ما جرى .. وسوف يتمنى لك الشفاء مخلصا ، والترم بتعاليم الأطباء
بدقة وثق دائما ببربك ولسوف تحمل لك الأيام ماتطيب له نفسك ان
شاء الله .. إنه على كل شيء قدير .

الجائزة الثانية

أنا ياسيدى رجل فى السادسة والأربعين من عمرى أشغل وظيفة فى الأبحاث الفنية حيث يتطلب عملى إيجاد حلول للمشاكل الفنية مما يستدعى التفكير والتركيز وأجاء عشرات التجارب وأجد متعنى فى هذا العمل واحقق فيه نجاحا طيبا والحمد لله .. لكنى عاجز عن إيجاد حل لمشكلتى الشخصية مع زوجتى التى تصغرنى بعشرة أعوام .. فرغم أنى أحب أسرتى ولا أخرج إلا معها ومع أولادى ودائما أذهب بهم إلى المصايف والترهات .. فهى لا تشاركنى مشاكلى وحياتى واهتماماتى ولا تتحدث معى إلا نادرا !

وبالرغم من ارتفاع اسهم جمال وجهها الذى كان يشرق بالبسمة والمرح قبل الزواج وبعده وحتى انجاب الأطفال ، فإنها دائما عابسة مكفهرة الوجه وصوتها عال مع كل من تتحدث معه سواء كنت أنا أو رئيسها فى العمل ودائمة الشجار مع الأبناء « فى الفاضى والمليان » ولا تأخذ الأمور بالمرح .. وتحول أبسط الأمور إلى مشاجرة بالضجيج والتشنج والعصية ولا تتسامر معى أو تؤنس وحدتى أو تخفف عنى متاعب العمل والتفكير ، فإذا خرجنا لزيارة عائلية لأحد أقاربنا نعود

فتشاجر معى لأن « فلانا » الذى كان فى الجلسة ثقیل الدم وكان یردد كلاما یقصدھا به ، أو لأن فلانة صافحت الجميع ما عداھا وتطلب منى ان أرد لها حقھا واتشاجر مع من تظن أنه یقصدھا بكلامه وإلا كنت مقصرا فى حقھا ومتخاذلا ولا أحمیھا . ثم تغلق على نفسها باب الحجرة ولا تكلم أحدا ولا تأكل ولا تشرب وتترك لى رعاية الأولاد . بل وأحيانا تترك البيت بلا نظافة وبلا طهى للطعام سواء للأبناء أم لى عدة أيام فیبدو وكأنه بيت مهجور بل وأحيانا أيضا تنام بنفس « الفستان » الذى خرجت به وتظل مرتديه له یومین لیلا ونهارا مع ان ثمنه لا یقل عن مائتى جنيه ، ثم قد ترمیه بعد ذلك بلا اكتراث وهكذا كل شىء فى البيت تستطيع الاستغناء عنه بلا تفكير ، فأحيانا تهدى فستانھا الجدید لاحدى صديقاتھا .. وأحيانا تهدى الغسالة القدیمة أو البانیو القدیم لأى أحد بحجة أنها أشياء قدیمة وترحم البيت .

فإذا حصلت على اجازة واصطحبتها مع الأولاد إلى أحد المصایف أملا فى أن نقضى بعض الأيام السعيدة أجدها محتملة یوما أو بضعة أيام . ثم ترتد إلى النكد والعبوس والصیاح الذى یصل إلى التشنج فى بعض الأحيان فلا أكمل الاجازة وأعود قبل انتهائها .

وكثیرا ما نصحتها وطلبت منها أن تریحنى وان نتفاهم فى كل شىء واوضح لها الخطأ والصواب وكثیرا ما واجهتها أمام أهلها بما تفعل بلا فائدة .. ولا أجد مفرا سوى تركھا على ماھى علیه والصبر علیھا لأنى لا أريد أن اضحى بمستقبل أولادى فأصبر لعل الله یهدیھا أو یحكم بیننا بالحق فى الدنيا أو الآخرة لكنى أضیق یاسیدى بما احتمل فى بعض

الأحيان . وأجد نفسي بعد انتهاء عملي وبعد عناء يوم طويل غير راغب في العودة للبيت الذي لا أجد فيه راحتي ولا أجد فيه من يستقبلني ويسامرنى ويشعرنى بأن لى زوجة تشاركنى الحياة إذ كثيرا ما تركننى أنا من وأنا غاضب عليها .. وكثيرا ما تركت البيت إلى العمل وأنا غاضب من أفعالها مما عرضنى أكثر من مرة لبعض الحوادث بسبب قيادتى للسيارة وأنا مغتم ومهموم ولا أكاد أرى الطريق من سوء فاعالها .. فهى دائما نكدية وغير مهتمة بنفسها وغير نظيفة رغم جمالها وغير عابثة بأى شىء فلا حنان ولا مودة ولا مشاركة .. وهى إذا أرادت شيئا ولم انفذه لها تظل ثائرة غاضبة وصوتها عال وإذا فتحت الراديو فالصوت عال وكل اهتمامها مركز فى مشاهدة الفيديو .

إن جمال زوجتى ياسيدى لم يعد يساوى عندى شيئا .. ولم أعد أحس به أو أراه لأنه يحتفى تحت قبح الطباع .. ودوام النكد والعبوس .. وارجو ألا تتصور أنى مقصر فى حقها .. فالحق أننى مثالى معها ومع الأبناء وآخذ الأمور أحيانا بالحزم وأحيانا باللين وفى معظم الأحيان بالصبر .

لكن زوجتى لاتشعر بالمسئولية رغم أنها حاصلة على الماجستير .. وقد نصحتها مرارا وشكوت لها متاعبى معها فكان ردها على هو ان اتزوج لكى أرى الفارق بينها وبين غيرها لأنها - ولاتعجب - تعتبر نفسها « مثالية » مع أنى لست أول من يحكم عليها بغير ذلك وليس لها صديقات سوى اثنتين فقط ، ولقد بدأ تركيزى فى عملى يتأثر بما اعانيه

من هموم مع هذه الزوجة بماذا تنصحنى ان أفعل معها .. هل اسرحها
باحسان !

إننى أخشى أن أفعل ليس حبا فيها وإنما حرصا على أولادى فإذا
أفعل ؟

ولكاتب هذه الرسالة أقول : مأساة بعض الزوجات انهن يحفرن
قبور سعادتهن الزوجية بالتدريج بسلسلة من حفرات النكد الصغيرة التى
تبدو تافهة فى البداية .. ثم تهدم الجدران الهشة بين الحفر الصغيرة ذات
يوم فتتحول فجأة إلى هوة سحيقة تفصل بين الزوجين حتى ليتعذر
عليها بعد ذلك الاتصال والاستمرار .. ومن هنا تأتى خطورة هذا
الرصيد المتزايد من حفر النكد التى تحفرها بعض الزوجات وبعض
الأزواج لشركاء الحياة .. فالنكد هو امضى سلاح لقتل الحب
والسعادة . وهو الذى دفع كاتباً عظيماً كتولستوى إلى أن يتسلل من بيته
ذات ليلة شتاء ممطرة وهو فى الثامنة والثمانين من عمره ليهم على وجهه
فرارا من زوجته البشعة ولكى يعثروا عليه بعد ١١ يوما ميتا بالالتهاب
الرئوى فى محطة مهجورة للسكة الحديد ثم فيما بعد تعترف زوجته لابنتها
بأنها قتلت أباهما بالنكد .. فيؤمنان على اعترافها الخطير .. بعد فوات
الأوان .

وهو أيضا الذى دفع الفيلسوف الاغريقى لأن ينصح مريده قائلا له
تزوج يا ولدى فأنت الفائز فى الحالىن فإن كانت زوجتك طيبة عشت
سعيدا .. وان كانت سيئة .. تعلمت الحكمة وصرت فيلسوفا !
ويبدو ان اقدار بعض الأزواج والزوجات هى ان يتعلموا الحكمة

حرصا على مصلحة ابنائهم وعلى حساب سعادتهم وهنائهم معظم سنوات العمر لكن الحرص على سعادة الأبناء ينبغي أن يكون من ناحية أخرى حرصا متبادلا من الطرفين .. فإذا افتقده طرف ولم يرع الله فيهم كان حرص الآخر على استمرار الحياة من أجلهم إلى مالا نهاية تنازلا مستمرا يغريه بالتماذى والاستمرار . لهذا يحتاج الإنسان أحيانا إلى ان يحس بالخطر لكى يدفع عن حياته ومملكته بإعادة النظر فى أمره ومراجعة تصرفاته والتقدم من الطرف الآخر خطوات لكى يتواصل اللقاء ولا تتسع الهوة باستمرار بينهما . وأغلب ظنى ان زوجتك فى حاجة إلى شىء من هذا « الخوف » البناء الذى يدفع الإنسان لأن يبادل الآخرين حرصهم عليه بحرصه عليهم ولو أوتيت زوجتك البصيرة لفهمت مغزى حديثك المريع عن جالها الذى لم يعد يساوى شيئا عندك ولم تعد تحس به .. لأن الجبال فعلا هو جبال الروح والطبع وليس جمال التماثيل الجامدة التى لا روح فيها ولا ايناس .. ولأن المرأة الجميلة تفقد جالها فى اللحظة التى يعلو فيها صوتها بالشجار والتشنج والايلام ولا تشك أنك كنت تحبها حبا كبيرا مازالت بعض بقاياها مستقرة فى قلبك . لكن ادمانها للنكد والتشنج واهمالها لحقوقك كاد ينزع من قلبك مابقى لها من رصيده . لأن النكد هو فعلا قاتل الحب والسعادة وليس أى شىء آخر ، فانذرهما يا صديق بأنك لن تستطيع أن تحتمل الحياة معها على هذا النحو إلى مالا نهاية .. وقاوم بعض ضعفك تجاهها .. واهجرها بغير ان تغادر البيت .. ثم دعها لنفسها لفترة لتعيد التفكير فى الأمر لعلها تفيق وتذكر واجباتها تجاه ابنائها وتجاهك وتجاه

رهبها .. فإن استمرت في غيها .. ولم تشأ أنت - غير ملوم وتقديرا
لمصلحة ابنائك - ان تفصل ما بينك وبينها .. فواصل الصبر والاحتمال
من أجلهم لعلهم يعرفون لك ذلك ذات يوم وفز في هذه الحالة بالجائزة
الثانية من جائزتي الزواج وتعلم الحكمة على حساب راحة القلب ..
والأمر لله ا .

الجايزة الأولى

أنا من القارئات المعجبات ببريد الجمعة .. وكان ذلك هو ما دفع زوجي إلى إرسال الرسالة التي نشرت منذ أسبوعين بعنوان « الجائزة الثانية » وقد قرأتها وعرفت اننى الزوجة المشكو منها لأنها كما قال « نكدية » ولا تتحدث معه ولا تحس به وعابسة دائماً وقد وقفت إلى جانبه وأنصفته دون أن تعرف وجهة نظرى .. فقد شكى زوجي من أننى اتساحن معه بعد أن نعود من زيارة أحد الأقارب وأنا أسألك يا سيدى تخيل أنك جئت لزيارتي وكنت فى غاية السرور ثم لم أقابلك أو قابلتك ولم أصافحك ماذا سيكون شعورك ؟ .. ألن تغضب .. وربما لا تعود لزيارتي مرة ثانية ؟ ان هذا هو مالا أريد أن أفعله فأنا لا أريد أن اقاطع أهل زوجي لأننى أحبهم مثل اخوتى وأهلى تماماً .. ولهذا فأنى أصارحه بعد الزيارة بغضبى من فلان أو فلانة على سبيل الفضفضة .. ولكي تصفو نفسى فيأخذ ذلك على محمل آخر ويتهمنى بأننى أكره فلانا أو فلانة ..

أما عن شكواه بخصوص الاستغناء عن بعض الأشياء من البيت وإهدائها للبعض فلماذا ترحم بيتنا بأشياء لا ضرورة لها .. ولماذا يكون فى

الحمام أكثر من بانيو أو أكثر من ثلاث غسلات ؟
أما عن الوجه العابس فذلك ليس على سبيل الدوام .. فأنت
تعرف ياسيدى أن رتبة الحياة والمعاناة من الملل تجعل الفرد منا مرهف
الحس فى بعض الأحيان .. وأخيرا أشكرك على رأيك الذى اقتنع به
ونفذه بالفعل فقد هجرنى كما ارشدته ! والسلام عليكم ورحمة الله !
ولكاتبه هذه الرسالة أقول : لم يخطئ من قال « قاض فى الجنة ..
وقاضيان فى النار » إشارة إلى ثقل الأمانة التى يتحملها من يتصدى
للحكم بين الناس بعد أن يسمع للطرفين ويمتنح أدلة كل منها .. ومع
ذلك فقد يظلم بريئا ويتحمل وزره أمام خالقه .. فما بالك ياسيدتى بمن
لا يملك وسيلة لتحرى الحقيقة سوى أن يحاول استشفافها من بين ثنايا
السطور ، وان يعتمد على صدق إحساسه وسابق تجاربه مع مشاكل
الآخرين فى إصدار الأحكام .

إننى لا أقصد بذلك أن اتصل مما أقول .. لكنى أوضح فقط أننى
لا أستطيع أن أفعل ما فعله العادل عمر بن الخطاب حين جاءه شخص
فقت عينه فلم يحكم له انتظارا لأن يسمع لخصمه قائلا كلمته المشهورة
« فلربما يكون قد فقت عيناه الاثنان ! » ذلك لأننى لا أجلس إلى
منصة قضاء .. وإنما اجتهد فى أن أقدم مشورتى لمن يطلبها منى فى ضوء
ما يعرضه على من وقائع وما يهدينى إليه احساسى بصدقه :

فإذا كان صادقا فما يقول فقد تفيده مشورتى .. وان لم يكن كذلك
فلقد خدع نفسه قبل أن يخدعنى ولن تكون نصيحتى هى رأى السلم
فى مشكلته ولعل رسالتك قد اتاحت لى الفرصة لأوضح هذه الحقيقة

التي طالما ألت على من قبل .. أما عن مشكلتك .. فان رسالتك صادقة وأمينه لأنها تكاد لم تنكر شيئاً مما جاء في رسالة زوجك اللهم إلا مسألة الصوت العالي لكنها أوضحت وجهة النظر الأخرى فيه ، وهذا ما نحتاج إليه دائماً لأن لكل حقيقة وجهين .. وسماع الرأي الآخر قد يقرب وجهات النظر ويحقق نوعاً من التلاقى في منتصف الطريق . وصدقك في رسالتك ياسيدتى وأسلوبك المهدب في الرد بالرغم مما نالك من أذى نفسى من ردى على رسالة زوجك يقطع باماتك وأصالتك وكرم أخلاقك ورقة مشاعرك .. وكل ذلك يرشحك للسعادة والوفاق مع زوجك المحب الحريص عليك المتلهف على ان تشاركه حياته واهتماماته الصغيرة وآماله وأحاديث الحياة اليومية التي تروح عن القلب بعض همهم ولا شك أن ذلك من حقه .. كما هو من حقك عليه أيضاً .

وخطورة عزوف الزوجة عن مشاركة زوجها حياته وآماله واهتماماته .. مع العبوس والتجهم والانفراد بالنفس هو أنه يوحى بموقف متحفظ متكبر تجاه الزوج يشئ بجفاف المشاعر والعواطف .. ربما لاتعنيه الزوجة لكنها قد تؤخذ به وقد يكون سبباً كافياً لهدم عشنا وسعادتها ، فحين يحل الخصام ويسود الاكتئاب وافتقاد اليناس يغيب السلام النفسى وتفقد الأشياء قيمتها .. فلا يصبح مال ولا لمركز اجتماعى قيمة .. لهذا يقول سليمان الحكيم في سفر الأمثال « لقمة يابسة مع سلام .. خير من بيت مלא بالذبائح مع خصام » . وأنت إنسانة صادقة مع نفسك ومع الآخرين فكيف لاتتالين ما

تستحقين من سلام نفسى بقليل من مغالبة النفس على أن تستجيب لما يطلبه منك زوجك من مشاركته حياته والتخلي عن بعض مايشير شكواه .

على أية حال فافى اعتبر رسالتك هذه إشارة ضوء إلى انك قد استشعرت كل ذلك وإلى تغيرات هامة فى افكارك .. وإشارة ضوء أهم إلى زوجك لكى يعدل عن هجره ويعود إلى الائتناس بك ورشف رحيق السعادة معك .. وأبشره نيابة عنك بأنه سيفوز إن شاء الله بالجائزة الأولى من جائزتى الزواج .. وهى السعادة الزوجية .. فلا يبيتن الليلة إلا وانما متصافيان متحابان بأمر الله .. وهنيئا لكما عودة الوفاق والسعادة ودفء المشاعر وكفانى ما اتحملة من أوزار أرجوز زوجك رجاء شخصيا أن يخصم منها وزر إبتعاده عنك .

المـراسـيـا

لن أبدأ رسالتى بالمقدمة التقليدية عن إعجابى ببريد الجمعة .. ولا عن تأثرى ببعض ما أقرؤه فيه إلى حد أن تدمع العين لبعض المشاكل وينفطر القلب لبعضها الآخر .. فقد كنت اعتزم ان اكتب إليك بمشكلتى فإذا بي أقرؤها على لسان قارئ آخر فى رسالة الجائزة الثانية التى يشكو فيها كاتبها من زوجته .. وهكذا الحياة تتشابه مشاكل الناس فيها ، وتتكرر كأنها تنعكس فى مرايا الآخرين ، وكأنى بكاتب هذه الرسالة قد اعفانى من ان أعيد سرد قصتى عليك .. أما أكثر مالفت نظرى بوجه خاص فهو أننى كنت مثله فى السادسة والأربعين من عمرى حين واجهت هذا الاختيار الذى أسميته فى ردك بين أن يفوز الإنسان بالجائزة الأولى للزواج وهى السعادة الزوجية .. أو يرضى بالجائزة الثانية وهى جائزة الحكمة ويصبر على مايلقيه من عناء وتعاسة مع زوجته ..

ففى هذه السن نفسها واجهت مثله هذا الاختيار .. بعد أن وصلت إلى المرحلة التى نصحت فيها الزوج ان يستشير خوف الزوجة على استمرار حياتهما الزوجية لكى تبذل بعض الحرص على ارضاء زوجها ونجاح

الزواج ولكن التخويف والتهديد لم يجديا في ظروفى مع زوجتى لأنها مقتنعة تماما بأنها أحسن الناس وأفضلهم .. بل بأنها أفضل من الملائكة في تصرفاتها لكن عيني المريضة هى التى تعمى عن محاسنها . فإذا ماسقت إليها حديث الرسول صلى الله عليه وسلم في وجوب طاعة الزوجة لزوجها .. كان ردها أن « الرجال » الذين قصدهم الرسول بحديثه لم يعد لهم وجود الآن !! ومع ما في ذلك من اهانة لى فقد كنت أتحملها من أجل أولادى حتى تمكن منها تماما هذا الاحساس بتفضيل ذاتها وأهلها على كافة البشر.. ولم تعد تجدى معها أية محاولات . فماذا كان على أن أفعل .. هل اكتفى بالمعاناة والصبر واجترار الآلام إلى الملائمة قانعا بالجائزة الثانية ؟..

لقد قررت أن اختار الجائزة الأولى وتجاوزت مرحلة التهديد إلى الزواج وتزوجت فعلا غيرها وأما كيف .. فلست أدري .. ومن تزوجت ؟.. فأى إنسانة .. فلقد كنت مشتت الفكر كصديق كاتب الرسالة الأولى حتى وصلت إلى مرحلة الشك فى أنى إنسان سىء فعلا إلى هذا الحد .. فكيف ترضى بى إنسانة أخرى .. فإذا برحمة ربك تنتشلى من حيرتى وعذابى وإذا بأبنة العشرين ترضى بى زوجا وهى سعيدة وإذا بى وقد تزوجتها منذ ست سنوات فعرفت للزواج شكلا ومعنى ومذاقا مختلفا تماما عن محنتى الأولى .. فلقد رباها أهلها على أن الزوج هورب الأسرة المطاع وان المرأة هى السكن والمودة والرحمة .. ولا أريد الاسترسال فى ذكر محاسنها حتى لا يتصور أحد أنى قد فتننت بها لفارق السن بينى وبينها وهو ما لم يحدث واقسم لك على ذلك .. فماذا

حدث على الجانب الآخر؟..

لقد ازداد عناد زوجتى الأولى وازداد ضجيجها الذى كان يتم داخل جدران بيتنا فامتد إلى بيوت الآخرين من الأقارب وغير الأقارب .. ووجدت فى اقدامى على الزواج بعد أن أعيانى أمر اصلاحها والتفاهم معها مبررا لكل تصرفاتها السابقة واللاحقة .. وازداد الهجوم على بأتى خائن للعشرة وغير معترف بأفضالها .. وغير شاكر لنعمة الله التى انعمها على بزواجى منها .. ثم امتد الأمر بعد ذلك إلى الاتهامات المألوفة فى الظروف الماثلة من نوع أنى قصرت دائما فى حقوقها فلم تر معى يوما واحدا سعيدا .. ولم اشتر لها ما تحتاجه من ملابس .. بل ومن قوت ضرورى أيضا سامحها الله وسامح كل من يفترى ظلما على غيره .. مع أنها لاتعمل وليس لها مصدر دخل سوى وأنا والحمد لله نعيش فى مستوى معقول بين متوسطى الدخل .. ولم يقف الأمر عند ذلك .. بل بدأت فى اقناع أولادى بأننى ماكنت لها يوما وأنها قد تحملت آلاما لاطاقة لبشر بها من أجلهم ومن أجل تربيتهم .. فإذا بأبنائى الذين كانوا يوبخونها بسبب تصرفاتها معى ينحازون إليها وإذا بى قد أصبحت الأثنائى الذى سيقتل امهم بعد أن تصنعت المرض أمامهم وادعت أنها تأتيتها الكوايس فتنهض مذعورة .. أولادى .. البحر .. الحريقة .. قلبى .. الضغط .. منه لله !!!

مع أن كل الأطباء الذين عادوها اكدوا أنها لاتشكو من أى مرض عضوى .. لكنهم بالطبع كما قلت أطباء لايفهمون فى الطب !! سيدى ... ماذا يفعل صاحب الجائزة الثانية إذا خرج من مرحلة

التخويف والتهديد التي مررت بها إلى مرحلة الاقتناع والتنفيذ كما حدث معي .. أننى أقول لك صادقا أنه وغيره من الأزواج التعساء الذين يعانون من نفس هذه المشكلة يصبحون صيدا سهلا لأى طائر يحوم حولهم مهما كان سن الرجل أو وضعه الاجتماعى .. لأن الرجل إذا تشكك فى رجولته من جانب أقرب الناس إليه وهى زوجته أقدم على ارتكاب أى شىء وأى زوجة تشقى زوجها بكبريائها وعبوسها ونكدها وعدم التجاوب معه إنما ترفض رجولة الرجل وتحاول أن تكون هى رجل الأسرة الذى تنازل وقبل الارتباط بالزوج واعطاه اسمه ! .. وعليه أن يكون لذلك من الشاكرين .. فإذا يفعل مثل هذا الزوج .. اما ماذا أفعل أنا فتلك رسالة أخرى أرجو أن يتسع لها قلبك ذات يوم والسلام عليكم ورحمة الله ..

ولكاتب هذه الرسالة أقول : يفعل الزوج ما أشرت إليه من قبل وهوان يختار بين الجائزتين إما أن يبحث عن سعادته الخاصة مهما كانت التبعات والمشاكل التى تترتب على ذلك .. واما أن يضع مسؤولياته الأسرية دائما أمام ناظره ويضحى بسعادته الخاصة لحساب ابنائه ويرضى بجائزة الحكمة .. وانت قد اخترت .. لكنى ما اخترته قد يصلح لك ولا يصلح لغيرك . لأن لكل إنسان ظروفه الخاصة التى لا يستطيع أحد تقديرها سواه .. لهذا فأنى لا أنصح حائرا بأحد هذين الاختيارين واترك دائما لضميره وقلبه ومدى قدرته على التضحية والاحتمال ان ترجح كفة أحدهما .. وان كنت أفضل شخصا ألا ينفد صبر الزوج وألا ييأس ابدأ من المحاولة حماية للأبناء من التمزق بين الأبوين .. فقد

علمتني الأيام وما أقرؤه في رسائل بريد الجمعة ان الأبناء لا يفهمون ابدا لغة السعادة الخاصة التي يبحث عنها الزوج مهما كانت زوجته لا تتحمل .. لأنها في النهاية أمهم .. ولأنهم يريدون لأنفسهم دائما الأفضل والأحسن .. والأفضل بالنسبة لهم دائما هو الحافظ على كيان الأسرة مهما كانت التضحيات التي يتحملها الأب أو الأم .. وقصتك خير تصوير لموقف الأبناء من هذه القضية .. فأبناؤك الذين كانوا يلومون أمهم على سوء تصرفها معك .. قد انحازوا إليها بعد اقدمك على الزواج ورأوا في ذلك اناية سوف تقتل أمهم . وتغلبت عاطفتهم تجاه أمهم على مشاعرهم لأنهم احسوا أيضا انهم قد أضربوا نفسيا بزواجك من أخرى .. والأم عموما أكثر تأثرا من الأب .. والجانب العاطفي أكثر تأثرا عليهم في هذه الظروف من الجانب العقلاني والمنطقي .. وهو على أية حال موقف شائك وشديد التعقيد دائما .. ورسالتك على أية حال فرصة طيبة لكي تقترب من أفكار « الرجل » ومشاعره حين يواجه هذا الموقف العصيب وفي ذلك بالتأكيد ما يفيد بعض الزوجات .. وما يحقق بعض العدالة في طرح وجهتي النظر في المسألة ، وهي أيضا رد مناسب على بعض من يدين أنى أفسح المجال في بريد الجمعة لوجهة نظر المرأة ومشاعرها في هذا الموقف .. وهو اتهام لاسند له لأنى أعرض ما اتلقاه من رسائل تصور مواقف الحياة المختلفة وحيرة الإنسان الأزلية ازاءها .. فإذا كانت رسائل المرأة أكثر .. فأنها الأكثر شكوى .. والأقل حيلة في بعض الأحيان .. وان كانت رسائل الرجال أقل فلأنهم أقدر على التصرف في حياتهم حين يواجهون هذه العقبات .. لهذا فنحن نسلم

فقط للمعذبين بحيرتهم .. وبعدم قدرتهم على اتخاذ القرار تقديرا
للاعتبارات العديدة أما ذوو الحسم والجرأة على الاختيار مثلك .. فقليل
مانقراً لهم إلا بعد ان يكون السيف قد نفذ ليحدثونا عما فعلوا ..
وليشرحوا دوافعهم والقادرون على الحسم قليلون دائماً في كل مكان
وزمان ..

أما كاتب الرسالة الأولى .. فلا تقلق عليه .. ولعلك قد قرأت
رسالة زوجته التي تشرح فيها وجهة نظرها فيما يشكو منه زوجها .. مما
يفيد أنها تستشعر ضرورة التفاهم والتقارب والالتقاء معه حول نقطة
وسط وهي علامة مبشرة .. تؤكد أنه لن يحتاج إلى مواجهة الاختيار
وان جائزته الأولى مع زوجته وابنائهم قد أصبحت قريبة المنال بالنسبة
له .. ومبارك عليه ما استحق .. وعقبى لكل المعذبين والمعدبات في كل
مكان ان شاء الله .

الرجل الغريب

مشكلتي باختصار هي أنني واحد من أبناء جيل الهجرة فلقد هاجر أبي أو سافر للعمل في إحدى الدول العربية وأنا طفل عمره ٣ سنوات وشقيقي الأصغر لم يكمل عامه الأول ، واستمر أبي في عمله في الخارج لمدة ١٧ سنة لم نكن نراه خلالها سوى لمدة شهر واحد كل عامين ، لأنه كان يفضل أن يعمل عاما بلا إجازات ليتقاضى أجر الإجازة ، ثم يعود في العام التالي لزيارتنا لمدة شهر ولقد وفر لنا سفره للخارج أشياء عديدة ، فانتقلنا إلى شقة أوسع وأرقق وأصبحت لي سيارة خاصة ، وأصبح مستوى انفاقي أكبر من انفاق زملائي بلا انحراف والحمد لله لأن أمنا نشأتنا على التمسك بالدين والأخلاق القويمة . وفجأة منذ ٤ شهور قرر أبي مكرها أن يعود من الخارج وان يستقر معنا في مصر فعاد واستقر وبدأت مشكلتنا العجيبة .. فالمشكلة هي أنني وأخي نشعر منذ عاد أبي أن هناك رجلا غريبا عنا يعيش معنا في شقتنا .. رجلا لم نألفه ولم نعتد الحياة معه ولا نعرف عنه الكثير اللهم إذا اعتبرت الإجازات القصيرة المتباعدة فترة كافية لمعرفة

إنسان والتآلف معه ، لكن الواقع الذى نحسه يقول لنا غير ذلك ..
فنحن - وأكرر مرة أخرى - نشعر بأن رجلا غريبا يعيش بيننا .. وبلا
سبب واضح ! كما إنه لا يعرف كيف يتعامل معنا ولا يزال يتصور أننا
مازلنا أطفالا صغارا ويتعامل معنا على هذا الأساس ويعاملنا أحيانا
كما لو كنا مرضى بمرض عقلى ويتصرف أحيانا بطريقة غريبة علينا لا
أعرف كيف أصفها لك وفى بداية وجوده معنا طلبت منا أمنا أن
نقترب منه وأن نجعله يتألف معنا ومع طريقة حياتنا ، وبالفعل بدأنا
نخرج سويا ونحاول أن نجتذبه إلى عالمنا لكنه رفض باصرار فهو لا يحب
الموسيقى ، ويعتبر مثلا أن سهرة فى ملهى ليل أفضل ألف مرة من
سهرة فى الأوبرا وقد حاولنا كثيرا أن نتأقلم معه لكننا وبعد أربعة
شهور من عودته نشعر بأن الحياة معه مستحيلة ويتعاضم داخلنا الشعور
بالغربة عنه وبالكراهية له !

إننى أشعر بالذنب لهذا الإحساس بل وأخجل منه لأنه بينما يشعر
الجميع بالحب لآبائهم فأنى أشعر تجاهه بالكراهة والاعترا ب .. فماذا
تنصحنى أن أفعل ؟

ولكاتب هذه الرسالة الخطيرة أقول : الطريق إلى جهنم قد يكون
مفروشا أحيانا بالنوايا الطيبة ! فلا شك أن نوايا أبك عند هجرته
كانت طيبة وشريفة وكان إسعادكم وتوفير امكانات الحياة الكريمة
لكم هى غايته وهدفه ، لكن سفره وحيدا وغيا به الطويل عنكم بلا
مبرر وتباعد الاجازات وقصرها قد أفسد عليه أهدافه الشريفة من
حيث لا يدري - ونحن نشجع الجميع على أن يسعوا فى الأرض فى

مصر وفي خارجها وعلى أن يكافحوا لرفع مستوى حياتهم و حياة
 ذويهم لكننا نطالب دائما بالحفاظ على وحدة الأسرة بقدر الامكان
 هنا وفي أى مكان ، فإذا تعذر اصطحاب الأسرة فلتكن الهجرة إذن
 قصيرة ومحددة بأهداف قريبة اتقاء لمخاطر عديدة من بينها هذا الخطر
 الجديد الذى تعرضه رسالتك بقسوة بالغة ! إن الغياب الطويل قد
 يضعف الروابط لاشك فى ذلك .. لكن أ يصل الأمر إلى هذا الحد
 حقاً ؟ أم أن هناك نقصا ما لم تلتفت إليه أمكما فى ربطكما وجدانيا
 بانيكما خلال سنوات الغياب الطويل هو الذى أثمر هذا الشعور
 بالغبرة والكراهية تجاهه .

لا أستطيع أن أجزم بالإجابة .. لكننى أقول لك على أية حال أن
 الاقتراب من الآخرين يتطلب تنازلات متبادلة من الطرفين والصبر
 على اختلاف الطباع وتلمس جوانب الاتفاق وتجاهل جوانب
 الاختلاف واتما الطرف المرشح أكثر من غيره لتقديم التنازلات لانكما
 مازلتما فى دور التكوين ولم ترسخ طباعكما بعد كما هو الحال مع ابيكما
 فحاولا أن تدخلتا عالمه بنفس القدر الذى تحاولان فيه اجتذابه إلى
 عالمكما مع تأييدى لكما فى رفض حكاية الملهى اللبلى هذه وخير ما
 تفعلانه لمقاومة هذا الاحساس الآثم هو أن تذكرا دائما أنكما
 تتعاملان مع أبيكما الذى لا يوجد على ظهر الأرض من يعنيه أمركما
 أكثر منه وأن الأب رمز رفيع لمعان جليلة وعميقة وتاج على رعوس
 الأبناء قد لا يراه أحيانا إلا من حرموا منه فلا تبظرا على هذه النعمة
 الجليلة التى افاء الله بها عليكما .. وتذكرا دائما أن محاولاتكما لقبوله

والتألف معه والاقتراب منه هي أولا وأخيرا واجب إنساني تجاه
نفسيكما وتجاهه وحق لأبيكما .. وعبادة لربكما فلا تقصرا فيها ..
والزمن كفيل بتدوين الجليلد .

تحية المساء

لا أعرف كيف أبدأ خطابي لك .. فالكلمات تتسابق في خاطري للقفز إلى الورق والأفكار تتزاحم داخلي وتثير حيرتي من أين أبدأ .. وأخيرا استقر اختياري على أن أبدأ بالسنة الأخيرة من دراستي الجامعية وأنا طالبة بكلية التجارة .. فقد كنت واقفة ذات أصيل على محطة الأنويس انتظر عودتي لبيتى فإذا بشاب يتقدم منى بثبات غريب ومحيينى تحية المساء فنظرت إليه مستطلعة لعله يكون من أقاربي البعيدين أو من زملاء الكلية .. لكنى لدهشتى لم أعرفه فلم أرد تحيته فإذا به بجرأة عجيبة يقدم لى نفسه بأنه طالب بليسانس الحقوق وسوف يتخرج بعد شهور ومعجب بى منذ فترة طويلة ... إلخ ... فوجدت نفسى اقفز فى الأنويس وابتعد عنه وأنا اتعجب وأحاول استرجاع صورته فأجد ملاپسه شبه رثة لكنه لا يحس بذلك ويتكلم بثقة غريبة - وبعد قليل نسيت أمره فى زحام الأنويس وزحام الحياة ..

وبعد يومين وجدته أمامى على نفس المحطة فأشحت بوجهى عنه .. فإذا به يتقدم إلى كأنه أحد أقاربي ويواصل حديثه كما لو كان بدأه منذ لحظات ويقول لى أنه يريد أن يتقدم لخطبتي بعد التخرج لكنه يريد أن

يعرف رأيي أولا ! ، فالجمت الدهشة لساني .. أى خطبة .. وأى رأى .. ولم أجه وتحركت بعيدا إلى أن جاء الأتوبيس .. ثم ركبته وهو يودعنى ببساطة كأننا أصدقاء وفى هذه المرة لم أستطع أن أمنع نفسى من التفكير فيه .. وكان أكثر ما يحيرنى فيه هو هذه الثقة التى يتحدث بها وكأنه ملك رغم تواضع ملابسه التى لاحظت أنه لم يغيرها كما لاحظت أنه يرتدى نفس البنطلون الرصاصى المتهالك الذى رأيته به فى المرة الأولى وتكرر اللقاء بنفس الطريقة عدة مرات ، وفى كل مرة يقدم لى بعض المعلومات عنه بلا طلب وبلا رد منى فعرفت أنه ابن لموظف على المعاش كثير الأبناء وأنه يعمل فى الصيف عامل محارة ويدخر بعض الجنيهات التى ينفق منها على تعليمه طوال السنة .. وأنه لا ينتظر أى مساعدة من أبيه المثلث بالأعباء وفى المرة العاشرة طلب منى بأدب وإلحاح أن تمشى على كوبرى الجامعة ليحدثنى عن أحلامه .. فلم استطع المقاومة وتمشيت معه لفترة قصيرة عرفت خلالها أنه يعرف عنى كل شىء .. وأنه راقبى طويلا وتتبعنى عن بعد وعرف عنوانى .. وعرف أن أبى موظف بمصلحة كذا وأن لى أخوة وأخوات ... إلخ واعترفت لنفسى فى هذه اللحظة أنى ارتبطت به .. وإن أكثر ما شدنى إليه هو هذه الثقة التى يتطلع بها إلى المستقبل وأنه لا يشعر بأى نقص رغم سوء الحال بل ويرى نفسه جديرا بأفضل الأشياء وفتاحت أسمى بالأمر فلم تجد فيه خطيبا واعدة بمستقبل مضمون .. فهو شاب لا امكانيات له ومشواره طويل لكنى تمسكت به فوافقت مرغمة وانتهى الأمر بالاتفاق على ان يتقدم لخطبى بعد الامتحان ، وجاء الموعد فجاء

خطيبى مع أبيه لقراءة الفاتحة وتقديم الدبلة وفي هذه الجلسة اكتشفت أن والده ليس موظفا بالمعاش كما قال لى وإنما سائق متقاعد لضعف نظره وغير متعلم ، وحين لفت نظره إلى أنه كذب على فى ذلك رغم عدم أهميته قال ببساطة أننا كنا فى فترة التعارف الأولى .. وأنه حاول أن يظهر أمامى فى صورة مقبولة ليفوز بى وأنه لا ضرر فى ذلك ١ . ولم اتوقف كثيرا أمام هذه « الكذبة » بل لعلى اعتبرتها دليلا على شدة رغبته فى الارتباط بى وقتها ونخرجنا .. وبدأ يعمل فى المحارة فى انتظار أداء الخدمة العسكرية واقتصرت مقابلاتنا على يوم الجمعة .. ثم التحق بالجيش فطالت خدمته ثلاث سنوات بسبب ظروف حرب أكتوبر وخرج يبحث عن عمل .. فجاءه التعيين بالإدارة القانونية فى إحدى المصالح الحكومية وعينت مثله فى مصلحة أخرى .. وبدأنا نستعد للزواج فلم نستطع إيجاد الشقة وطلبت منه الانتظار إلى أن يتجمع لدينا ما نوفر به الشقة فرفض وأصر على الإسراع بالزواج وإن نتزوج فى شقة أسرته أو فى بيت أسرتى إذا أردت وراجعت نفسى فوجدت أن ٤ سنوات قد مضت على خطبتي .. وأنه من مصلحتى أن أتزوج على أى وضع فقبلت واخترت أن نتزوج فى شقة أسرته وتزوجنا بأثاث غرفة نوم فقط وضعناه فى غرفة الصالون فى الشقة المكدسة بالأبناء ... وعشنا أياما سعيدة رغم الزحام والمتاعب التى لا بد منها .. ثم ضقت بجيأتى مع أسرته فانتقلنا إلى بيت أسرتى لعدة شهور .. حتى بدأت أمى تحشى على مطالبته بشقة أو سكن مستقل .. ولم أكن فى حاجة إلى ذلك فقد كنت اطالبه كل يوم بالبحث عن شقة وأضع كل ما معى من مدخرات بين

يديه ، ويبحث هو طويلا ثم عاد إلى ذات يوم بفكرة غريبة هي الاقامة في غرفة من غرف شقة مكاتب في وسط المدينة كان يؤجرها أحد المحامين وطلب مبلغا معقولا فيها .. واستغربت الفكرة لكن ضيقى بالاقامة بين أسرقى بعد زواجى .. دفعنى للموافقة ، فأسرع ببيع أثاث غرفة نومنا ويدفع المبلغ المطلوب ثم اشترى كنبه سرير ووضعها في الغرفة ودعانى لرؤية بيت الزوجية فوجدتها غرفة بها مكتب وبعض المقاعد الجلدية العتيقة وهذه الكنبه التى تطوى فى النهار وتفرد فى الليل ، ورغم ذلك فقد سعدت ولم يقلل من فرحتى بها أن إلى جوارها غرفتين إحداهما لحام والأخرى لمهندس ، وأن الشقة بابها مفتوح باستمرار لاستقبال زبائن المكاتب ! فلقد كانت لهفتى إلى جدران غرفة مستقلة أكبر من أى شىء ، وبدأت حياتى فى هذه الشقة العجيبة .. وكان أحب ما فيها إلى أن فترة الصباح كانت خالصة لنا لأن العمل فى المكاتب لا يبدأ قبل الظهر .

وفى هذه الشقة عشت عامين وأنجبت طفلا .. وكان زوجى قد انضم إلى نقابة المحامين فراح يساعد جاره المحامى فى بعض أعماله ويكسب بعض الدخل الذى ندخره لاستئجار شقة فى المستقبل ثم أوقف المهندس نشاطه وأغلق المكتب فعرض عليه زوجى أن يشترى غرفته واشتراها فعلا وأصبح لنا غرفتان من الشقة ذات الغرف الثلاثة لكن بقيت مشكلة هى أنها غير متجاورتين وإن مسامى زوجى قد فشلت فى إقناع المحامى باستبدال غرفته بالأخرى لتتجاور الغرفتان وإن كان لم يقطع تعاونه معه ! ثم فاجأنى زوجى بقرار جرىء آخر من

قراراته هو الاستقالة من الحكومة والعمل بالإدارة القانونية لإحدى شركات الاستثمار الجديدة .. ولم ينتظر موافقتي ونفذه بالفعل وأصبح له راتب كبير .. وعاد يحاول مع جارنا المحامى بلا يأس ومضت ٤ سنوات أنجبت خلالها طفلة أخرى ولم تخل الحياة فيها من متاعب الإقامة مع مكتب مفتوح للرواد لكنى تحملت كل شيء من أجل أولادى ومن أجل زوجى الذى كان بلسما لكل جراحى .

وبعد عامين من عمل زوجى فى الشركة الاستثمارية نجح فى إقناع جارنا المحامى بالتنازل له عن الغرفة نهائيا مقابل إلحاقة بوظيفة فى نفس الشركة .. ولا أعرف كيف نجح فى ذلك .. ولا كيف الحقه بالعمل فعلا لكنه حدث وأصفته أنا إلى قائمة معجزاته التى يصنعها بالاصرار والجرأة والثقة المتزايدة فى النفس .. وجاءت ذات يوم عربة نقل لتحمل أثاث المحامى .. وجاء زوجى بنجار ليقوم بتغيير الكالون ، ثم إستدار إلى بعد انصراف النجار وقال لى بفخر شديد : تفضل ياسيدنى مفتاح شقتك الخاصة ! وهكذا أصبحت لى شقة مستقلة لأول مرة بعد الزواج بـ ٩ سنوات كاملة ! ولا تسل عن فرحتى بها .. ولا عن الأيام التى امضيتها فى تنظيفها من مخلفات سنين طويلة ، ثم علقت فيها الستائر .. واشترت بعض الأثاث المستعمل ووضعت فيها . ومضت الأيام جميلة سعيدة .. وبدأنا نعرف طعم الرخاء فى حياتنا بعد أن زال عنا هم الشقة .. ثم تعثرت الشركة التى يعمل بها زوجى واستغنت عن معظم موظفيها .. ومنهم زوجى فلم يهتز .. وإنما اختفى ذات يوم وعاد معه لافتة باسمه وضعها على باب الشقة .. وحول غرفة الصالون إلى

مكتب وبدأ يعمل بالحمامة ولم يمض وقت طويل حتى أصبح مستشارا لشركة أخرى مع استمراره في العمل كمحام ثم اشترى سيارة وراح يتنقل بها بين الأقاليم لمتابعة قضايا الشركة وقضاياها الخاصة .. ثم اشترى شقة في مصر الجديدة وأثناها لتكون مسكنا وانتقلنا إليها وأخلىنا الشقة القديمة لتكون مكتبا خاصا له .. وأصبح لزوجي مساعدون في مكتبه منهم جارنا المحامي القديم !

وكبر الأولاد فالحقناهم بمدرسة راقية .. وكثرت مطالبهم فطلب مني زوجي الاستقالة من العمل والتفرغ لهم وله .. واستجبت لطلبه فكافأني بأن اشترى لي سيارة صغيرة لأزور بها أهلي وشقيقاتي وتوسع زوجي في عمله وأصبح عنده موظفون وسكرتيرة ، واهتم بمظهره اهتماما مبالغا فيه فأصبح لا يرتدى إلا البذل الفاخرة ويبالغ في ذلك حتى ذكرته ذات يوم بالبنطلون الرصاصي المهالك فغضب قليلا .. ثم صفا .

واردت أن أشكر الله على نعمته فتحجبت بغير دعوة منه .. واكثرت من الصلاة والتصدق ، ودعوته للصلاة .. فوعدني بالمواظبة لكنه أخلف وعده وتركزت حياتي في رعاية أولادى الذين أصبحوا ثلاثة .. ورعاية زوجي فارسى القديم وزيارة أهلى وأهل زوجي طلبا لرضاء الله .. وطلبت منه ان نحج معا فاعتذر لي بكثرة مشاغله ورتب لي رحلة الحج مع أبى ودفع نفقاتنا معا فأديت الفريضة ودعوت له كثيرا .. وعدت سعيدة شاكرة وفي غمرة السكينة التى نزلت على بعد أداء فريضة الحج فوجئت بإحدى صديقات النادى الذى أذهب إليه

كل أسبوع مرة مع الأبناء تنظر إلى بغموض ثم تسألني بعد تردد : ألم تسمعي شيئا عن زوجك ؟ فانقبض قلبي بلا سبب وسألتها عما تعني فإذا بها تنزل على بخبر لم اتصور ان أعيش لأسمعه ذات يوم فقد قالت لي إن زوجي تزوج وأنا في الحج .. وإن الجميع يعرفون ذلك .. ومن تزوج ؟ من أرملة في الثامنة والأربعين تكبرني بعشر سنوات وتكبره به ٤ أعوام .. لكنها ثرية ومن أسرة عريقة .. ولها أبناء تخرجوا في الجامعة ! ولم أصدق ما سمعت لكنها أقسمت لي على صدقه وأنه يظهر معها في المجتمعات وتزوره في مكتبه ويزورها في بيتها .. ويحضر الدعوات العائلية معها .

وعجزت عن النهوض من مقعدي فطلبت من صديقاتي أن تستدعي أولادي من الملاعب وإن تقود سيارتي للبيت ففعلت .. وجالسي في بيتي فترة تحاول تهدئي فغبت عن الوعي ولم أشعر إلا .. وهي ترش على الكولونيا . ثم شكرتها وطلبت منها أن تركني لاستريح في فراشي .. وساعدتني في النهوض لغرفة نومي وأوصت الأولاد بالاهتمام بي وانصرفت وأغلقت باب حجرتي على ودخلت فراشي .. وانفجرت في البكاء حتى جفت دموعي .. وبقيت في فراشي حتى جاء زوجي ورآني فتوجس خيفة .. ثم وضع يده على جبهتي ليتحسس حرارتي .. فدفعت يده بعيدا عني واغمضت عيني لكيلا أراه .. ثم انصرف وعاد بعد قليل بطبيب تفحصني وقال أن ضغطي منخفض للغاية أتي في حاجة إلى راحة وبعض الأدوية وظللت في فراشي ثلاثة أيام لا أغادره إلا للحمام ولا أشعر بالقدرة على المشي ورجوته أن ينام في

غرفة الأبناء لحاجتى للراحة وفى اليوم الرابع جاء يسألنى عن صحتى
فقلت له : كلمة واحدة .. أريد الطلاق !

فهم ما حدث .. لكنه لم يخفض رأسه كما يفعل الحونة حين
يضبطون متلبسين بخياناتهم .. ولم يذرف دمعا .. وإنما نظر إلى فى هدوء
وبالثقة التى تفلق الحجر ثم قال لى أنه يعرف ماذا أقصد وانطلق
يتحدث بجرأة ووقاحة لانظير لها عن « ظروف » هذا الزواج وكيف أنها
سيدة يقوم لها بأعمال كثيرة يكسب من ورائها الكثير وأنها سيشتركان معا
فى مشروع يدر عليه عائدا كبيرا وأنها جعلت زواجها منه شرطا لاستمرار
المشروع والتعاون معه لكى تأمن على مالها ! وأنه اضطر « للتضحية »
من أجل مستقبل الأولاد .. ولكى يكون « لى » ثروة .. وأنى حبه
الأول والوحيد ... إلخ .. فوجدت نفسى بغير أن أدرى اقدفه
بالوسادة واطلب منه الخروج فأسرع بالفرار ..

ومضت أسابيع وأنا مصممة على قرارى .. وهو مصمم على أن
أعيد التفكير فى الأمر من أجل الأولاد ومن أجل « حبنا » القديم ..
وقد حرمت عليه دخول غرفة نومى .. واسرفت فى البكاء واحتساء
القهوة حتى تورمت عيناى .. وأصبحت أشرب عشرة فناجين كل يوم
وظهرت الهالات السوداء تحت عيني .. وكلما فكرت فى الأمر ازدادت
جنونا .. ارملة أكبر منه وعندها أولاد تخرجوا فى الجامعة ولسبب حقير
كهذا السبب ! أين هذا الحب اذن الذى يتحدثون عنه .. وأين
الاخلاص والوفاء .. وتقدير كفاح الزوجة مع زوجها .. ألم أقبله وهو

يرتدى بنظلوله الرصاصى الشهير.. ألم اتزوجه فى بيت أسرته الذى
يزدحم بعشرة افراد.. ألم اتزوج فى غرفة مكتب فى شقة بابها مفتوح
ويدخلها العشرات كل يوم.. ألم.. ألم.. كيف إذن باعنى بهذه
السهولة.. وهل هذه هى الجائزة التى يقدمها لى بعد أن صبرنا على
المتاعب معا.. وحققنا أحلامنا وأصبحت لنا حياة سعيدة مستقرة..
وأبناء كالزهور المتفتحة نفخر بهم، ثم ماذا ينقصنا؟ مكتبه يدر دخلا
كبيرا ووظيفته راتبها كبير ولدينا شقة تمليك ومدخرات.. فلماذا يفعل بى
هذا وفى وسط هذا العذاب أفاجأ ذات يوم بتليفون... هل تعرف
ممن؟ من غريمى نفسها ياسيدى تتحدث إلى بكل جرأة وتطلب منى
ببساطة أن اعتبرها «أختا» أكبر لى وأن اعترف بالأمر الواقع.. لأن
«الدنيا» تتسع لكلينا.. ولا داعى للعذاب.. وهناك مصالح كثيرة..
فأغلقت السماعه قبل أن تكمل حديثها وظللت انتفض غضبا لعدة
دقائق، ولقد مضت شهور والحال على ما هو عليه فلا هو يريد طلاقى
ولا هو يريد طلاقها ويريدنى أن اعترف بما حدث وأن اتقبله.. وان
اتعايش معه.. لكنى أحس لسع النار فى جسمى كلما حاول أن يحدثنى
عن هذا الموضوع.. أو يطلب منى أن أسامحه واتنازل عن الطلاق..
إننى لست مستعدة لأن انازعه فى المحاكم واطلب الطلاق عن طريق
المحكمة لأنه فى النهاية أب لأولادى.. وأول من خفق له قلبى بالحب
لعنة الله على كل حروفه..! ويقسم لى أنه نادم على ما فعل ويعرف أننى
لا استحق منه ذلك ومستعد لأن يكفر عن جريمته فى حقى بأى شىء
أراه.. وبأى تضحية أطلبها لكنه يرجونى ألا أطلبه بطلاقها لأن له

معها مصالح كثيرة ! فإذا أفعل يارب مع هذا الرجل وبماذا تشير علي .. ؟

ولكتابة هذه الرسالة أقول : في رسالتك الكثير مما يثير الضيق لكن أكثر ما أثار جنني فيها هو « ندمه » هذا ورغبته العجيبة في التكفير عما فعل بأى توضحية يقدمها لك إلا طلاق زوجته الأخرى !

فلقد ذكرني ذلك بندم الرشيد المشهور عما فعل بوزيره ومربيه يحيى البرمكي وقصة تكفيره عنه ، فلقد كان هارون قد أقسم له في أول خلافته ألا يناله منه أذى مهما فعل ثم سجنه فيما بعد ونكب بالبرامكة كلهم ، وأحس فيما بعد بالندم على حثه بيمينه لصديقه وأراد أن يكفر عن ذلك .. فقرر أن يحج ماشيا إلى مكة .. ونفذ قراره بالفعل وتكبد في رحلته هذه مشاقا كبيرة وتكبدت الدولة التي رافقته في رحلته الشاقة بجيوشها ووزرائها وقادتها وخدمها وحشمها نفقات باهظة .. ورغم كل ذلك لم يفكر الرشيد في أن يكفر عن حثه بقسمه باطلاق سراح وزيره من السجن وتركه إلى أن مات فيه وهو في السبعين من عمره !

وهذا بالضبط هو ما يريد أن يفعله معك زوجك .. أن يعبر عن « ندمه » ويكفر عن فعلته في الاتجاه الآخر وليس في الاتجاه الصحيح ! ولأنه ندم غير صادق فإن تكفيره أيضا غير صادق وليس سوى أحبولة جديدة من أحابيله لكي يقنعك بقبول الأمر الواقع والتعايش معه ليستمر هو بهدوء في مخططاته للارتواء بنفس الجراءة التي اتسمت بها شخصيته منذ البداية ! وهذا هو أبشع ما في غدره بك .

فكل إنسان معرض للخطأ وإذا صح ندمه عليه اغفر له .. أما التلاعب بالكلمات والمعاني فهو شيء آخر يدخل في دائرة الخداع .. وتزيد من بشاعته دوافعه إلى الأقدام على هذا الغدر ، ولو كان قد قاده إليه ضعف بشرى عابر لهان أمره وسهل الرجوع عنه وتجاوزه والصفح عنه .. أما أن يزلزل سعادتكما .. وبعد هذه القصة الطويلة الجميلة التي بدأت بتحية المساء على محطة أتوبيس لمجرد دافع مادي وضع كهذا الدافع .. فهو ليس ضعفا بشريا ولا نزوة عابرة وإنما خطأ متعمد مع سبق الإصرار والترصد في حق كل القيم السامية . ورفضك للاعتراف بهذا الواقع ومعايشته دليل جديد على نقائصك الذي لم تفسده صعوبات الحياة في البداية ولا رشاؤها فيما بعد وأنا أؤيدك بشدة في رفضك لهذا الواقع المشين وأطالبك بالأناستسلمي له ولا تعطيه صك الغفران الذي يطلبه وأن تواصل رفضه مع التمسك بموقعك ومملكته إلى النهاية إلى أن يعود إلى رشده وسوف تتصرين بالضرورة ومهما طال الانتظار .. لأنه لن يصح إلا الصحيح ولأنك البراءة والنقاء والحياة السوية الشريفة والحب القديم والأبناء والأم وعشرات المعاني الجميلة .. أما الأخرى فزوجك فعلا هو عقابها العادل لها من الدنيا على تطفلها على حياتك وسعادتك واستقرارك وهو طالب دنيا لن يستريح مهما جنى من مال ولن يبدأ ولن يرتوى فيما أظن لكنه لن يطول انتظارك قبل أن تسمعي قريبا وبإذن الله عن منازعاتها أمام المحاكم التجارية وليس أمام محاكم الأحوال الشخصية فقط لأن كلا منها طامع في الآخر وإن اختلفت الدوافع وما يبينه الجشع في سنوات تدروه الرياح في لحظات يا سيدتي

وعندها سوف يلجأ إليك نادما بصدق هذه المرة لكى تقف إلى جواره
فى محنته كما وقفت معه فى سنوات الكفاح الطويلة ولن تخذليه
وسوف تقف معه وتساعدنه على اجتياز المحنة من أجل ابنائك ومن
أجلك .. ولأن الحب الحقيقى عطاء إلى النهاية ولو كان أحيانا لمن لا
يستحقون !

اللقاء الأول

هل تذكرني ؟ إنني اكتب إليك لأن لك دورا هاما في حياتي بالرغم من أنك لم تترني ولا تعرفني .. ولأبدأ من البداية لكي تتذكر قصتي فلقد كتبت لك منذ سنوات أروى لك قصة حياتي وقلت لك انني تزوجت في سن صغيرة من أحد أقارب أبي .. وأن زوجي كان يكبرني ب ١٦ سنة لكنه كان رجلا كريما ومهذبا وعلى خلق وكان في ذلك الوقت معارا لدولة أفريقية فعشت معه في الغربة ست سنوات ولم أنجب .. وعرفت أن الله قد شاء له ألا ينجب لأن معظم أخوته لم ينجبوا كذلك فالمني أن اتصور أني سأقضي حياتي كلها بلا أطفال ، لكن كرم أخلاقه وطيبته كانا يخففان عني مرارة هذا الاحساس ، ثم انتهت إعارته وعدت معه إلى بلده وعشت بجوار أهله فتعرضت لآلام نفسية كبيرة لأن أسرته تصورت ظلما أنني المسئولة عن عدم الانجاب ، وأنني حملت واجهضت نفسي وعانيت متاعب كثيرة معها حتى ضاقت بي الحياة فعدت من بلده إلى أهلي .. وطلبت الطلاق ... وانفصلنا بهدوء بعد زواج دام ٨ سنوات لم أشك خلالها شيئا من زوجي .. لكن أسرته ساءحهم الله حولوا حياتي إلى جحيم .

وواجهت الحياة كمطلقة وعمرى ٢٦ سنة .. وتحملت نظرات
 الآخرين إلى المطلقة وظلمهم لها . وحاولت أن اشغل نفسى بالعمل ..
 وأن أعيش حياتى فى هدوء وسلام عسى أن يعوضنى الله خيرا فى أيامى
 القادمة .. ثم مضت شهور وأراد الله أن اتزوج شابا يعمل بإحدى
 الدول العربية ، وتم الزواج بسرعة غريبة لأنى تصورت أنه طوق النجاة
 الذى سيتشلى من عذابى بوضعى كمطلقة وأقبلت على حياتى مع
 زوجى الثانى .. وكلى رغبة فى ألا أفشل مرة أخرى .. فإذا بى اكتشف
 أن زوجى الثانى - سامحه الله - متزوج وله أولاد يقيمون فى قرية بعيدة
 بالوجه القبلى .. وأنه مدمن للسموم البيضاء وينفق معظم راتبه الكبير
 على إدمانه .. وإذا بى أعيش فى محنة جديدة لم اتصور أن تدخرها لى
 الأيام بعد محنة انفصالى عن زوجى الأول .. وواجهت الاختيار القاسى
 مرة أخرى بين أن أضاعف من عذابى بحمل المطلقة للمرة الثانية
 وبين أن اتحمل ما لاتتحمله زوجة من معاشره زوج ، رأيت فى أيامى
 الأولى معه من العذاب مايكفىنى طوال حياتى ... وبغير تردد طويل
 اخترت الخيار القاسى .. وتوسلت إليه أن يطلقنى لأنى لا أصلح له
 وقبلت يده لكى يسرحنى باحسان .. فطلقنى واكتشفت فى ذهولى أن
 زواجى به لم يدم سوى شهرا واحدا .. وعدت لحياتى وقد تضاعفت
 همومى فيها أنا مطلقة للمرة الثانية .. وقد استصعب أن أجد من يرضى
 بمطلقة لمرة واحدة فكيف يكون الحال مع المطلقة لمرتين وبكيت حتى
 جفت دموعى وسلمت أمرى لله فإذا بى اكتشف أنى حامل من زوجى
 الثانى .. ياربى .. لقد تمنيت طفلا من زوجى الأول فلم تشأ إرادة

الله .. فكيف أحصل عليه من زوجى الثانى الذى تمنيت لو لم أكن عرفته أو التقيت به كأنما أراد الله أن يقول لى بالتجربة القاسية أن الحياة بدون أطفال مع زوج طيب أكرم من الحياة بأطفال مع زوج كزوجى الثانى وفكرت طويلا ماذا أفعل مع هذا الجنين الذى يتحرك فى أحشائى والذى سيربطنى إلى الأبد بهذا الزوج الجلاد ، حتى ولو لم أعد إليه ، وكيف ستكون صلتى به وبيننا طفل من حقه أن يراه .. وأن يضمه إليه حين يكبر .. وسوف أضطر للاتصال به كى أراه ..

وغرقت فى احزائى وفى قمة حيرتى توصلت إلى أقصى قرار يمكن أن تتخذه أم كانت تتلهف مثل على طفل لتثبت به لنفسها وللناس أنها قادرة على الانجاب .. واجهضت نفسى فى الشهر الثالث .. ودفعت ثمن جريمتى فى حق طفلى غالبا فقد عاقبنى الله عليها عقابا قاسيا فرقدت طريحة الفراش شهورا طويلة فى نزيف شبه دائم وآلام مستمرة بسبب خطأ فى عملية الاجهاض ومضت شهور ثم أذن الله بالشفاء بعد أن استوفى عقابى .. وخرجت إلى الحياة مرة أخرى .. وبحث عن عمل لأشغل نفسى به .. ومضت ثلاث سنوات والحسرة لاتفارقتى على هذا الزواج الثانى الفاشل ولا يخفف منها سوى تذكرة من حين إلى آخر أننى حملت خلالها وأنى صالحة للانجاب وخلال ملاطمتى للحياة علمت أن زوجى الأول قد تزوج منذ عدة سنوات ولم ينجب أيضا فتمنيت له السعادة فى حياته الجديدة ، ومضت الشهور والسنوات بغير أن يطرق بابى أحد .. وكنت إليك فى هذه الفترة أشكو إليك وحلى وظلم الظروف لى .. ومعانأتى مع لقب المطلقة للمرة الثانية فرددت على

بكلمات طيبة تنصحني بالصبر والايمان بالله وشغل حياتي بالعمل وبالالتزام الخلقى ، والتمسك بالأمل دائما ، وتقول لى أن المساء يأتي دائما حاملا معه مصباحه وسوف يأتي مصباحك ليضيء حياتك ويعوضك عما فات حين يأذن الله .. فقلت لنفسى أنك أكبر منى وتعرف الحياة أكثر مما أعرفها ولا بد أنك ترى ما لا أراه .. فعملت بمشورتك .. وشغلت نفسى بالعمل والصلاة وتمسكت بالأمل .. لكن الشهور مضت وطالت ومعانائى مستمرة فكبت إليك مرة أخرى فجاءتنى كلماتك الطيبة تستحثنى مرة أخرى على الصبر وتقول لى أن الله لن يضيعنى مادمت أرعى حدوده وأثق به ، وأن كل آت قريب . فهدأت خواطرى .. وحاولت أن احتفظ بابتسامتى فى وجه الحياة فى انتظار حتى كنت فى عملى ذات يوم ، فجاءنى شقيقى الصغير يقول لى أن فى بيتنا زائر قادم من البلد العربى الذى تعمل به أختى وأنه يطلب أن يرانى .. فعظمت أنه يحمل لى رسالة أو هدايا منها .. واستمهلته شقيقى بعض الوقت حتى أنهى عملى ثم عدت معه .. فإذا بهذا الزائر شاب رأيته منذ سنوات طويلة حين زرت مع أبى بلدته وكان أيامها طالبا بالمرحلة الثانوية وذكرنى بنفسه وتذكرته .. وذكرنى بأشياء كثيرة .. وقال لى أنه أحبنى فى صباه حين رآنى فى تلك الزيارة .. لكنه لم يفكر فى التقدم لى لأنه كان طالبا .. ولأنى كنت وقتها أستعد للزواج من زوج جاهز هو زوجى الأول .. وروى لى أنه أنهى دراسته ونخرج وعمل بهذه الدولة العربية ، وأننى طوال هذه السنوات لم أفارق خياله لكن الظروف باعدت بيننا .. وقد علم مؤخرا بطلاق الأول والثانى

معا .. ورأى الظروف ملائمة .. لهذا فهو يطلب يدى لأنه يحبني منذ لقائنا الأول قبل ١٤ سنة .. ياربي .. لقد جاء « الآتى » الذى بشرتني به وطالبتني بانتظاره فى صبر وإيمان والتزام .

لقد كنت قد كرهت الزواج .. لكن هذا الشاب أعاد إلى رغبتي فيه وتكررت زياراته لنا .. وحين سألتني عن رأيي لم أتردد لحظة .. وقلت له أنى موافقة ففوجئت به يخرج من حقيبته « الشبكة » التى أحضرها معه من الخارج ويقدمها لى ثم يقدم لى بعد أيام مهرا .. وكالحلم الجميل تزوجنا وسافر بعد الزواج إلى عمله .. وخلال ستة شهور فقط كان قد اشترى لنا شقة فى مدينتي وسجلها باسمي .. واثناها أثنائنا جميلا وأرسل لى الأجهزة من مقر عمله ، وجاء فى اجازة وأمضى معي شهرين فى شقتنا الجديدة مضيا كأنفاس الربيع الجميل وعاد إلى عمله وقد تعمد أن يختار شقتنا قريبة من بيت أسرتي لى يونس أهلى وحلقتى فى غيابه .. وأبى وأخوتى لا يدعوننى فى حاجة إلى شيء فهم إلى جوارى دائما وزوجى يحادثنى تليفونيا كل أسبوع ويثني شوقه وجهه وأبشه لهفتى وهيامى ..

أما مسك الختام الذى أقوله لك لتسعد به معي فهو أنى حامل فى ٣ شهور وقد أكرمنى الله بالحمل بعد أن علم زوجى بشائعة أنى لا أنجب .. فاعزنى الله بالحمل .. لينفيها عني ولأعرف منه أنه قد غفر لى ما كان من ذنبي حين أجهضت نفسى ، وأنا الآن فى الثالثة والثلاثين من عمري وزوجى فى السادسة والثلاثين وتحمل فراق زوجى إلى أن أنجب ثم سأسافر إليه .. لى يجتمع شملنا ونعيش حياتنا معا إلى ما شاء الله . وقد

أردت أن انقل إليك سعادتي .. كما أرهقتك من قبل بخطباتي وهومي
لاشركك على كلماتك التي بثت الصبر في نفسي .. ولأقول لكل اخواني
من المطلقات اللاتي يعانين ماعانيته من قبل لاتدعن اليأس يسيطر
عليكن فمساء الحياة - كما تقول - يأتي حاملا معه مصباحه ، وكل أت
قريب .. وبالعودة إلى الله والصلاة والصبر والتمسك بالأمل تتحقق كل
الآمال إن شاء الله .. وشكرا لك .

ولكتابة هذه الرسالة أقول : بل الشكر لك ياسيدتي أن حرصت
على ان تشركيني وقراء هذا الباب معك في سعادتك وفي دروس
تجربتك الإنسانية . إن معنى هذه العبارة المعروفة عن المساء والمصباح ..
انه حين تغيب الشمس فإنها لاتسلمنا أبدا إلى سديم الظلام .. وإنما
يبرز دائما وبعد قليل مصباح الليل وهو القمر .. لهذا فإن الظلام يأتي
حاملا معه الأمل في غد جديد .. وحياة أفضل .. وسعادة نتظرها
ونعيش على الأمل فيها أما أشد ساعات الظلمة كما تعرفين فهي
اللحظات التي تسبق بزوغ الفجر .. وهكذا لاينبغي أن يغيب عنا دائما
الأمل في أن تتخفف ذات يوم من آلامنا .. وإلا استسلمنا لليأس ..
والليأس هو البداية الحقيقية للضياع ولكل الشرور والآثام .. واليأس
من رحمة الله في الفكر الديني من أشد الكبائر لأنه لايرد في الخطيئة
ولا يقدم على الانتحار المادي أو الأدبي من بقيت في نفسه ذرة أمل في
الله وفي الحياة الشريفة الكريمة لهذا قرن النص القرآني اليأس بالكفر
وقال : « إنه ليثوس كفور » وأنت ياسيدتي لم تفقدي أملك وصبرك
والتزامك الخلق والديني .. فكان حقا على الحياة أن تهديك

جائزتك .. لأنه مرة أخرى كما تقول الحكمة القديمة من يفعل ماينبغي
عليه أن يفعله ينل دائماً ما يأمله ..
فشكرا لك وتمنيات طيبة لك بالسعادة والتوفيق .

الكرباج

أنا شاب عمري الآن ٢٩ سنة من أسرة متوسطة الحال لى ٥ أشقاء وشقيقات أنا أوسطهم بدأت قصتى حين نجحت فى الثانوية العامة ورشحت للالتحاق بكلية يتمناها معظم الشباب وسعدت أسرتى بنجاحى وتفوقى فقد كنت مجتهدا طوال سنوات دراستى ولم أرسب مرة واحدة .. كما كنت شابا خجولا ومحبوا من الجميع ولى أصدقاء عديدون واسمع دائما كلمات الإعجاب والثناء على اجتهدى وأخلاقى من أقاربى وذات يوم زارنا أحد أقاربنا من الإسكندرية وأقام عندنا عدة أيام .. فانتهزت فرصة يوم الاجازة الأسبوعية وخرجت معه لزيارة معالم القاهرة .. وخرجنا وتجولنا فى الشوارع والمناطق السياحية وأراد قرييى أن يعبر عن شكره لى فأخرج من جيبه بعض الحبوب وتناول منها ثلاثا واعطانى واحدة وطلب منى تناولها لأشعر بالبهجة فأخذتها وتناولتها .. وشعرت ببعض البهجة فعلا ، وانتهت الجولة وعدنا وهو يشرح لى مزايا هذه الحبوب وكيف أنها غير ضارة وفى اليوم التالى أعطانى بعضا منها وظل طوال فترة اقامته يبيننا يمدنى بها كلما طلبت ثم انتهت زيارته وسافر إلى مدينته فأحسست بالرغبة الشديدة فى الحصول

على الحبوب .. وخرجت البحث عنها فوجدت بعد بحث قصير من يمدني بها .. لكن مصروفي لم يستطع أن يني بحاجتي المستمرة لها فبدأت اقترض من أخوتي .. وافعلت الأسباب لأحصل على نقود من أسرتي إلى أن فشلت كل الحيل .. وتعذر على الحصول على نقود جديدة فانقطعت عن الذهاب إلى الكلية وبدأت أبحث عن عمل حتى أستطيع أن ألبى حاجتي للحبوب .. وعملت فعلا وأصبحت «كائنا» يعيش لهدف واحد لاثاني له هو الحصول على هذه الحبوب الملعونة ولا يهمني طعام ولا شراب ولا ملابس .. ولا نجاح ولا طموح ولا شيء إلا هذه الحبوب وترسخ داخلي الاعتقاد بأنني سأموت لو امتنعت عن تناولها .. وهزل جسمي وثقل لساني وأصبحت شبها منقرا وعرف الجميع أنني ادمنت الحبوب المخدرة فابتعدوا عني كأنني وباء حتى أقرب الأصدقاء نفروا مني وقاطعوني وأصبحوا يتجاهلونني إذا مروا بي وتأملت لذلك كثيرا .. لكن ذلك لم يكن آخر الخسائر فلقد رسبت في الكلية وأنا الذي لم أعرف الرسوب من قبل ثم رسبت سنة وأخرى وتحول طريق حياتي بعد أن تكرر رسوبي في الكلية فنقلت إلى أحد المعاهد وفي إحدى نوبات اللوهم سحبت أوراقا من المعهد بعد أن رسبت فيه أكثر من مرة ، ولم يصدر قرار بفصلي وكانت أمامي فرصة أخرى وإلى الآن لا أعرف لماذا سحبتها .. ولا ماذا كنت أخطط له حين سحبتها .. وإنما سحبتها وكفى وهكذا يتصرف الإنسان حين يدمره المخدر .

وفي وسط هذا الضياع تعرضت للموت مرتين بعد تناول جرعة زائدة ونقلوني إلى المستشفى بين الموت والحياة .. وليتني مت

واسترحت .. فقد ماتت داخل كل الأحاسيس .. ولا تسألنى لماذا لم أعالج نفسى فقد حاولت أكثر من مرة وتأكدت خلال ذلك من حقيقة هامة لا يعرفها المدمنون هى أن أكبر طبيب فى العالم لا يستطيع أن يعالج مدمنا .. لأن علاج المدمن فى يده هو - وهو وحده - وليس فى يد الطب أو غيره من الوسائل وهكذا ظلت غارقاً فى الوحل .. إلى أن تجمعت داخل الأسباب لكى أحاول انقاذ نفسى وكان أهمها فى ذلك الوقت أننى التقيت بمن كنت أحبها حباً صامتا طوال فترة صباى وشبابى وكانت قد عقد قرانها وتزوجت منذ عدة سنوات ثم عادت إلى جوارنا مطلقة من زوجها .. ورأيتها ورأتنى .. فتألمت لحالى وباحت عينائى ولسانى الثقيل بحبى القديم فشجعتنى على أن أبدأ حياتى من جديد وان امتنع عن تعاطى المواد المخدرة لأنها تريد الارتباط بى ولكنها لا تستطيع أن تتزوج مدمنا .. فطلبت منها أن تقف إلى جوارى وأن تعطينى الأمل فى الارتباط بها .. وبدأت أقاوم نفسى فعلا .. وبعد أسابيع طلبت منها أن اتقدم لها فتهربت من الموافقة واكتشفت لحظتها أنها لا تترانى جديرا بها لكنها سائرتنى لتعطينى الأمل فى الشفاء .. فأحسست أننى إنسان تافه لا قيمة له ولا يستحق الحياة ونمت تلك الليلة وكان فى دمى آخر قرص تناولته قبلها بساعات وصحوت فى الصباح وقد قررت أن اعتمد على نفسى - وعلى نفسى فقط - فى التخلص من هذا الداء الذى دمر حياتى وأذلنى ورخصنى فى عيون الجميع .. وفى لحظة صفاء نادرة قررت ألا أبرح البيت حتى أشفى تماما من الادمان وحتى لا اشتري الحبوب ولا اتناولها .. ولن أصف لك العذاب الذى عشته فى هذه الأيام .. ولا

الآلام المبرحة التي كنت أحس بها في جميع أجزاء جسمي ولا حالة الهيجان التي كانت تتنابني في بعض الأوقات حتى كنت أقاوم بصعوبة بالغة الرغبة في أن أقرع رأسي في الحائط لأتخلص من عذابي .. ومع ذلك فقد صمدت وصمدت حتى بدأت الآلام تخف .. وفترات الهيجان تتباعد .. وحتى بدأت أستطيع أن أركز تفكيري في شيء فترة طويلة .. ثم إذا بحالي الجسمية تتحسن وحالي الذهنية تستعيد توازنها ونهضت ذات يوم من نومي خفيفا نشيطا .. فعرفت أن الله قد أذن لي بالشفاء .. ونظرت إلى نتيجة الحائط فوجدت أنني قد اتممت ثلاثين يوما كاملة في سجن الاختياري ونظرت إلى نفسي في المرآة فرأيت أنني اضعت سبع سنوات من عمري هباء هي للأسف زهرة العمر وأجمل أيام الشباب .. وقد ضاع مستقبل العلمى .. وضاعت الإنسانية الوحيدة التي احببتها والتي رفضتني لعاري وارتبطت بغيري وفقدت عملي الذي أهملته خلال شهر النسيان ورغم كل ذلك فبداخل طمأنينة عجيبة وسعادة أعجب كأنما ولدت من جديد وكأنما أرى الدنيا لأول مرة ، وانجھت إلى الحمام وتوضأت ووقفت على السجادة لأصلي لله شاكرًا له أن شفاني .. فتذكرت فجأة أنه قد مضت سبع سنوات منذ وقفت للصلاة لآخر مرة وقد كنت قبلها مواظبا على أداء الفريضة فدعوت الله أن يغفر لي ما قدمت يداي في حق نفسي وحق أسرتي وأن يعفو عني كما انقذني برحمته ، والآن ياسيدي وان مضت شهور على هذه التجربة القاسية رأيت من واجبي ان اكتب قصتي لأقول من خلالها لمن سقطوا مثلي في بئر الضياع ويتصورون ان التوقف عن

الادمان مستحيل أن هذا وهم وخداع لأن التوقف ممكن ولكن بارادة الشخص وحده وان المهم هو أن تصدق رغبة الإنسان في انقاذ نفسه لكى ينقذه الله مما أوقع نفسه فيه .. وكما هدانى الله للشفاء فإنى أريد أن اشكر نعمته على بأن اساعد أى شخص أوقعه حظه التعس في مصيدة الإدمان وذلك بأن الأزيمة ولا اتيح له فرصة لتناول السموم أو الحصول عليها ليل نهار إلى أن يهديه الله إلى الشفاء .. وأنا على استعداد إذا أذن هو لى أن امنعه بالقوة من التزول لشراء المخدر بل على استعداد أيضا إذا اعطانى هذا الحق أن أضرب يده بالكرباج إذا امتدت إلى فمه بهذا السم .. بل وان أضرب كل من يسهل له الطريق للحصول عليه وهذا هو عنوانى واسمى لأكون عن طريقك تحت تصرف أى أسرة تريد أن تساعد ابنها على انقاذ نفسه بشرط أن يكون هو راغبا في ذلك لأنه بدون ارادته لاشفاء ولا نجاه .. ولا أمل . والسلام عليكم ورحمه الله .

ولكاتب هذه الرسالة أقول : تجربتك القاسية أبلغ درس لمن قد يفكرون جهالة واستهتارا في ولوج باب الجحيم باقدامهم بدعوى التجربة .. أو بوهم اللذة .. أو بحجة أنه « لا ضرر » كما حدث معك .. وجهادك المريد مع نفسك إلى أن أعانك الله عليها وانقذك من براثن الأسر دليل جديد على أن ارادة الإنسان أقوى من كل القيود ولو كانت قيود الادمان المدمر ..

وشجاعتك في الاعتراف بالخطأ تستحق كل تقدير وتستحق أن تمنحك الحياة من أجلها فرصة أخرى تعوض بها مافاتك وان كان

كثيرا .. لكن لا وقت الآن للبكاء على مراح .. فالمهم هو أنك قد هزمت ضعفك وانتصرت عليه .. وكل شيء بعد ذلك يهون وكل شيء يمكن الاستعاضة عنه باتجاه آخر في الحياة .. وبعمل جديد .. وباحلام جديدة في حياة سعيدة مع من سوف تضعها الأقدار في طريقك قريبا بإذن الله .

إن تجارب المدمنين السابقين من أركان العلاج في المصححات المتخصصة حيث يدعون بعضهم ليضعوا تجاربهم أمام من يحاولون النجاة من الادمان وليشدوا أزهرهم وليغرسوا في نفوسهم الأمل في إمكان أن يتخلصوا من محنتهم .

وبهذا المفهوم فإني على استعداد لأن ارتب لك أن تستعين بك إحدى المصححات أو الجمعيات المهتمة بمكافحة هذا الوباء .. أما إذا احتاج شاب يجاهد نفسه أو أسرة تعسة بأحد ابنائها إلى الاستفادة بخدماتك في هذا المجال فسوف أكون سعيدا بأن ارتب اتصالها بك وبأن اهدى إليك « دسنة » من الكرايبج المدية الأطراف لكي تستخدمها في نضالك النبيل ضد هذا العار وشكرا لك على رغبتك المخلصة في مساعدة غيرك من ضحايا الوهم .. وأسهرهم الشقية بهم .

الشموع المطفأة

اكتب إليك فى عيد ميلادى الخمسين لأقول لك أنى رجل تزوجت منذ ثلاثة وعشرين عاما من فتاة كانت ومازالت الزوجة الوفية والصديقة المخلصة والشريكة الأمينة .. تقرأ أفكارى قبل أن أبوح بها وتلبى رغباتى قبل أن أعلنها .. وأنا رجل منظم ودقيق وبار بأهلى وعشيرتى وذوى رحمى .

وعندما تزوجت كانت امنيتى وأمنية من حولى أن أرزق بوليد يضىء حياتى وحياتهم .. لكن السنوات الأولى من الزواج مضت ولم نوقد شموعا ولم نسمع بكاء طفل ولا ضحكته .. فارتعجت خاصة وأنا من أسرة صعيدية تقدر الولد وتفضل المرأة الولود ، وبدأت بعد خمس سنوات من الزواج رحلة البحث عن الانجاب بادئا باسم الله ومستعينا به ومستهديا بانبيائه فطفنا معا بالأطباء والمستشفيات ودور العلاج .. وتحملت زوجتى المسكينة العديد من العمليات الجراحية والجلسات الكهربائية .. ولم تنأ أو تتوجع وتحملتها صابرة راضية بقضاء الله وقدره .. وانفقنا فى سبيل ذلك كل ماوقع عليه أيدينا لكن الله لم يأذن بالفرج .. ومضت سنوات العمر وشموعنا مازالت مطفأة وبدأ

الشعر الأبيض يتسلل إلى رأسي ونظرات الاشفاق في عيون أهلي
تحاصرني فبدأت أعطى سمعي لمن ينصحنى بالزواج مرة أخرى ، وسألت
نفسى ذات يوم .. لم لا ؟ .. ولم يبق في العمر بقية .. فاستخرت الله
واستشرت رجال الدين فوافقوني على أنه حق الشرعى ورجال الطب
أكدوا لى أنه لا مانع عندى من الإنجاب وبحث عن زوجة بعقلي هذه
المره وليس بقلبي فما أنا بالرجل المزواج ولا صاحب النزوات لكنى أريد
وليدا .. مجرد وليد يتسم فتبتسم معه الدنيا فى وجهى .. ويكي فأبكي
له ويمرض فأمرض من أجله .. ويجرى ويلعب وأحس بالحرف عليه
والأمل فيه ويخلفنى من بعدى ، فراعت فى اختياري السن
والاعتبارات الاجتماعية .. وجمعت الله بزوجة فاضلة من أسرة طيبة
سبق لها الزواج والإنجاب .. وتزوجتها على بركة الله .. وراعت حقوق
زوجتى الأولى .. وعشرتها الجميلة فحرصت بكل طاقتى على ارضائها
والعدل معها .. واستقبلت حياتى الجديدة مستبشرا فمر العام الأول
طبيعيا .. لكننا لم ننجب فيه ولم تحمل زوجتى الثانية ثم مر العام الثانى
بلا حمل ولا إنجاب .. فتجددت المشكلة القديمة .. وعدنا نظوف من
جديد على الأطباء .. فأكدوا جميعا أنه من ناحيتى لا مانع قطعى لدى
من الإنجاب ، كما أن زوجتى الثانية لا مانع طى لديها منه .. وكلما مر
عام ولم تظهر البشائر تزداد المشاكل وتوتر الأعصاب وتتوالى الأسئلة
والاستفسارات ممن حولى .. واصبحنا نحن الثلاثة : زوجتاي وأنا فى
سباق مع الزمن .. يجرى كل منا على الأطباء ولا يدع وسيلة طبية وغير
طبية إلا ويستخدمها .. ويلهث كل منا وراء الأمل فى طريق

معاكس .. ويلقى كل منا باللوم على الآخر فازداد التوتر العصبي والنفسي وأصبحنا نحن الثلاثة حقل تجارب طيبة لكل من نتعامل معه من الأطباء والباحثين وتضخم ملفي الطبي الذي اعرضه علي كل طبيب جديد يفحص زوجتي ومضت ٥ سنوات منذ زواجي الثاني ونحن على هذا الحال .. وجاء يوم ميلادى الخمسين فهاجت أفكارى وتأملاتى ووجدت نفسى فى مفترق الطرق حائرا أحاول ان اجمع شتات نفسى واصصح الأوضاع .. ولا أدري ماذا أفعل هل اسرحها سراحا جميلا معا لعل الله يرزقها بمن هو خير منى .. أم هل أسرح زوجتى الأولى .. هل اسرح زوجتى الثانية .. هل اتزوج للمرة الثالثة لعل الله يهينى غلاما ذكيا .. هل انبذ هذه الأفكار جميعها واتقبل قدرى وأرضى بالأمر الواقع .. ماذا أفعل ياسيدى .. وقبل أن تجيبنى دعنى أسألك أليس من حقى أن يكون لى غلام ينير ظلام حياتى ؟ سبحانه ربي إن الحيوانات الضالة لها أولادها .. فهل عجزت أنا عن أكون مثلها ؟ إن الشوارع ملأى بالأولاد الذين لامستقبل لهم .. فلماذا ضيبت على الأقدار بواحد مثلهم .. وعندى له ما يحمى مستقبله استغفرك ربي وأتوب إليك .. لكن ماذا أفعل ؟

ولكاتب هذه الرسالة أقول : حالك يا صديقي هو خير حال تنطبق عليه تأشيرة رجال النيابة التقليدية فى قضايا التزاع على المسكن ، مع تحوير بسيط فيها لتلائم مع ظروفك فتصبح : « يبقى الحال على ماهو عليه .. وعلى المتضرر ان يلجأ إلى الله الذى لا ينقطع فيه الرجاء » . هذه هى نصيحتى إليك بعد أن جرى ماجرى .. ذلك أن أى

تصرف تقدم عليه الآن عدا الرضا بما اختاره الله لك والقبول به سوف يتضمن اساءة لطرف آخر لاحيلة له في هذه الظروف غير المواتية .
فما معنى أن تسرح زوجتك الأولى وقد كانت ومازالت الزوجة الوفية والصديقة المخلصة التي تفهم أفكارك قبل أن تبوح بها .. وقد أحسنت عشرتك كل هذه السنين وقبلت وفي قلبها غصة لم تدرك عمقها ان تتزوج بأخرى أملا في الانجاب ودخلت معكما السباق رغم كل ذلك تلهث فيه على أمل ان تنجب لك غلاما تسعدك به . وما معنى أن تطلق زوجتك الثانية وقد قبلتك بظروفك الخاصة .. ولم تقصر في حقوقك .. ولم تنكص عن الجرى معكما في نفس السباق . ارضاء لك وحرصا عليك ..

إن كانت الحياة قد استحالت معها أو مع إحداها بسبب كل الظروف غير الطبيعية فالأقرب للعدل والرحمة أن تسرح الثانية أن رغبت هي في ذلك أما ان لم ترغب فيه ولن ترغب في ظني فلاحق لك في ان تعرضها لحنة انفصال جديدة لم تردها لنفسها ولم تسع إليها . أما تفكيرك في الزواج للمرة الثالثة .. فهذا ما لا أفهمه ولا أوافقك عليه بأى حال من الأحوال !

إذ ماذا يمكن ان يعدك به زواج جديد يضيف إلى متاعبك ومعاناتك الكثير وقد جربت أن تتزوج للمرة الثانية من زوجة ولود فلم يأذن الله بالإنجاب وانت باعترافك لست مزواجا ولا صاحب نزوات .. ولم تعد في سن التجارب والاختبارات الجديدة من بعد ما كان وما جرى .

أما تساؤلاتك المؤلة عن الحيوانات الضالة وتعجبك من كثرة الأبناء الضائعين في الشوارع .. وأنت من تشهى غلاما واحدا ولم تدع سبيلا ولا بابا لم تطرقه من أجله .. فلا رد عليه عندي سوى أنه قد ذكرني بمعنى هذا الحديث القدسي الكفيل بالاجابة عن كل التساؤلات الحائرة .. ليس في موضوع الانجاب وحده وإنما في كثير من صور الحياة وتناقضاتها « لأرزقن من لا حيلة له .. حتى يتعجب أصحاب الحيل ! » .

نعم حتى يتعجب أصحاب الحيل يا صديقي .. ويرجعوا إلى ربهم ويسلموا له بأنه الواهب والمانع وحده .. وبأنه المانع والقابض وحده وأنه لا فضل لمن أوتي خير الدنيا غير أن الله شاء ولا لوم على من حرم منه غير أن الله شاء . فتقبل اقدارك .. واعتصم بالصبر والأمل .. فرحمة الله قد تهبط من السماء في أية لحظة .. والرجل قادر على الانجاب حتى السبعين .. وليس لنا سوى أن نشكر الله على ما أعطى وما حجب .. وهبك الله من فضله لترضى ... والسلام .

الصّوت الرّخيم

منذ سنوات كنت طالبة بالسنة الثالثة بكلية الآداب .. شابة في التاسعة عشرة من عمري ارتدى الملابس الفاخرة .. واركب سيارة واستعمل العطور المستوردة .. ولا أفكر في الزواج واتجاهل صاحبة مخططات أمي للتقريب بيني وبين ابن إحدى صديقاتها لكي اقتنع به فيتقدم للزواج مني ، وكل شيء في متناول يدي والدنيا باسمه .. والقلب شباب .. والحياة واسعة وعريضة .. وفي هذه الأيام المبشرة بكل خير ركبت سيارة الأسرة ذات يوم وحدي .. وقدها في شوارع القاهرة .. فإذا بعربة نقل ضخمة تصدمني .. فلم أشعر بما حولى إلا بعد أيام ووجدت نفسي راقدة على سرير في مستشفى معصوبة العينين واللفائف تحيط بوجهي من كل جانب وقد تهشمت يداي وساقاي .. وأهلى حولى يواسونني ولا يصدقون أنى عدت إلى الحياة .. ومرت أسابيع طويلة قبل ان يرفع الأطباء اللفائف عن رأسي وذراعي والعصابة عن عيني .. فإذا بي لا أرى إلا الظلام والأطباء يحاولون التخفيف عني ويؤكدون لي أن فقدي للبصر مؤقت .. وأنه مأمول الشفاء بجراحة أخرى بعد عام أو عامين فانفجرت في بكاء طويل ..

وتحسست وجهى فوجدت آثار الندوب فى كل مكان منه فعرفت أنى
فقدت جمالى أيضا مع بصرى .. وغرقت فى هاوية سحيقة من اليأس
والقنوط .

وغادرت المستشفى وأنا لا أجد فى أعماق رغبة فى الحياة .. وبعد
أسابيع أخرى بدأت فى اجراء عدة عمليات للتجميل اعادت وجهى إلى
ما كان عليه .. لكنى لم استعد بصرى .. ولا حرصى ولا أقبالى على
الحياة .. وفى غمرة هذا اليأس الحقيقى أبى بمركز لتعليم المكفوفين القراءة
بطريقة « برايل » لكى أشغل فراغى .. واستطيع القراءة .. ورفضت
الذهاب إليه فاصرأبى على ذلك إصرارا شديدا .. وبدأت اتردد على
هذا المركز ثلاث مرات كل أسبوع .. رغما عنى .. فكان يوم ذهابى إليه
يوما حزيننا فى حياتى . ثم بدأت اتقبل الواقع الذى أرفضه شيئا فشيئا ..
وبدأت التفت إلى صوت رخم سمعه فى المركز فيمس قلبى رغم أنى لا
أرى صاحبه .. ثم بدأت استريح إلى هذا الصوت واقرب من صاحبه
أنه مدرس بالمركز .. وأصبحت أذهب إلى المركز كل يوم بلهفة بعد أن
كنت أكره الدنيا عند اقتراب موعد ذهابى إليه ، وتلاقت الأيدى
وانتقل الاحساس إلى القلب .. ونما الحب فى الظلام لأنه مثل محروم
من البصر .. وتعاهدنا على الزواج وحين هممت بأن أصرح أهلى بحبى
وعهدى معه فوجئت بهم يزفون إلى بشرى قرب السفر إلى الخارج
لاجراء الجراحة المنتظرة لاسترداد البصر ، فشغلت بهذا الأمر عن كل
شئ .. وتوقفت عن التردد على المركز ..

وسافرت للخارج .. وأجريت الجراحة .. ومرت اللحظات الحرجة

بسلام .. وتسلل بصيص من الضوء إلى عيني وعاد إلى بصرى
ضعيفا .. لكنه شتان بينه وبين بحر الظلام الذى غرقت فيه شهورا
طويلة .. واصبحت أرتدى النظارة بصفة دائمة وعدت إلى بلادى وقد
عاد إلى شبابى وحرصى واقبالى على الحياة من جديد . وبعد عودتى لمصر
بأيام .. تذكرت الصوت الرخيم الذى اخرجنى من عزلتى فتوجهت إلى
المركز وبحث عنه .. ورأيت لأول مرة فإذا به شاب اسمر نحيف حلو
العينين حاد الأنف شعره أسود ومسترسل على جبينه فحقق قلبى له بأشد
مما خفق له حين سمع صوته لأول مرة .. وأقبلت عليه بكل لهفة ..
فسعد بعودتى وفرح كثيرا بعودة البصر إلى .. لكنه لم يشر إلى موضوع
الزواج بكلمة .. ففأنتحه أنا فيه وسألته بلا مواربة متى نبدأ خطواته
فحاول أن يحلنى من وعدى له لاختلاف الظروف الآن بعد ان
استرددت بصرى .. لكنى لم اسمح له بأن يسترسل فى الحديث ..
وازداد تمسكى به .. وعرضت الأمر على أهلى واصررت عليه وتحديث
الأقارب والصديقات ، وتزوجته عن حب واقتناع وكان عمري وقتها
٢٢ سنة ووجدت معه بعد الزواج كل سعادتى فهو رفيق المشاعر وحنون
ومتفائل ويحب الحياة إلى أقصى درجة ويحبى بشدة وعشت معه حياة
سهلة سعيدة فهو ميسور ماديا والحمد لله وانجبنا ولدا وبتنا ساعدنى فى
تربيتها واغرقها بحبه ، ثم مضت بنا الحياة وبعد عشر سنوات من
الزواج بدأ الحب فى قلبى يهدأ قليلا وبدأت أشعر بشيء غريب
تجاهه .. فقد بدأت لا « أحب » أن يخرج معى فى زياراتى لأقاربنا أو
أصدقائنا ، وأصبح ابنى وابنتى هما رفيق كلما خرجت إلى أى مناسبة ..

لكنى لم ادعه يشعر بذلك وساعدنى فى هذا أنه كان يتجنب الخروج كثيرا .

ثم كبر ابناى وبدأت ألاحظ عليهما بعض الأشياء الغريبة .. فابنى يتباهى دائما بأنى أمه ويقدمنى إلى زملائه ويتجنب الإشارة إلى أبيه .. وكذلك بدأت ابنتى تفعل ، كما بدأت ألاحظ أن ابنى نادرا ما يتحدث مع أبيه رغم محاولات زوجى المستمرة للحديث معه .. فهو اما فى حجرته أو يتحدث مع اخته أو معى .. أما مع أبيه .. فجعل الكلام منقطع غالبا معه وذات يوم صارحنى زوجى بمشاعره .. وقال لى أنه يشعر بأن ابنه وابنته « ينجحلان » منه فنفيت له ذلك بشدة وثرث ثورة عارمة وناديتهما وواجهتهما .. وقسيت عليهما وذكرتهما بأنه لولا أبوهما ما عاشا تلك الحياة وما وجدا كل مطالبيهما .. وماركبا السيارة ... إلخ ، وانكرا هذا الاحساس ، لكن زوجى ظل حزينا بضعة أيام ثم استعاد هدوءه وتفاؤله مرة أخرى واسترحت لذلك واملت أن تحتفى هذه السحابة إلى الأبد .

وبعد أسابيع تصادف أن كان زوجى مريضا فلم يذهب إلى عمله .. ولم يكن ابنى يعرف بوجود أبيه فى البيت فعاد من كليته وقت الظهر ومعه بعض زملائه .. ودخلوا الشقة يتصايحون ويضحكون ففوجيء بأبيه واقفا فى الصالة .. وسأله أبوه عنى معه فرد عليه ردا مقتضبا ثم اصططحب أصدقاءه إلى الصالون وتركه واقفا كما كان فى الصالة !

ويبدو أن أحد أصدقاء ابنى سأله عنى يكون هذا الرجل فإذا

بزوجى يسمعه من موقفه يرد عليه بأنه أحد أقارب أبى ينزل ضيفا عليهم
لعدة أيام وسمع زوجى ابنى ينطق بهذا الرد .. فلم يتكلم وانسابت دمه
صامتة من عينيه .. ثم توجه إلى غرفة مكتبه وانتظر خروج الأصدقاء
إلى أن خرجوا وخرج معهم ابنه يودعهم ثم عاد .. فناداه وواجهه بما
سمع وهو يرجو أن يكذب اذنيه .. فإذا بابنى الوقح يعترف بما قال ..
ووجدت نفسى أهوى بىدى على وجهه واطلب منه أن يعتذر لأبيه ..
فاعتذر .. لكن هيات ياسيدى أن تشفى كلمات اعتذار هذا الجرح فى
قلب أبيه .. فلقد تغير حال زوجى وحال الأسرة كلها منذ هذا اليوم
المشؤم .. واختفت السعادة والسرور اللذان كانا يرفرفان على بيتنا فقد
اعتصم زوجى بغرفة مكتبه واتخذها مأوى له يعمل وينام فيها
ولا يغادرها إلا إلى الحمام .. أو الذهاب إلى العمل .. ولا يكلم أحدا منا
بل وجاء برجل ليقوم بخدمته ويقضى له طلباته لكيلا يحتاج إلى أحد
منا .. وعندما يحىء أول الشهر يلتقى لنا بمصروف البيت فى الصالة
ويحواره ورقة كتب عليها كلمات جارحة لكرامتى وكرامة ابنى وابنتى
ومازالت الحياة فى بيتنا تمضى على هذا النحو الكئيب اننى أعرف أن
ابنى قد ارتكب جرما كبيرا فى حق أبيه .. لكن ماذا استطيع أن افعل
فى طيش الشباب .. وقد كنت دائما أحثه على حب أبيه .
فهل توجه إلى زوجى - وقد كان يجب أن تقرأ عليه كلماتك دائما -
كلمة عن العفو عند المقدرة .. لكى يعود الوثام والسلام إلى بيتنا وهل
توجه كلمة إلى ابنى هذا الذى تعدى حدود الأدب لكى يعود إلى
رشدته .. هل تفعل حقا ؟

ولكتابة هذه الرسالة أقول : عندي مما أقوله لابنك ما لا تتسع له
 أنهار الصحف جميعها لكنني لن أطيل في تكرار معان أفضت في الكتابة
 عنها كثيرا من قبل .. وسأقول له فقط .. ان ابنا يحمل مثل هذا
 الاحساس البشع تجاه أبيه العطوف المحب لمجرد أنه محروم من احدى
 حواسه لهو ابن لا يشرف أى أب أن يعلن انتسابه إليه .. وهو جدير حقا
 بأن ينكره أبوه لا أن ينكر هو أباه فلينظر إذن أى درك هابط وضع نفسه
 فيه .. وليحاول إذا أراد أن يكون جديرا بالانتماء للنوع الإنسانى أن
 يظهر نفسه من هذا الاحساس الدنيء .. وان يسترضى اباه حتى
 يرضى ، وان يتواصل معه وان يعرف له فضله ويفخر به على العالمين .
 هذا عن ابنك ياسيدتى أما عن القصة كلها .. فإن خبرة السنين
 تقول لنا أن كل شجرة مورقة تبدأ ببذرة صغيرة تغرس فى الترى ، ولقد
 غرست أنت بغير ان تنتهى لخطورة الأمر ببذرة انقطاع الخيوط بين
 أبنيك وأبيها حين بدأت وهما دون العاشرة من عمرهما تلاحظين على
 نفسك أنك « لاتبحين » الخروج معه إلى زيارة الأهل والأقارب ، وان
 ابنيك قد أصبحا بدلا منه رفيقك الدائمى فى غدوك ورواحك ..
 وبالضرورة فى البيت أيضا وهكذا تراجع الأب من مركز الدائرة فى
 الصورة العائلية كما ينبغى له أن يكون دائما إلى هامشها .. واصبح لكم
 مجتمع خاص بكم داخل محيط الأسرة يحاول الأب النفاذ إليه فلا
 ينجح .. ويتلهف على أن يحادثه ابنه .: فيعزف عنه لأنه مشغول دائما
 بالحديث معك ومع شقيقته .. فبدأ انقطاع الخيوط منذ فترة طويلة إلى
 أن بلغ قته فى هذا المشهد البشع الذى يتنافى مع كل القيم الدينية

والخلقية والإنسانية على السواء .

ولن تدركى ياسيدتى بشاعة ما حدث وعمق مرارته فى نفس الأب الذى أغرق ابنه بحبه ومشاعره ورعايته منذ تلقاه قطعة من اللحم الغض لاتدرى من أمر نفسها شيئا إلى أن أصبح شابا يغدو ويروح وله كيانه الخاص .. إلا إذا تخيلت حالك لو لم تدركك عناية الله فتنجح الجراحة التى استرددت بها بصرى .. ووجدت نفسك ذات يوم فى مثل موقفه تسمعين باذنك ما سمعه .. وتتجرعين مرارته ترى كيف يكون حالك وقتها .. وأى لوم يمكن أن يوجهه إليك أحد إذا عافت نفسك الجميع كما فعل زوجك واهتمهم فى أعماقك بأنهم جميعا شركاء فى هذا الجرم .. سواء بالسكوت عن مقدماته أو بعدم التصدى بحزم كاف لها .

أننى ألح على هذه الصورة القاسية لأن مسئوليتك كبيرة فيما حدث .. وفيما سوف يحدث لاصلاح الأخطاء .. فالأبناء يتبعون الأمهات فى معظم الاحوال فى تقديرهن للأب واحترامهن له ، « واسراف أى أم فى استقطاب أبنائها إليها على حساب الأب يثمر غالبا مثل هذا التباعد بين الأبناء والآباء . لهذا فإن العلاج فى يدك أنت قبل أن يكون فى يد هذا الابن الطائش .. فابدئ بنفسك ياسيدتى والتصقى بزواجك الذى أحبيته وتحديت به الجميع فيما مضى واعترفت له بكل فضائله ، وتحملى غضبه واستياءه مما حدث إلى أن يصفو لك .. واعلنى بتصرفاتك أمام الجميع أنك تفخرين به .. واعيديه إلى مركز الصورة العائلية كما ينبغى له أن يكون .. ولا تخرجى إلى زيارة إلا معه ولا تقطعى أمرا دونه .. وانضمي إليه فى غضبه من ابنه حتى يكفر عن جريمته

ويعود إليه رشفه .. وقاطعى كل من لا يحمل لزوجهك مشاعر الحب
والولاء والاعتزاز ولو كان ابنك .. وعندها سوف تعود الأمور إلى
طبيعتها وتعود الهجة والسرور إلى بيتك .. وسيجد الأب نفسه مستعدا
للعفو عن ابنه .. لأنه أب أولا وأخيرا .. ولأنه يشفق فى أعماقه على هذا
الابن الشارد من غضب ربه عليه .. ومن تنكيل الدنيا به إذا لم يعف
عنه بقلب صاف .. وإذا لم يغفر له ربه ما كان من أمره .. وما جرى ..
والسلام ..

الحقيقة العارية

أنا سيدة .. نشأت بين أبوين منفصلين فعشت مع أمى حتى وافاها
الأجل المحتوم .. ثم عدت إلى أبى لاعيش فى بيته مع زوجته وابنائها
منها .. وتركز كل هدفى فى الحياة فى الحصول على شهادتى الجامعية ..
لأعمل واشق طريقى معتمدة على نفسى .. وفى سنواتى الأخيرة بالجامعة
تعرف بى شاب مجتهد وعلى خلق وطلب ان يرتبط بى بعد التخرج
وصارحنى بأنه لايملك حاليا شيئا سوى المسكن الذى يقيم فيه مع أمه
نظرا لسفراخوته للخارج .. وأحسست بالارتياح إليه لصراحته وصدقه
وجديته ولباقته فعاهدته على الارتباط به والكفاح معه إلى ان يبنى
حياته . وتمت خطبتي له .. وتركز أمله فى السنة الأخيرة من دراسته فى
أن يحصل على تقدير عال يرشحه لوظيفة مرموقة يحلم بها خريجو كليتنا
النظرية ، ووقفت إلى جواره فساندته بكل قواى حتى حقق الله له أمله
وتخرج بتقدير عال .. ورشح للوظيفة المرموقة وبعد تعيينه بها تزوجنا
وانتقلت إلى مسكنه وبدأنا حياتنا الزوجية بهيجة واعدة بتحقيق كل
الأمانى ووضعنا لنفسى هدفا هو أن أصل إلى قلب أم زوجى لأضمن
سلام بيتى .. لأثنى عشت عمرى كله ممزقة .. بين أبى وأمى وعانيت فى

بيت ألى ما لا مفر منه من تفرقة بين الأخوة غير الأشقاء .. ووقفنى الله
فى اكتساب محبتها .. فاطمأن جانبى وتفرغت بكليتى لزوجى الذى
أحببته .. من أعماق وبادلنى حبا بحب ، ومضى عامان من عمر زواجنا
فى لمح البصر.

وفى العام الثالث انجبت طفلى الوحيدة .. وجاءت إلى الحياة
ضعيفة فاعطيتها كل عنايتى واهتمامى .. ولقطة خبرتى بالحياة ولعدم
وجود أم يحوارى تعطينى من خبرتها .. اسرفت فى الاهتمام بابنتى فلم
استطع تحقيق التوازن الضرورى بين واجبى كزوجة وواجبى كأم .. ولم
اشعر بذلك إلا حين تنهت فجأة إلى أن زوجى قد أصبح كثير الشرود
والوجوم والصمت ويفتعل المشاكل معى لياقطعنى بعدها بلا سبب ..
وتحركت فى دوافعى العميقة للحرص عليه .. فحاولت أن اعرف سر
تغيره وطالبته بان يصارحنى بما يريد لأعمل به .. فلم يجبنى سوى بأنى
قد تسرعت فى الانجاب وان هذه الطفلة سوف تكون فيما يبدو سببا فى
انفصالنا !

فانهمرت دموعى .. واكدت له أنه لو كان قد طلب منى تأجيل
الانجاب لفعلت بلا تردد ، وان ظروف طفلى الصحية هى التى
فرضت على الالتصاق بها لأن أمه سيدة مسنة ولاستطيع رعايتها ..
ومع ذلك فالفرصة لم تضع بعد وأنى على استعداد لأن أعود كما كنت
فنفخرج معا ونسهر معا ونزور الأهل والاصدقاء كما كنا نفعل فى العامين
الأولين ورجوته بل وتوسلت إليه أن يساعنى وان يعطينى فرصة
أخرى .. فسكت ولم يجب .. وانتهت جلسة المصارحة .. ولم يغمض

لى جفن بعدها طوال الليل .. ومرت الأيام وأنا مسهدة لا أنام ساعة أو ساعتين كل يوم .. واصبحت لا أجده إلى جوارى فى أى وقت من اليوم فهو طوال النهار فى العمل .. فإذا انتهى منه التقي بأصدقائه أو زار أقاربه .. أو زار أبى وأمى وامضى فى بيتهما أوقاتا طويلة .

واستمر الحال هكذا عدة شهور .. لم ادخر جهدا خلالها فى محاولة استعادته واسترضائه بلا جدوى .. وبغريزة المرأة أدركت أن اهتمامى بطفلى لا يمكن ان يكون وحده هو سر هذا التبعاد وأنه لا بد أن هناك امرأة أخرى ، لكنى لم أعرف من هى وواصلت حياتى صابرة انتظر المصير المحتوم فى كل لحظة .. وكلما مر يوم احسست أنى اقترب منه ، ويزداد اشفاقى على حبسى الذى يضيع من بين يدى وعلى طفلى التى رجوت الله ألا تعيش نفس حياتى ممزقة بين أبوين منفصلين إلى أن حم القضاء الذى لامفر منه .. وجاء يوم طلب منى فيه زوجى مغادرة البيت إلى بيت أهلى .. فعدت إليه ذليلة منكسرة ألح حولى علامات تشير الشك لكننى لا أجرؤ على المواجهة بها .. خوفا من أن اطرده من بيت أبى .. فلا أجد مأوى لى ولابنتى .. وقضيت ستة شهور انتظر كل يوم ان يعود زوجى ليصطحبنى إلى بيته بلا فائدة .. وبعد شهور أخرى فوجئت به يرسل لى ورقة الطلاق .. وصعقت حين اكتشفت أنه طلقنى طلاقا بائنا لارجعة فيه ! .. وبعد شهور أخرى بدأت ألاحظ فى بيت أبى استعدادات تجرى ومشاورات تتم .. وعرفت أن أختى غير الشقيقة التى تصغرنى بـ ١٢ سنة سوف تتزوج قريبا .. وان أمها تبذل كل جهدها لاتمام الزواج فى موعده .. وحاولت فى البداية أن أكذب

ظنوني .. لكنها كانت الحقيقة العارية بلا أى التواء والتي لن تصدقها .. نعم ياسيدى لقد تزوجت أختى غير الشقيقة .. من زوجى السابق وأب طفلى الوحيدة .. ليتوجا معا قصة بدأت منذ حين ولم يعد هناك وقت للتعجب أو التشكك .. فهو كما قيل لى سيتزوج وكلاهما قد وجد فى الآخر بغيته .. وهو قد طلقنى طلاقا بائنا .. فلا بأس إذن بأن يتزوج أختى مادام سوف يتزوج أى فتاة ذات يوم وكان هذا المنطق العجيب ياسيدى منطق زوجة أبى .. ووافقها عليه أبى راضيا أو مرغما لا اعرف .. ولم يستطع أن يخفى الواقع المروه وأن القصة بدأت منذ وقت طويل وقبل طلاقى وراقبت أختى سامحها الله .. وهى تروح وتجيء وتشترى الفساتين وتتشاور مع أمها وابتسامة التحدى فوق شفيتها كأن شيئا لم يكن .. وتزوجت زوجى السابق ياسيدى ذات يوم وغادرت البيت إلى مسكن الزوجية السابق لى .. ونظرت فى المرأة وسألت نفسى !.. لماذا استحق كل هذا العذاب ياربى .. وماذا قدم لى هذا الجمال الذى يثنى عليه كل من يرانى وقد عجز عن أن يحمينى من لسعة النار التى أحسها فى احشائى .. وحاولت أن اتشاغل عن همومى فخرجت للعمل بشهادتى ووجدت عملا خاصا يراتب لآبأس به .. ومضت الأيام تحمل لى كل يوم ما لا طاقة لبشر بتحملة وتشاغلت بعملى وبرعاية طفلى التى كتب عليها أن تشرب من نفس الكأس التى شربتها طوال عمرى كله . ومضى عام وعامان على محنتى ومازلت صامدة وبلغت ابنتى سن الحضانة فالحقتها بمدرسة راقية واسعدنى أنها ذكية ومحبوبة من زميلاتها فتمنيت لها من أعماق أن يكون حظها فى

الحياة أفضل من حظى .. ومازالت الحياة تمضي والآن تسألنى ما هى المشكلة بعد أن جرى ماجرى .. ولم يعد يحدى البكاء على الاطلاع وأقول لك أن مأساى لم تنته عند هذا الحد .

فهناك مشكلة قائمة منذ اليوم الأول لزواج أختى من مطلقى .. وهى أنا ! فأنا أقيم مع أبى فى مسكنه ولا مأوى لى ولطفلى غيره .. والعروس الجديدة تريد أن تذهب وتجىء مع عريسها إلى بيت أمها الذى أقيم فيه وهما يتحرجان والحمد لله حتى الآن من ذلك .. والعروسان يودان أن يقضيا بعض الأمسيات العائلية مع أسرة العروس .. وأنا لا مأوى لى غير هذا البيت فأين أذهب ياسيدى .. وإلى من اتجه وراتبى لا يسمح لى بالحصول على غرفة فى أى مكان من القاهرة .. وإلى متى سوف أستطيع أن اتحمل الحياة هكذا ؟ هل عندك ماتقوله له .

ولكتابة هذه الرسالة أقول : لا ياسيدتى ليس عندى ما أقوله لك .. ولو أردت ما استطعت فلقد كرهت الأقلام والأحبار والكلمات وأنا أقرأ رسالتك هذه وضاعف من ضيقى بها أنى قرأتها بعد قليل من قراءتى الرسالة الأخرى المنشورة إلى جوار رسالتك .. فضاق صدرى بهما معا .. يا آلهى ! ماذا جرى للعالم وللرباط الأسرية السليمة .. وللقليم الإنسانية فى أيامنا الشقية هذه ؟. أننى أعرف أسرا ترفض شبانا ممتازين لمجرد أنهم قد سبق لهم الزواج من بعض بنات الأقارب .. وتحرص على علاقاتها العائلية بأكثر مما تحرص على زوج يستطيع أن يتزوج من أخرى .. وتستطيع فتياتهن أن يتزوجن من غيره .. لأن هذا هو الأصل فى العلاقات الإنسانية .. وماحدث لك هو الاستثناء البشع

الذى يصدم مشاعرنا بقسوة ولولا حرصى على مساعدتك على الخروج من سكير الجحيم الذى تعيشين فيه مانشرت رسالتك اصلا .. ولو استطعت معاونتك فى حل مشكلتك بغير نشرها لحجبتها عن قراء البريد مع ما أحجبه أحيانا من رسائل مشابهة تعرض علينا بعض نوازع النفس البشرية فى ابشع أحوالها .. لكنها الحياة التى لا مفر أمامنا من الاطلاع على كل جوانبها .. والاستفادة بدروسها المريرة .. حتى لو شعرنا بالغثيان ونحن نسمع معك لهذا المنطق الحجري المزيف الذى يبرروا به لك هذا الغدر بك وبطفلك من أقرب الناس إليك كأنما لم يعد فى الدنيا رجال غير هذا الرجل .. ولم يعد فى الدنيا وفاء ولا رحمة ولا حياء .

على أية حال : هذه السيدة الجريحة فى حاجة إلى عمل يكفل لها ولايتها المأوى .. فمن أراد أن يطفىء بعض لهيبها ويعيد إليها ثقها بالبشر فليتصل بى .. وشكرا له مقدما . (١) .

(١) اتصل بى عشرات من القراء يعرضون أعمالا لهذه السيدة - وتم اختيار عمل ملائم لها .

السّلاح الأقوَى

منذ حوالي ٩ سنوات .. كنت طالبة بالمرحلة الثانوية فتعلق قلبي بطبيب شاب من أقاربي ووجدت نفسي وأنا في هذه السن الصغيرة أحبه حبا عظيما من طرف واحد فحاولت جذب انتباهه أكثر من مرة إلا أنه لم يشعر بي إطلاقا فسلمت أمرى لله ورضيت بأن أحمل له هذا الاحساس في قلبي بلا أمل . وانتهت من دراستي الثانوية فصممت على الالتحاق بكلية الطب رغم عدم ميلي للدراسة فيها بل وعدم قدرة أسرتي أيضا على تحمل أعبائها . وكان دافعي الوحيد للالتحاق بهذه الكلية هو حبي لقريبي هذا .. وإيماني بأن طريقنا سوف يلتقي ذات يوم معها طالت السنون .

وبدأت الدراسة وانقطعت عني أخباره .. ثم علمت بعد فترة أنه سافر إلى دولة عربية وتزوج من زميلة له تعرف عليها هناك وتم الزواج سريعا بعد فترة تعارف قصيرة .. ووجدت نفسي اتابع أخباره باهتمام كأن شيئا لم يكن وكأن اللقاء طريقنا واقع واقع برغم كل شيء وأصبحت انتظر زيارة أمه لنا لأعرف منها أخباره .. وبعد عدة شهور جاءت حزينة تشكو سوء حظ ابنها في الزواج ، وكيف أنه حدثت بينه

وبين زوجته مشاكل كبيرة . انتهت بعودتهما معاً إلى مصر وإلى طلاقهما منذ فترة قصيرة بعد مشاكل وصلت إلى أقسام البوليس ، وأنه الآن وحيد حزين لأن مطلقته حامل وهو مشفق على المولود القادم من الضياع . سمعت كل ذلك وقلبي يرقص طرباً .. رغم تظاهري بالأسف لحاله ومواساتي لأمه ! ولم تمض أيام حتى بدأت أتقرب إليه من جديد بحجة أن يساعدي على فهم دروسى ، ونجحت فى ذلك فعلاً كما نجحت فى إخراجها من محنته وإعادته إلى طبيعته مرة أخرى .. وبعد فترة قصيرة وضعت مطلقته طفلتها فجاءنى قريبي سعيداً يلغنى أنه قد اختار لها اسمي، فطرت فرحاً بذلك وسألته ولماذا اسمي بالذات .. فأجابني بما أردت أن أسمع منذ ٤ سنوات وهو أنه يريد أن يتقدم لخطبتي والزواج منى ولكن بشرط أن أتفرغ له تفرغاً تاماً لأنه لا يريد أن يكرر تجربة الزواج من طيبة مرة أخرى .

وبدون أن أفكر فيما قال وجدت نفسي أوافق على شروطه .. لكن أهلى ثاروا على ثورة هائلة وعارضوا انقطاعي عن الدراسة والتضحية بمستقبلي ودراسي للزواج من رجل جرب حظه فى الزواج من قبل وله طفلة سيأتى يوم وأكون فيه المسئولة عن رعايتها .. وواجهت هذه الثورة الصاخبة بالصمت والاصرار ، ثم زدت عليها شيئاً آخر .. هو أنى رسبت فى الامتحان عامدة متعمدة .. واعترف لك بذلك - لكى اجعلهم يوافقون على زواجى منه .. ونجحت خطي فاقنعوا بأنى لن اتقدم فى طريق الدراسة ووافقوا على زواجى منه .. وأصبح الحلم الذى راودنى حقيقة وبدأت حياتى معه وأصارحك القول - يا سيدى - بأننى

حتى بعد الزواج لم أشعر بأنه يبادلني الحب ، وعرفت جيدا أنى مازلت أحبه من طرف واحد ورضيت بذلك وسعدت به .. ولم يعكر على صفو حياتى سوى الأعباء المطلقة ومحاولاتها تنغيص حياتى .. بسلاحها الأقوى وهو ابنته التى يحبها !

وعدا ذلك فقد مضت حياتى معه هادئة .. وتجنبنا دائما إثارة أى خلاف معه يتعلق بابنته .. ورغم لهفتى على الانجاب فقد وافقت على تأجيله استجابة لطلبه إلى أن ينتهى من تحضير رسالة الدكتوراه وصبرت على رغبتى ووفرت له كل مايريد من هدوء وتفرغ حتى نال الدكتوراه وأصبح طبيبا ناجحا فى منطقتة وزاد دخله زيادة كبيرة ، وكبرت ابنته أيضا وزاد تعلقه بها .. وزاد خوفى منها وهى مازالت طفلة عمرها ٥ سنوات .. ولم يكن خوفى منها هى نفسها بالطبع وإنما كان من أمها التى لم تتزوج بعد ولم يمض وقت طويل حتى تحققت مخاوفى .. فابلغتني إحدى قريباتى أنها رأت زوجى يركب سيارته ويجواره مطلقة وبينهما ابنته .. ومادت الأرض بى وأنا اسمع ذلك .. ثم تظاهرت أنى أعرف ذلك وتركتها وأسرعت إليه وصارحته بما سمعت وأنا أبكى بحرقة حتى انتهيت مما أردت أن أقوله ونظرت إليه .. وانتظرت رده كأنى انتظر حكم الاعداء .. فإذا به يقول فى هدوء أنه قد عاد فعلا إلى مطلقة منذ شهور من أجل طفلتهما .. وانه لن يفرط فى ولا يطيق أن يعيش بدونى وانه يطلب منى أن استمر فى عطاى له كما تعود منى دائما ! ولم أستطع الكلام فأنصرفت من أمامه جزيئة أفكر فى أمرى .. وقد فكرت بعقلى فلم أقو على مطالبته بالطلاق .. لأنى سألت نفسى ماذا

سأفعل بعد الطلاق وأنا لا عمل لي ولا مكان أعيش فيه وليس لي أطفال منه فأكون حاضنة لهم ويترك لي منزل الزوجية ثم لماذا اترك لغريمي كل ماوصل إليه من نجاح كنت أنا السبب فيه ، وأنا التي لم تفكر سوى في اسعاده وقبلت عدم الانجاب إرضاء له ، في حين فضحته الأخرى في الغربة .. ولم تعد إليه إلا بعد أن أصبح ناجحاً .

لقد قرأت منذ أسابيع في بريد الجمعة رسالة اسمها « الابتسامة الشاحبة » عن الفتاة التي رفضت من كان يحبها لأنه لم يكون نفسه وتزوجت وفضلت عليه العريس الجاهز فتعذبت معه وطلقت منه وعادت لبيت أبيها في حين كافح هو ولم يتزوج ، وعاد بعد أن حقق نجاحه يطلب أن يحقق حلمه القديم ويتزوجها لأنه مازال يحبها متناسيا أنها غدرت به ولم تحتل معه صعوبات الطريق وفضلت عليه العريس الجاهز لقد سألتك كاتبة الرسالة هل تقبل الزواج منه بعدما كان فنصحتها بالقبول لأنه فرصتها الأخيرة .. ولأنه شاب كريم بدليل استمرار رغبته فيها رغم ما لقيه منها . وقد يكون ذلك صحيحا من ناحية صالح الفتاة التي سألتك أما من ناحية الشاب فأني أقول له : لاحرر نفسك من وهم الحب وابحث عن فتاة أخرى تستحق أن تفوز بك لان من لم تقبل أن تعيش معك آلامك ليس من حقها أن تشاركك سعادتك .. وهذا هو درس قصتي المريعة .. وشكراً .

ولكاتبه هذه الرسالة أقول : أشك ياسيدتي في أنك قد فكرت بعقلك هذه المرة واخترت البقاء معه رغم عودته لمطلقته وابنته سرا ، فليس هذا في تقديري هو حكم العقل في القضية وخاصة إنك لم

تجسبي منه اطفالا تفكرين في مصيرهم قبل طلب الطلاق كما أن لك بالتأكيد أسرة تستطيعين العودة إلى بيتها إذا أردت مستعينة ببعض حقوقك المادية عليه إلى أن تتدبري أمرك .. وإنما هو في أغلب الظن حكم القلب الذي أراد البقاء بجوار من أحب ، ثم حاول أن يستر وراء مبررات عقلانية بل « ومادية » أيضا إمعانا في التخفى !

ولاشك أنه أيضا نفس الحكم الذي دفعك إلى الانقطاع عن الدراسة للزواج ممن أحببت . ولست ألومك في شيء في قصتك هذه سوى في قبولك شرط الانقطاع عن الدراسة تلبية لرغبة فتاك .. مضحية بمستقبلك وبشهادتك التي كانت في متناول يدك رغم ما تمثله لك الشهادة من أمان حتى ولو لم تعمل بها بعد الزواج . لقد اخترت لنفسك منذ البداية ياسيدتي مستهدية مشاعرك وعواطفك وحدها في قراراتك .. فلم تعرضي بعضها على عقلك .. ولم تجيدي حساب قوتك لتعرف من منكما تملك السلام الأقوى .. ولن ألومك في ذلك لأن اللوم لا يفيد ولأنك محبة « والمحبة عن العزال في صمم » ! كما يقول الإمام البوصيري ، لكنني سأقول لك فقط أن الإنسان في مواجهة ما يتعرض له من مواقف في الحياة عليه ان يختار دائما بين أحد اختياريين . أما القبول بالأمر الواقع والتواءم معه والكف عن الشكوى منه والمعاناة بسببه ، وإما رفض هذا الأمر الواقع وتغييره إذا كان يملك القدرة على تغييره بغير الندم عليه ولا البكاء على إطلاله .

وفي حالتك هذه فإنك تستطيعين الانفصال إذا أردته لكنك اخترت الاستمرار وهو من حقك ولا اعتراض عليه ، لكن الاعتراض

هو على ألا تتقبل نفسيا الأمر الواقع الذى رضيت به فتعذبي نفسك
برغبتك فى تدمير الطرف الآخر أو الاساءة إليه واستعادة زوجك كاملا
لك ، فتتحول الحياة إلى صراع ومكائد والأعيب الفائز فيها كالحاسر
تماما لأنه خسر وقته وجهده وأعصابه وصفاء نفسه فى تدبيرها وتنفيذها
فأفسد حياته قبل أن يفسد حياة صحبته .

إن التسليم بما حدث هو الخطوة الأولى لمواجهة أصعب المواقف فيما
أن تتقبله نفسيا وعقليا .. وإما أن تتحررى أنت نفسك مما تسمينه
« وهم الحب » وتفكى قيده عن ذراعك فتستعيد القدرة على الحركة
والاختيار .

فهل تريدین ذلك حقا .

الابتسامة السّاحرة

لم أجد غير بابك أقدم منه تجربتي لكل فتاة لعلها تستفيد بها فلقد وجدت نفسى صغرى ٤ بنات نعيش مع أمى .. أما أبى فقد توفاه الله وأنا طفلة فى المهمل فلم أعرف عنه شيئا سوى أنه ترك لنا ميراثا يكفل لنا الحياة الكريمة .

ولأنى صغرى أخواتى .. فلقد نشأت مدللة ، وشققت طريقى فى التعليم إلى أن تخرجت وتسلمت عملا فى إحدى الهيئات الدولية العاملة فى مصر ، وفى عملى ظلمت كما كنت طوال دراستى الفتاة التى يصعب ان يلتفت نظرها أى شاب ، وكان عملى يقتضى منى أن اتعامل مع إحدى الهيئات الحكومية .. فتعرفت على شاب فى مثل عمرى بدأ يشد انتباهى إليه بحديثه الشيق العذب فى كل مجالات الحياة ، وبعد ٩ شهور من تعرفى به فوجئت به يطلب تحديد موعد لمقابلة أسرقى .. فسعدت بذلك سعادة طاغية ، ونقلت رغبته لأسرقى فالتفوا حولى فى مرح وكلهم سعداء بسعادتى .

وطلبت أمى بيانات عن هذا الشاب لتطلب من عمى أن يسأل عنه .. وتعجبت من ذلك ولم أر له داعيا لأن مظهره وأحاديثه يؤكدان

أنه شاب على خلق ومن اسرة طيبة . لكن نتيجة التحريات جاءت العكس تماما ، فرفضت أمى الموافقة عليه وتضامنت معها شقيقائى وكل أفراد أسرتى ، وخيرتى أمى بين أسرقى وبين الزواج من هذا الشاب الغريب عنا .. فوجدتنى اختار هذا الشاب وواجهته بكل المعلومات التى اخفاها عنا وابلغته بعد ذلك أننى قد تجاوزت عن كل ذلك ، وأننى اخترته .. وأننى سأكون زوجته التى حرمت من كل أسرتها لتعيش معه فابتسم ابتسامة ساحرة .. ومرت السنوات ولم استطع حتى الآن أن انسها ولا أن انسى تأثيرها فى حياتى وأمسك فتأى ييدى وأكد لى أنه سيعوضنى عن فقدى لأسرقى واصدقائى ، فبدأت استعد للزواج وبعث بعض ميراثى عن أبى لأن أمى قبضت يدها عنى وأعلنت أنها ستحرمنى من ميراثها ، واستأجرت بنقودى شقة مناسبة وقت بتأثيرها كاملة على نفقتى لأن خطيبى لم يكن يملك مليا واحدا يسهم به فى التكاليف .. وعشت أياما جميلة وأنا مشغولة باعداد الشقة وشراء الأثاث واعداد الستائر . ولم انتبه كثيرا لخصام أمى لى وغضبها الصامت على رغم وجودى معها فى بيت واحد .. ولا إلى تجنب شقيقائى لى أرضاء لها وسخطا على تصرفاتى .. فلم يكن فى خيالى طوال هذه الأيام المشحونة بالهموم اللذيذة .. سوى زوجى وابتسامته الساحرة وقلبى الذى خفق بالحلب له لأول مرة فى حياتى .

وانتهيت من اعداد الشقة وتم الزواج وقاطع أهلى زفائى ، كما قاطعوا استعدادى للزواج وزففت إلى زوجى وغردت عصافير السعادة فى عشنا الجميل ومرت الأيام الأولى رطبية محملة بالحلب والسعادة ..

وبعد شهر واحد بدأ زوجى يثور ويفقد أعصابه لأنفه سبب ولم يزعجنى ذلك فى البداية .. لكنى انزعجت بشدة حين ثار بعد أيام بسبب تافه فإذا به يسبنى ويسب أسرقى وعائلتى بأفطع السباب ثم اندفع يحطم محتويات الشقة الجميلة ..

ووقفت مذهولة .. وبكيت كما لم أبك من قبل .. ورغم ذلك فحين اعتذر لى بعد ساعات صالحتة وغفرت له ما فعل .. وأملت ألا يعود إلى ذلك مرة أخرى .. لكن الهدوء لم يطل أياما قليلة .. وأصبحت هواية زوجى الذى بعث أسرقى من أجله هى أن يثور لأنفه سبب ثم يصفعنى ويركلنى ويضربنى بوحشية .. فإذا ذكرته من بين دموعى بأنى وحيدة ولا أحد لى فى الحياة غيره وأنى هجرت أهلى من أجله .. أجابنى بقسوة بان ذلك هو خير ما فعلت لكى ينفرد بى ويفعل بى ما يشاء !

وبعد شهر من زواجنا أحضر زوجى أباه وأمه ليعيشا معنا من الحى الشعبى الذى يعيشان فيه لأنها لا يطيقان بعده عنها . فلم أمانع فى ذلك .. بل لعلى أملت فى أن يسهم وجودهما معنا فى حمايتى من اذاه الذى أصبح يتكرر كل يوم تقريبا ولم أمانع أيضا فى الاستجابة لطلب زوجى أن استقيل من عملى لأنفرد لرعايته ورعاية أبويه واستقلت وفقدت راتبى فحاولت تعويضه عن طريق بيع ميراثى عن أبى جزءا فجزءا .. كلما ضاق بى الحال .

ومع كل ذلك لم يسهم وجود أبويه معنا فى حمايتى .. ولم يكف زوجى اذاه عنى كل يوم .. وعرفت من أبويه ان هذه العصبية الهوجاء

هى طابعه منذ طفولته لكنه اخفاه عنى بابتسامته وحديثه المنمق .. ثم
 صعدت حين ضربنى مرة فاستغشت بأبيه لينقذنى من بين يديه فإذا به
 ييجىء وبدلا من أن يحمينى منه ينضم إليه ويحاول هو الآخر ضربى ! فى
 هذه اللحظة فقط ادركت لأول مرة عمق الهوان الذى رضىته لنفسى
 واستقر الحزن واليأس فى أعماقى ، وتصادف بعدها بأيام أن التقيت
 بإحدى قريباتى فأبلغتنى بأن أمى قد انتقلت إلى رحمة الله منذ شهر
 بعد أن مرضت بالشلل عقب زواجى .. فارتج جسمى كله وصرخت
 بدون أن أدري وانهمرت دموعى كالطر فلم تمالك قريبتى نفسها
 وشاركنى البكاء .. وظللت أبكى بلا انقطاع حتى عدت إلى البيت .
 ومرت الأيام حزينة .. وصورة أمى لا تفارق خيالى .. ودموعى
 لا تتوقف عن الجريان ، وأعطانى حزنى على أمى قوة لم أكن استشعرها
 فى نفسى من قبل فبدأت لأول مرة بعد عامين من الهوان ارفع صوتى فى
 وجه زوجى وادافع عن نفسى وأثور لكرامتى وأدميتى اللتين أهدرهما .
 وتجرات ذات مرة فطلبت منه الطلاق ففوجئت به يوافق فى نفس
 اللحظة وبلا أى ممانعة .. فتنازلت له عن حقوقى وعن الآثاء .. وعن
 الشقة نفسها التى استأجرتها باسمى وقت بتغيير عقدها لصالحه ..
 وطلقنى زوجى ولم ينس ان يودعنى ونحن فى مكتب المأذون بكلمات
 شامة قاسية كشفت لى سر موافقته السريعة على الطلاق .. فقد أبلغنى
 أنه طلقنى لأنه تأكد من ان أمى قد حرمتنى من ميراثها .. ثم قال لى :
 هيا يا بنت الأكابر عودى إلى أهلك ذليلة لتعيشى خادمة عند شقيقاتك
 بعد ان فقدت كل شىء وتحجرت عينائى .. وضاع صوتى .. فلم أأرد

عليه ولم أبك ثم غادرت مكتب المأذون وحزن الدنيا في داخلي ولا يخفف منه شيء سوى أن الله سبحانه وتعالى قد أكرمني بعدم الانجاب منه .. لطفًا منه وكرما .

وعدت إلى بيت أسرتي ذليلة ومكسورة القلب والكرامة وخالية الوفاض أيضا بعد أن بت آخر ما بقي من ميراث أبي فإذا بي أجد شقيقاتي وازواجهن وأولادهن يستقبلونني بالدموع والأحضان والقبلات كأنني عائدة من سفر طويل .. وإذا بهم جميعا حولي يخفون عني آلامي .. ويواسوني .. وتصبر شقيقي الكبرى على ألا تدعني في بيت الأسرة وحيدة وأن تصطحبني لأعيش معها .. وأقت معها .. وبدأت أضمد جراحى .. وانشغل عن آلامي بالحديث معها ومع أولادها وزوجها وبرؤية صديقات العمر اللاتي انقطعت عنهن ..

وبعد فترة قصيرة فاجأني زوج شقيقي بأنه قد نجح في إعادتي إلى وظيفتي السابقة لكي اشغل نفسي بعمل مفيد ، وعدت للعمل وشكرته كثيرا وبعد أيام أخرى فاجأني مرة أخرى بأن كل ما بعته من ميراث أبي قد اشتراه لي عن طريق وسطاء وأعاد تسجيله باسمي لأنه نجبرته في الحياة قد عرف أن زواجي بهذا الشاب لن يطول وأني سأعود إلى أسرتي مهما طال الوقت .. وحين تساءلت متحيرة .. وكيف لي أن أسدد ثمن هذا الميراث .. فاجأني شقيقي الكبرى بما لم أتوقعه أو أحلم به وهي أنها قد اتفقت مع شقيقاتي على تجنب نصيبى من ميراث أمي الذى وزع عليهن .. ليكون لي لأنهن رأين في ذلك حقا ليس لهن . ولأنه لن تنأ لهن حياة وأنا محرومة وهن يملكن ما كان يجب أن

أملكه .. ولان زوجها أيضا جزاه الله كل خير قد رفض ان يدخل على بيته وأولاده هذا المال الذى هو من حقى كما قال فتكلمت دموعى نيابة عنى .. ولم أجد ما أقوله .. وازداد همى بحرمانى من مودة أهلى وشقيقائى خلال هذه التجربة البشعة ..

ولم يمض وقت طويل حتى عرضت على شقيقتى وزوجها الزواج من أقرب أصدقائه وهو رجل فاضل بكل معنى الكلمة توفيت زوجته وتركت له صبيا صغيرا .. فقبلت الزواج منه .. وأحببت ابنه كما لو كان ابنى وأكثر .. وتزوجته .. فعرفت معنى آخر للسعادة الزوجية القائمة على الاحترام والرفقة والمودة واحترام مشاعر الطرف الآخر .. وبعد عام أنجبت ولدا .. فأصبح لى ولدان يتقاسمان قلبى مع ابنيهما الذى أنساني بعطفه وحبه وكرم أخلاقه ما بقى فى روحى من آثار تجربتى القديمة .. وكبر ولداى وتقدما فى مراحل الدراسة .. وفى العمر .. وأصبحت أفخر بهما وبتفوقهما العلمى وهما فى مدارج الشباب وحرصت على أن أعلمهما درس حياتى وهو ألا يخدعا أبدا فتاة وألا يساعدا أبدا فتاة على الخروج على طاعة أهلها بالكلام المعسول فيهدما سعادة أسرة متحاببة كسعادة أسرتى التى هدمتها .. ويدميا قلوب آباء وأمهات كما أدميت أنا قلب أمى فماتت مريضة حسيرة وقلب عمى - رحمها الله - وغفرا لى ما قدمت من ذنبى وما أخرت .

وأرجوا ان أؤكد لك أنى لا أقصد بكلامى هذا البسطاء الشرفاء الصادقين مع أنفسهم ومع الآخرين .. وإنما اقصد المخادعين من كل الفئات فهؤلاء هم النوع الردىء من البشر مهما كان مستواهم الاجتماعى

وهؤلاء هم من أوجه نصيحتي لكل فتاة بأن تحترس منهم .. وبألا تتزوج بعيدا عن موافقة الأهل أبدا ولها في تجربتي ما يغنيها عن كل سؤال .

ولكتابة هذه الرسالة أقول : لست اذكر من الذى قال صادقا أن كل إنسان فى الوجود مها كان مستوى تعليمه يستطيع أن يؤلف كتابا واحدا على الأقل إذا روى بأمانة وصدق قصة حياته .

وقد ألقت كتابك بالفعل ياسيدتى .. وهو كتاب قيم عشنا معك كل سطوره فرأيناك وأنت فريسة لنقص التجربة وعدم نضج المشاعر والاندفاع العاطفى والعناء مع الأهل .. ورأيناك وأنت تدفعين الثمن غاليا من كرامتك وسعادتك ، ثم رأيناك وقد جاء مساء الحياة يحمل معه مصباحه ليعيد إليك الثقة فى الخير والبشر والعلاقات الإنسانية والعلاقات الأسرية المثالية .. أنها ثنائية الحياة الأزلية الخير والشر .. ولقد اسعدتنا صور الخير فيها كما اشقتنا صور الشر والانتهازية البشعة فيها .

ولكل تجربة مريرة فى حياتنا ثمن غال ندفعه من دمنا واعصابنا ورصيدنا المتناقص من الأيام .

فإذا كان لى أن أضيف إلى رسالتك شيئا فهو فقط ان الخير والشر لا يرتبطان بالمستويين الاجتماعى والمادى للبشر وإنما بالمستويين الأخلاقى والدينى لهما ولعلك تنبهت أنت لذلك فى سطورك الأخيرة من الرسالة .. أما نداؤك الأخير لكل فتاة بألا تخرج على طاعة أهلها .. فهو نداء له قيمته وقد قلت مرارا أننى ضد الزواج الذى يدفع الإنسان ثمنه

بأن يقطع كل ما بينه وبين الأهل تماماً فيجد نفسه وحيداً تماماً في الحياة
 ما لم يكن موقف الأهل شديد التعسف وبلا سند من منطق أو دين
 ومثل هذا الموقف عادة لا يجمع الأهل عليه كلهم .. وإنما يكون هناك
 دائماً من يرفضه منهم ومن يتعاطف مع عدالة مطلب الابن أو الفتاة
 ومن يسهم - ولو بعد حين - في تذليل معارضتهم ومع ذلك فمن
 الأفضل دائماً أن يحصن الإنسان دائماً سعادته برضاء الأهل وقبولهم
 وموافقتهم .. وان يبذل غاية جهده في سبيل ذلك وبلا يأس .. ولا بد
 في النهاية أن يمنحوه تأييدهم .. لأنهم لا يرغبون في النهاية إلا سعادته ..
 والحب الحقيقي الصادق يأسديني هو الذي يكشف وجه الحياة
 الجميل النقي لكن سوء حظك قد شاء ألا تصادفيه في تجربتك الأولى
 المريرة وأن تصاد في بدلا منه صيادا للفرص لم يدخل الحب لحظة في
 حساباته .

فاشكري اقدارك أنك لم تنجبي منه .. واسعدى بما أوتيت وشكرا
 لك على رسالتك ..

القبيلة

اكتب إليك قصتي لعل فيها ما يهدئ خواطر بعض المهومين ..
ويعيد إليهم ثقتهم في أن ينالوا حظهم من السعادة حين يأذن الله فلقد
كنت في الثالثة والعشرين من عمري حين تقدم لي شاب كنت أراه كل
يوم في ذهابي وعودتي إلى الكلية .. لمدة ثلاث سنوات كاملة بغير أن
يبادلني كلمة واحدة رغم ذلك فقد نشأت بيننا علاقة صامته عميقة ،
أحببته من خلالها واحببني .. وتمنيته لنفسى وتمناني .. ثم جاء اليوم
الموعود وتقدم لأسرتي بخطبتي فكأنى كنت أعرفه وأعرف كل شيء عنه
منذ زمن طويل فأعلنت موافقتي عليه من اللحظة الأولى ... واعترض
أبى بسبب بسيط هو أنه وحيد تماما .. فأبواه رحلا وهو صغير .. ولا
أخوة له ولا أخوات وأقاربه القليلون يعيشون في بلاد متفرقة ..
لا يعرفون عنه شيئا ولا يريد هو أن يعرف عنهم شيئا بعد أن تخلوا عنه
صغيرا ورفض أبى زواجي منه قائلا أن الفتاة تحتاج إلى أهل زوجها
ولا تستطيع أن تواجه الحياة وحدها .. فأصررت عليه .. وبسبب
تمسكي به على غير إرادة أبى أعلن أنه لن يساعدني في زواجي منه ،
وكنت قد تخرجت من كليتي وعملت بأحد المكاتب المهنية ، وتخرج

خطيبى وعمل مهندسا ، فتحملنا وحدنا عبء زواجنا ، وتم زفافنا فى شقة صغيرة من غرفتين بلا أثاث تقريبا .. ومع ذلك فلقد كانت جنى وعش أحلامى .. وواجهنا الحياة المتقشفة لمدة ٨ سنوات حتى استطعنا أن نتقل إلى شقة أوسع وان نوثثها بأثاث جميل لكنى لم أنجب أطفالا طوال هذه السنوات .. ولم أياس من التردد على الأطباء حتى واجهونى بالحقيقة المرة وهى أنى لن أستطيع الانجاب .

وخلال هذه السنوات كنت ألمح حيرة زوجى .. وهو الذى عاش وحيدا طيلة حياته ويتلهف إلى الأبناء ليعوضوه انعدام الأهل .. وبعد فترة من التفكير العميق .. طلبت من زوجى الطلاق ليستطيع أن يتزوج ممن تنجب له أولادا ولأتحذ أنا أيضا طريقا آخر فى الحياة يعوضنى عما أحس به من نقص ، وثار زوجى ثورة عارمة ورفض طلاقى رفضا باتا .. لكنى ألححت عليه واقنعته بعد جهد جهيد بأننا سنكون أصدقاء طوال العمر ، وان من الأفضل أن يتم الطلاق الآن قبل ان يحس هو برغبته فى الزواج من أخرى .. وبعد مشاورات طويلة وافق على طلاقى وعدت إلى بيت أسرتى واستمر اهتمام كل منا بالآخر على البعد وبعد عام من طلاقنا استشارنى فى أمر زواجه من أخرى ، عرض على ظروفها فوافقت عليها وتزوجها وبعده بشهور قبلت أنا الزواج من أرمل قاضل عنده ولدان فى سن العاشرة والسابعة وتزوجته وافرغت فى طفليه كل أمومتى الحبيسة وعوضتهما عن حرمانهما من أمهما - وكانت أسعد لحظات حياتى حين سمعت لأول مرة منها كلمة « ماما » ، وحرمت عليهما أن يناديانى إلا بهذه الكلمة الجميلة !

وعشت حياتي مع زوجي الفاضل وأبنائي سعيدة .. وسافر مطلقاً مع أسرته إلى إحدى الدول العربية وعاش هناك وأنجب طفله ومضت سنوات العمر سريعاً واجتزت الأربعين من العمر وبلغ ابني الأكبر سن العشرين وابني الأصغر سن السابعة عشرة وفجأة مرض زوجي مرضاً خاطفاً .. وغادر دنيانا مطمئناً إلى رعايتي لولديه .. وبعد شهور من وفاته أراد أهل زوجي أن يضموا الولدين لهم بحجة أنهم الأولى برعايتهما .. فرفضت ذلك وقاومته بكل السبل .. وقاتلت دفاعاً عنها .. وهما ولداي اللذان ربيتها بيدي .. ورفض ابناي ذلك بكل إصرار حتى استسلم الأهل وتركوهما لي وواصلت حياتي بين عملي في المكتب وبين رعاية الوالدين اللذين أصبحا شاخين أفخر بهما ويتقدمان في دراستهما بكل نجاح وواصلت سنوات العمر ركضها السريع فإذا بزوجي الأول يعود من الخارج ومعه فتاة شابة هي ابنته بعد أن رحلت أمها إلى رحمة الله في الغربة .. منذ عامين .. والتقينا مرة أخرى بعد أكثر من ١٨ عاماً من انفصالنا .. وإذا بقلبي يخفق للفتاة حين أراها لأول مرة .. واتلهف على احتضانها .. وكل ما في جسми وعقلي يؤكد لي أنها ابنتي التي كان مقدراً لي أن أنجبها من زوجي لو كان الله سبحانه وتعالى قد أراد لي الانجاب ، وإذا الإحساس يتضخم عندي كل يوم حتى انتهيت إلى اقتناع عجيب بأنها ابنتي أنا لكن أباهما أنجبها من رحم امرأة غيري لأسباب لا ذنب لي فيها !!

وأصبحت هذه الفتاة تقاسم ولدي الآخرين قلبي .. وحين عرض على مطلق أن نعيد شملنا مرة أخرى فوجئت بأبنائي الثلاثة .. نعم

الثلاثة ولدائى وبنتى يلحون على فى قبول الزواج لنعيش معا تحت سقف واحد .. وتزوجت زوجى مرة أخرى وعشنا نحن الخمسة فى بيته وأصبح لى ثلاثة أبناء وزوج .. وأصبح لزوجى قبيلة يرعاها ويسعد بها .. وتوالت المشاهد سريعا فكبر ابنى الأكبر .. وعمل .. ثم تزوج من ابنتى واقاما معنا فى نفس البيت .. وتخرج ابنى الأصغر .. وخطبت له فتاة جميلة ابنة جار طيب لنا وشرطى الأول الذى سعدا به هو ان يقيا معنا وان يشاركانا حياتنا .. وبلغت أنا الخمسين .. ومازلت أعمل وأرعى أسرتى الكبيرة التى زادت عددا بحفيدة الصغرى الذى يملأ الدنيا صراخا وأنا اكتب لك هذه الرسالة لأقول لكل رجل وكل امرأة حرما من الابناء ان الخير فيما اختاره الله لها .. وان التعويض النفسى عن الحرمان من الأبناء ممكن جدا بأكثر من وسيلة ، ولأقول لمن حرمة الاقدار من زوجته ولن حرمتها من زوجها ألا يئاسا من رحمة الله .. فقد يحىء التعويض وتحين السعادة حين يأذن بها خالق السماوات والمهم دائما هو أن نرضى بما اختاره لنا الله .. وان نلتمس التعويض والعزاء فى وجوه الحياة الكثيرة الصاخبة .. وشكرا .

ولكتابة هذه الرسالة أقول : النفوس المحبة الراضية التى تشع حبا وعطاء للآخرين .. تسعى إليها السعادة .. حتى وان لم تسع هى إليها .. ولم تبذل جهدا لنيلها .

لهذا فلا عجب فى أن تجدى العزاء والسلوى عما حرمت منه فى هذه القبيلة التى يظللها الحب ويجمع بينها الاخاء .

بل ولاعجب فى ان يجتمع شملك مرة أخرى مع زوجك الأول

بعد كل هذه السنوات وفي ظل هذه الظروف الدرامية الغريبة - التي
ماكنت لأصدقها لولا أنني اعرف جيدا أن الليالى يلدن كل عجيب ..
وان الزمن هو اعظم المؤلفين بغير استثناء .
لقد استعرض الفيلسوف الألماني « كانت » شريط حياته قبيل ان
يلفظ أنفاسه بلحظات .. ثم ابتسم وقال : هذا .. حسن !
وأفضل ماتقدمه الحياة للإنسان من خير هو ان يكون قادرا على أن
يتوقف في أى لحظة من العمر ليراجع شريط حياته ويرضى عنه ويقول
مع الفيلسوف الألماني : هذا .. حسن !
لكنها جائزة كبرى ياسيدتى لاينالها إلا من طبعت نفوسهم على
الرضا وتقبل الحياة بكل ماتحمله إليهم أمواجها .. وعلى القدرة على
العطاء .. واستشعار السعادة في اسعاد الآخرين ولاشك أنك واحدة
ماكنت لأصدقها لولا أنني أعرف جيدا أن الليالى يلدن كل عجيب ..
المفيدة .

الشعيرات البيضاء

قرأت رسالة « رحلة القطار » فتساقط دمعي على صفحة الجريدة .. وتمزق قلبي ألماً وعطفاً على هذا الشاب الصابر المؤمن الذي ظلمه شقيقه وإذاه ودفعني هذه الرسالة المؤلمة إلى أن أروى لك وله قصتي مع الحياة ، ليعرف منها كاتب الرسالة ما أردت قوله له .

فأنا ياسيدي رجل .. نشأت في أسرة بسيطة مكونة من أب عامل باحدى الشركات وأم طيبة و٣ فتيات ولدين أنا أكبرهم وكان بيتنا الذي نشأنا فيه حجرة في شقة من ٤ حجرات تقم في كل منها أسرة بأكملها ، وكان عدد أطفال الشقة ١٨ طفلاً يلهو صغارهم في صالتها .. ويذاكر كبارهم دروسهم وسط ضجيجهم .

ورغم ذلك فقد حصلت على الاعدادية بمجموع كبير يؤهلني لمواصلة الدراسة الثانوية وكانت أمني أن التحق بالجامعة وكان أبي يعرف عنى ذلك . فقدم لى أوراقى فى المدرسة الثانوية لكن أحد جيراننا الطبيين دعانى إلى غرفته وحدثنى بعطف عن ظروف أبى وضرورة أن اختصر تعليمى لأعوانه فى حمل المسئولية .. فشكرته ، وعدت إلى حجرتى فوجدت أبى يتجنب النظر إلى وهو خجلان فامتلات نفسى

بالاشفاق عليه .. وتقبلت ظروفى وقدمت أوراقى إلى المدرسة الصناعية وكانت مدرسة عسكرية فحمانى زيتها الموحد من العرى وراثته المنظر ، وبعد عام نجحت شقيقتى فى الاعدادية .. وتكررت معها نفس القصة لكنها كانت أقوى منى فتمسكت بالتعليم الثانوى واستغاثت بى فاندفعت أويدها وأقول إنى سأساهم فى نفقات تعليمها ، وكنت قد بدأت وقتها أعمل فى إحدى الورش بعد المدرسة ، ثم تكررت نفس القصة بجذافيرها مع شقيقتى الآخرين فى دوريهما أما شقيقى الوحيد هو أصغرنا جميعا .. وآخر العقود كما يقولون .. فقد كان مشاغبا متبرما دائما .. سريع الشكوى ولا يعرف التنازل عن أى مطلب من مطالبه .. فجاءنى بعد الاعدادية وقال لى بطريقته الحاسمة ساتعلم فى الجامعة واتخرج مهندسا .. فتصرف !

فضحكت وتصرفت فعلا وقدمت أوراقه للمدرسة الثانوية .. وكنت قد تخرجت فى المدرسة الصناعية وعملت بإحدى شركات حلوان وأصبحت أصحابو فى الخامسة فأذهب للمصنع وأعود إلى الورشة فأعمل حتى المساء .. ومضت عدة سنوات وأحيل أبى إلى المعاش فأنخفض مورده وأصبح ما اكسبه هو المورد الأساسى للأسرة .. وفى هذه الفترة كان رفاق الصالة قد كبروا وتفرقوا بين المدارس والمعاهد ومن بينهم كانت نفسى تهفو دائما لفتاة هادئة الطباع حلوة المعاشرة ، فنشأت بينى وبينها قصة حب شريف لا يعبر عن نفسه غالبا إلا بالعيون وتبادل الاهتمام .. وكانت تواصل دراستها الجامعية . فلم تتغير ولم تحلم بالارتباط بأحد غيرى فاستقر حبها فى أعماق .

وكنيت فى سن الرابعة والعشرين حين جاء من يخطبها .. ففزعت
إلى تسألنى ما العمل فحدثت أبى وأمى فى الموضوع .. فوافقانى على
خطبتها لكنى احسست أنهما يوافقان بلا حماس لكيلا يظلمانى وإنهما فى
أعماقهما يتمنيان لو آخرت هذا الارتباط حتى تتخرج شقيقانى ويخفف
العبء .. ولم يقل لى أحد ذلك لكنى أحسسته فاثقل ضميرى ..
وكانت فتاتى تعرف الحال فلم تقس على كثيرا وتفهمت ظروفى
وخطبت .. وشاركت فى فرحها بقلب مثقل بالهم . ولم يخف ذلك على
أمى فبكت وقالت لى : ظلمناك فى الأول .. وفى الآخر .. ولن يغفر
الله لنا .. فأسرعت اننى شبهة أنى حزين لزواج مديحة .. واكدت لها أنى
سعيد بمسئوليأتى وراض عن نفسى ..

ومضت الأيام بطيئة وصعبة وكانت شقيقانى أكثر تقديرا لظروفى
فلا يطلبن منى شيئا إلا إذا لم يكن منه بد ، وأسارع بتليته مها كان ،
وقد حفرت الحياة بينى وبينهن حبا عميقا فكنت أخاهن وصديقهن
ومستشارهن فى كل أمور الحياة .. أما شقيقى المتمرد .. فكان لا يعرف
الصبر على شىء يريد .. فإذا أراد حذاء جاءنى وقال لى بكبرياء
وبلهجة لاتعرف فيها المزاح من الجد : ألم أطلب منك حذاء أول
أمس .. أين هو ؟ فلا أملك نفسى من الضحك منه ومن ظروفى وأجد
نفسى مضطرا « للاعتذار » له عن تأخيرى .. فيتقبل الاعتذار
مشكورا ! وتنهال عليه أمى بلسانها لأنه لا يقدر الظروف .. ولا يقدر ما
أفعل .. إلخ .. فأمنعها واننى عنه كل اتهاماتها وأقول لها انه الأصغر وقد
وجد من يتحمل عنه المسئولية فظن أن هذه هى الحياة الطبيعية فلا

تقضى عليه يا أمى فلكل إنسان ظروفه ولو كان هو مكافى لفعل ما أفعل تلقائيا .. وهكذا مضت حياتنا صعبة ولكن يظلها دائما الحب والتفاهم والتسامح .. حتى كانت جلساتنا معا أمتع من أى شىء آخر يتمناه كل منا .. وبعد إحدى هذه الجلسات الهنيئة مات أبى رحمه الله راضيا عني وداعيا لى ولكل اخوتي وبعدها بشهور تخرجت أولى شقيقتى ووفقتى الله فى تشغيلها عن طريق أحد زبائن الورشة ، وأرادت أن تساهم فى مصروف البيت فقلت لها يكفيها أن تلبى مطالبي الشخصية وإن تدخر بعض راتبها للزواج ثم تخرجت الثانية والثالثة وعملتا فى بعض الأعمال المؤقتة ، وتوفى صاحب الورشة الذى عملت معه ١٦ عاما .. ولم يكن له ولد .. فقررت ارملة يبيعها بسبب بعض المشاكل مع الضرائب وعرضت على شرائها بمبلغ معقول لكنه لم يكن متوافرا لى فعرضت على دفع أى مبلغ وكتابة شيكات مقسطة بالباقي لكى تضمن دخلا مستمرا لعدد من السنين ففعلت وحصلت على اجازة بدون راتب من الشركة وتفرغت للورشة تماما ، ومع ذلك فلم تحسن أحوالى المادية كثيرا ، لأن قسط الورشة كان يلبسهم معظم الدخل ومع ذلك فلقد واصلت كفاحى ، وبعد عامين حققت حلم أسرتى بنقلها من الشقة المشتركة إلى شقة مستقلة لأول مرة فى تاريخها استعدادا لمن يأتى طالبا أيدى شقيقتى الثلاث واحتفظت بالغرفة التى شهدت كفاحنا من باب الاحتياط ، ولم يمض كثير حتى جاء من يخطب كبرى البنات ثم التى تليها وتم زواجهما والحمد لله خلال عام واحد وقتى بواجبى نحوهما قدر المستطاع .. ولم أخف على زوجيهما شيئا

عن حياتنا بل اصطحبتهما إلى شقة الكفاح في زيارة لجيرانى القدامى هناك وعرفتهما بهم .

وبلغت السادسة والثلاثين من عمرى واكتشفت ان شعيرات بيضاء عديدة قد تسلت إلى شعرى .. ففكرت فى الزواج وكان قلبى مازال يهفو إلى رفيقة الكفاح القديمة وكنت استقصى أخبارها دائماً من أسرتهما .. وأسعد بما يسعدها .. واشقى بما يشقىها وكانت معظم اخبارها حزينة لأن الأقدار شاءت لها أن يمرض زوجها بمرض مستعص بعد ثلاثة أو أربعة أعوام من زواجها فتقبلت اقدارها برضا .. ووقفت إلى جانبه باخلاص . وراحت أُمى تلح على فى الزواج قبل أن يفوتنى القطار خاصة ان مسئولياتى قاربت على الانتهاء فقد تخرجت الشقيقات والشقيق وعملوا جميعا وتزوجت منهن اثنتان .. وكان آخر من عمل شقيقى المشاغب الذى وفقه الله فى العمل فى هيئة مهمة لا أعرف كيف استطاع العمل بها واستشرت أختى الصغرى فى موضوع زواجى فأيدت ذلك بحماس وعرضت على الشقيقة الكبرى إحدى صديقاتها وأنت على أخلاقها ووداعتها وكان شقيقى الأصغر فى الخارج فانتظرته حتى عاد .. وقلت له أنى أريد رأيه فى شىء هام ، فإذا به هو أيضا يريدنى فى شىء هام .. ومادام شىء يخصه فهو بالضرورة أكثر أهمية .. لهذا لم يسألنى ماذا أريد وانطلق يروى بطريقته المباشرة أنه يجب زميلة له من أيام الكلية وأنها هى التى سعت لتعيينه بواسطة أبيها فى الهيئة وان خطاها كثيرون ولا تستطيع الانتظار حتى يدخر ما يحتاجه لتوفير شقة .. لهذا فهو يريد الزواج والاقامة معنا فى الشقة حتى يتسلم شقة النقابة بعد

عدة سنوات .. فانفجرت فيه أمى وأختى لكنى كففتها عنه .. وطلبت منه أن يعطينى مهلة للتفكير .. وبعد انصرافه أصرت أمى على الرفض ، أما أنا فقد رحت افكر .. واتساءل لماذا تسبق رغباته رغباتى دائما .. وشغلت نهارى فى الورشة بالتفكير فى الموضوع .. وعدت فى المساء ففتح لى الباب وراح يرقبى بهتفز وهو يقرض اصابعه كعادته حين يكون عصيبا فقلت له بعد دقيقة : مبروك ياخترير !

فانفجر ضاحكا وهجم على يقبلنى وسط دهشة أمى وأختى وتزوج أختى فى شقتنا وجاءت العروس فاستقبلناها أحسن استقبال وعدت مرة أخرى أنام أنا وأمى وأختى فى غرفة واحدة لتخلو الشقة لجهاز العروس وأسرتهما وضيوفها .

ولم تخل الحياة بالطبع من بعض المشاكل التقليدية والبسيطة بين الأم وزوجة الابن أو بينها وبين شقيقة الزوج .. ولكنى وضعت الأمور فى حجمها الطبيعى .. مذكرا أمى وأختى بأننا قد احتملنا من قبل عشرة الأغراب .. فليس أقل من أن نحتمل عشرة من أصبحت من أسرتنا اكراما لشقيقنا .. وتزوجت أختى الأخيرة وانتهت بزواجها آخر مسئولياتى العائلية .. وأصبحت لى ٣ بيوت اذهب لزيارتها فاستقبل فيها بالحب والاحترام واحيانا بالدموع إذا جرننا الحديث إلى غرفة الكفاح ومالاقيناه فيها وكنت اقضى فيها ساعة القيلولة لقربها من الورشة من حين إلى آخر فإذا بأمى تطلب وتصر على أن تعود للاقامة فيها إلى أن يتسلم شقيقى شقيقته ويرحل بزواجه بسلام واحترت ماذا أفعل ! .. وكيف تركها وحدها فى الشقة المشتركة .. وحاولت اثناءها فاصرت وادركت

أنا الموقف فقررت أن أقم معها إلى أن يخلى شقيقى الشقة .. وابلغت أخى بذلك فجاء مسرعا وحاول استرضاء أمى فاقنعه بأنها مستريحة هكذا وليست غاضبة من أحد .. واكدت أنا أيضا له ذلك لكنى طالبت من باب الوفاء بحقوق الأم أن يصطحب زوجته معه فى الزيارة القادمة لتسترضيها بكلمتين وينتهى الموضوع .. من الناحية النفسية ويستمر الحال على ما هو عليه فhez رأسه وسكت ، ومرت أيام ولم تأت زوجته ، وسألته مرة أخرى فوعده ، وسألته مرة ثالثة وكنا فى الغرفة القديمة ففوجئت به يقول لى أنه لا يريد احضار زوجته إلى الشقة المشتركة لكيلا تراها وترى جيراننا القدامى فتتعال عليه أو تعيره بهم ، وأحسست بألم شديد يشق صدرى .. ولم أشعر بنفسى إلا وىدى ترتفع وتضع شقيقى الوحيد لأول مرة فى حياى .. ففوجئ مفاجأة قاسية واندفع يردد فى عصبية : تضربنى .. أنت تضربنى ، ووجدت نفسى انفجر نعم أضربك وأكسر رأسك أيضا .. من تظن نفسك .. إلخ ، وانتهى الموقف الغريب فهدأت وأحسست بالندم لأنى صفعت شقيقى وهو رجل وزوج وعلى وشك أن يصبح أبا .. فبكيت طويلا بعد انصرافه ولم يخفف من حزنى قول أمى وجيرانى لى أننى أبوه وان من حقى أن أؤدبه .. واننى صبور معه أكثر مما يجب .. ونمت ليلة من اتعس الليالى .. وفى اليوم التالى كنت معك المزاج فى الورشة طوال النهار .. ولم اطق صبرا على ذلك فغيرت ملابسى وتوجهت إلى الشقة الجديدة واستقبلتنى زوجته بترحاب واحترام رغم علمها بما حدث وكانت دائما تعاملنى معاملة طيبة وانتظرتة إلى أن جاء ونهضت لأصافحه واقبله

واعتذر له لكنه تجافى عني وتجاهلني ودخل غرفة النوم وأغلق بابها ورائه .. وشعرت بالحجل فانصرفت .. وعشت أياما مكثبا .. وشكوت لشقيقتي فلمنه لكنه رفض أن يزورني في الورشة أو في الغرفة .. وعز على أنا أن أكرر التجربة واذهب إليه فيعرضني للمهانة مرة أخرى ..

وبدأت ألومه بيني وبين نفسي .. أليس لي عنده أى رصيد من المودة والرحمة يجعله يصفح عن خطأ واحد ارتكبته في حقه ! وكيف تتخاصم ونحن شقيقان .. وليس لأحدنا سوى الآخر .. ثم لماذا لا يتنازل مرة واحدة ويصالحني وأنا لا أحتمل خصامه ولا خصام أى من شقيقتي وخاصمته كبرى الشقيقات تأييدا لي فزرتها ولمتها على ذلك وقلت لها أنه بين الأخوة ليست هناك محاور ولم اتركها إلا وهى تستعد لزيارته ومرت أسابيع واقرب موعد ولادة زوجته فترقت الأخبار لأؤدى واجبي معها .. حتى جاء يوم كنت أعمل في اصلاح سيارة ومشغولا بها حين رفعت رأسى فجأة فوجدت شقيقى قادما يقرب من الورشة وهو متجههم فأنخلع قلبى وتوقفت عن العمل ورحت أرقبه خائفا إلى أن أصبح أمامى تماما ووقف صامتا دقيقة مرت على كأنها سنة .. ثم قال فجأة بنفس الطريقة الحاسمة التلغرافية : فلانة (أى زوجته) انجبت ولدا .. وسميته باسمك ثم استدار وانصرف ! واستوعبت المفاجأة بعد لحظات فصرخت بأعلى صوتى : استنى ! ثم هرولت إليه بكل شوق العمر واحتضنته وقبلته وعدت به للورشة وأنا اقفز فوق الأرض من الفرح .. واحضرت صندوقا من المياه الغازية

أمرت الصبى بتوزيعه على المارة احتفالاً بأول ولد سيجعل منى عما ..
وجلجلت ضحكاتى فى الحارة معبرة عن سعادتى ، ونهضت
فاصطحبته معى إلى البيت واصطحبت أمى واشترت هدية كبيرة
وذهبت معه إلى المستشفى .. وقبلت ابنه سعيداً ، وهو يقول لى : هاقد
انجبت لك ولدا لتضربه بدلا منى .. فقلت له : توبة بعد الآن معك أو
مع غيرك !

وعاد الوثام بينى وبين شقيقى الوحيد وسعدت أسرتنا المكافحة
بذلك وجاء شهر رمضان هذا العام ونحن على أسعد حال .. وقد افطرنا
جميعاً أول لياليه شقيقاى وازواجهن فى غرفتنا المتواضعة ومعنا زوجة
شقيقى التى احبت المكان والجيران ولامت زوجها لأنه أساء بها الظن
وهى من تحبه منذ كانت فى السنة الثانية بالجامعة .. وقد بلغت الآن
التاسعة والثلاثين .. ولم اتزوج بعد .. ومازلت اسدد اقساط الورشة
التى ستنهى خلال عام .. ومازلت أقيم فى الغرفة القديمة فى انتظار أن
يحصل شقيقى على شقته .. وسيحصل عليها بعد ٨ شهور وحتى لو
تأخرت عن ذلك فهاذا سيحدث ! سنعيش كما عشنا .. وسانتظر فرصة
ثانية وربما تحسنت الأحوال واستطعت شراء شقة أخرى وتنازلت له
عنها نهائياً .. لكن ذلك لن يحدث ان شاء الله لأنه سيأخذ الشقة قريباً
أما أنا فان القطار لم يفتنى كما تقول لى أمى ، وهى تمسك بالشعيرات
البيضاء فى جانب رأسى .. فلقد عقدت قرانى منذ شهر على « مديحة »
التى حال الفقر دون الجمع بيننا منذ ١٤ سنة ، بعد ان عادت إلى
قواعدها سالمة عقب وفاة زوجها رحمه الله منذ ٣ سنوات .. وهكذا

تقسم الحياة الأنصبة بين الناس .. فيأخذ هذا شيئا .. ويحرم هذا مز
شيء آخر .. لكن لاشيء في الدنيا أكبر من أن تعيش وتتحرك وسط
من تحبهم ويحبونك الحب الصافي الذى بلا غرض .. وليس هناك أحق
من أخوتك وأسرتك بهذا الحب .. لأنهم من لحمك ودمك .. ولم
احبيتهم لاحبت كل الناس وقد أردت برسالتى هذه أن أقول لكاتب
رسالة « رحلة القطار » ان هناك أشياء كثيرة يجب ألا يضحى به
الإنسان ابدا حتى ولو خسر الدنيا وما فيها وبعد ذلك أقول له اعانك
الله على فقد شقيقك الوحيد .

ولكاتب هذه الرسالة أقول : سئل أديب كبير عن تعريفه للأدب
العظيم فقال انه الأدب الذى تخرج من قراءته وأنت أكثر طيبة وأكثر
نبلا . وأنه الأدب الذى تحس بعد أن تنتهى منه بأنك قد صرت
إنسانا أفضل وبأن رغبتك فى أن تكون أكثر عطفًا وإنسانية وتفهما فى
علاقاتك مع الآخرين وقد ازدادت كثيرا عنها قبل أن تقرأه !

إن رسالتك هذه يا صديقي العزيز تندرج تحت هذا النوع من أنواع
الأدب الذى يجعل الإنسان أكثر نبلا بعد قراءته .. أنها تعكس فيها
راقيا للحياة وللقيم الصحيحة الأولى بالرعاية والحفاظ عليها وبعدم
التضحية بها مهما كانت الأسباب والمبررات . فبمثل هذه القيم تكون
الحياة حياة كما أرادها لنا الخالق وبغيرها لا تكون سوى فرع من فروع
البورصة لقيمة لشيء فيه إلا بالمال وحده !

إننى لن أطيل فى ردى على رسالتك .. لأنها لا تدع زيادة
لمستزيد .. لكنى سأقول لك فقط أنك قد جعلتنا نحب شقيقك

المشاكس مثلما نحبك ونحب أسرتك وجعلتنا نحب الحياة والصفاء بين
الأخوة والأشقاء وكل الأشياء الجميلة في الحياة .. وحتى حين أخطأت
بصفع شقيقك فلقد كانت دوافعك للخطأ دوافع نبيلة وشريفة لأنك
صفعته انتصاراً لحق أمك ولقيم الأصالة ورفض الادعاء والتكبر وشتان
ما بين دوافعك لهذه الصفعة وبين دوافع الآخر سامحه الله حين صفع
شقيقه الدليل المنكسر في رحلة القطار .

إن بعض الناس قادرون على العطاء وعلى التماس الاعذار للآخرين
والتعامل مع الجانب الطيب فيهم وأنت منهم لهذا فاني أقول لك ان
شعيراتك البيضاء ليست انعكاساً لمر السنين وإنما هي انعكاس لبياض
سريرتك الناصعة البيضاء .. ومن كان كذلك قد يبيض شعره أحياناً
لكنه يطالع الدنيا دائماً شاباً محباً للحياة والخير والبشر حتى نهاية العمر .
فهنيئاً لك سلامك النفسى وحكمتك الفطرية وقدرتك على العطاء
والتضحية والايثار .. ولك كل احترامى ومودتى .

الحقيبة الزرقاء

أنا ياسيدى سيدة فى الثانية والثلاثين من عمرى .. نشأت فى أسرة طيبة متدينة .. فرعيت الله فى كل تصرفاتى ولم اسمح لنفسى بارتكاب معصية وواصلت دراستى بتفوق حتى التحقت بالجامعة وتقدمت فى دراستى حتى بلغت السنة الثالثة بغير أن تتجاوز علاقتى بزملائى حدود الزمالة المتحفظة إلى أن اقترب منى زميل يكبرنى بسنة ويدرس معى فى نفس الصف بعد حوار صامت طويل استمر بيننا أكثر من عام وتصارحنا بمشاعرنا وبعد فترة قصيرة طلب أن يزورنى فى بيتى فهدت له الطريق والتقى بأبى وطلب يدى منه وصارحه بأنه لا يملك أية امكانيات للزواج وانه سيكافح ليبنى عشه من الصفر . وصارحه أبى بدوره بانه موظف وان غاية مايسطيع ان يقدمه لى هو مبلغ محدود سيحصل عليه باستبدال جزء من معاشه . وان علينا ان نبني عشنا بكفاحنا معا وتمت الخطبة فى حفل عائلى بسيط ..

وتركز أملنا فى الحصول على البكالوريوس بتفوق عسى ان نجد فرصة العمل كمعيدين بنفس كليتنا .. وكافحنا كفاح الأبطال فى السنة الأخيرة من الكلية حتى صرت كالشبح من قلة النوم وكثرة الاجهاد

وهزل خطيبى وبدأ شاحبا كالخيال .. وتقدمنا للامتحان ونجحنا بتقدير عال لكنه للأسف لم يكن كافيا لكى ييسر لنا العمل كمعيدين .. فقد كان هناك من سبقنا فى الترتيب بفضل الدروس الخصوصية وتوافر امكانيات الحياة .

وبدأنا رحلة البحث عن العمل فى مجال تخصصنا ففوجئنا بالأبواب المسدودة فى وجه من لاسند له فى الحياة ولا واسطة ودخلنا عشرات المسابقات بلا طائل فقررت أن التى شهادتى وراء ظهري وان أعمل أى عمل فتعلمت الآلة الكاتبة والتلكس وعملت لفترة كجليسة أطفال عن طريق اعلانات الصحف ورقت لحتى الأم بعد ٦ شهور من عملى معها وبعد ان لمست ظروفى فأوصت بى زوجها الذى عينى فى الهيئة التى يعمل بها كسكرتيرة لأحد المديرين بعقد مؤقت ثم تم تشييتى بعد فترة .. ولم ينجح خطيبى فى العثور على عمل ، فعمل سائقا لتاكسى يملكه جار لهم علمه القيادة وساعده فى استخراج الرخصة .. واتفق معه على ان يعمل عليه طوال الليل مقابل ربع الايراد ثم يسلمه السيارة فى الثامنة صباحا ولم انزعج لذلك وان كنت قد اشفقت عليه من السهر حتى الصباح كل ليلة .. واستراح هو كثيرا إلى تشجيعى له فراح يعمل بكل همة .. ويعطينى معظم مايكسبه لكى نبدأ به حياتنا ولم يرحم نفسه فكان يعمل من السادسة مساء حتى منتصف الليل فى محل لبيع المساندوتشات قبل ان يتسلم سيارة الأجرة .. وبعد عام طويل من هذا العناء طلب ان نتزوج واعترض أبى لأنه لم يوفر الشقة بعد ، لكنى رجوته أن يوافق لأن خطبتنا قد طالت واكدت له أنى سأعيش معه فى

أى مكان ، وتزوجنا وامضينا ليالينا الأولى فى فندق متواضع .. ثم عجزنا عن احتمال تكاليفه فأصبحنا نتناوب الإقامة فى بيت اسرقى وبيت أسرته .. ثم اتسعت الدائرة فأصبحنا نتنقل بين شقق أخوتى واخوته وكلها لحنا أى بادرة للضييق بنا .. سارعنا بالعودة للفندق المتواضع .. مع أن أحدا لم يضيق بنا فعلا .. لكننا كنا نبالغ فى مراعاة أحاسيس من يستضيفوننا فأشارك فى أعمال البيت .. وفى تنظيف الشقة .. وفى تحمل كل الأعباء وكان زوجى آية فى الحساسية والعرفان لكل من استضافنا .. واصبحت الحقيبة الزرقاء التى تضم ملابسنا نادرة تتندر بها فنقول إننا نسكن فيها وإن « عنواننا » عليها وأخيرا نجحنا فى العثور على شقة مفروشة صغيرة بإيجار محتمل ومع رثاء العثور على شقة مفروشة صغيرة بإيجار محتمل ومع رثاء أثاثها وسوء حالتها وقذارتها فقد فرحنا بها كثيرا .. وصنعت لها بيدى ستائر رخيصة لأجملها بها وقنا نحن الاثنين بطلاء جدرانها المتساقطة بطلاء جميل فأصبح لى بيت أعيش فيه مع شريك عمري وعشنا فى هذه الشقة شهورا وكل فترة يرفع صاحبها الإيجار حتى عجزنا عن احتمالها فانتقلنا إلى شقة ثانية وثالثة ورابعة ومعنا دائما الحقيبة التى نعتبرها عش الزوجية !

وحاولت أن أجد لزوجى عملا فى الشركة التى أعمل بها ففشلت ولم اترك عميلا يتعامل مع الشركة يمكن ان تكون لديه فرصة عمل بغير ان ارجوه بشأن زوجى .. وكنت فى البداية اخفى هذا الأمر عنه لكيلا اجرح مشاعره .. لكنى صارحته به حين لمست من بعض من رجوتهم تشغيله تصرفات لم ترحنى .. فاستشرته فى ذلك فثار ثورة عارمة وطلب

منى ألا أرجو احدا بشأنه حتى لا افتح على نفسى أبوابا للمشاكل ..
وخاصمنى عدة أيام .. لم اذق فيها طعم الراحة .. ثم صفا لى ورجانى
بهدهء ألا اضع نفسى فى هذا الموقف مرة أخرى لأنه يمس رجولته
ويعرضنى للمتاعب فوعده بذلك .

لكن هذا الحادث لم يمر عليه بسهولة فبعد أيام أبلغنى أنه سيسافر
وحده إلى الخارج لبحث عن عمل بشهادته ..

ورفض توسلاتى له بالألا يسافر بعد ان اقترب أمل عثوره على عمل
عن طريق القوى العاملة .. وبعد أسابيع سافر بالفعل وودعته وأنا
حزينة واخليت الشقة المفروشة اسفة .. وعدت بالحقيبة إلى بيت أبى ،
وبدأت رسائله تصل إلى تصف معاناته فى البحث عن عمل ..
واضطرابه لأن يعمل فى بعض الأحيان سائقا لسيارة أجرة لكي يجد
مايسد به رمقه .. وعن اقامته ضيفا على أربعة من معارفه يسكنون غرفة
ضيقة وبعد ٣ شهور عصبية نجح فى الحصول على عمل ملائم ..
وبدأت حياته تعرف بعض الراحة .. وبدأت رسائله تتخفف من
آلامه .. وبدأ يرسل لنا مبلغا من مرتبه كل شهر ولم انس السيدة الكريمة
التي ساعدتنى فى الحصول على عمل فداومت على الاتصال بها
وشكرها .. وكثيرا ماعرضت عليها خدماتى بلا مقابل فكانت تعتذر
شاكرا وبعد عام ونصف عام عاد زوجى فى اجازة لأول مرة فاستقبلته
بشوق الدنيا كله ومضت الأسابيع الثلاثة كلمح البصر وبعد عام آخر
جاء ومعه ما نستطيع أن نستأجر به شقة فأجرنا شقة مناسبة وترك لى بعض
النقود لأبدأ تأثيثها فشغلت نفسى بتأثيثها ووضعت فيها كل ماتبقى لى من

مرتبى وأصبحت لنا شقة نحس فيها بالأمان ولا نتوقع أن يطالبنا صاحبها
 باخلائها فى أى لحظة وانتظم حبيبى فى ارسال المبلغ الشهرى لاستكمال
 الشقة ومواجهة نفقات الحياة فكنت ادخر حوالى نصفه فى البنك لكى
 يجد زوجى بعد عودته مايدأ به مشروعا صغيرا يغنيه عن الوظيفة ..
 وجاء يوم رأيت فيه أن ماتوا فر لنا يكفى لبدء هذا المشروع فطالبته
 بالعودة للاستقرار معى خاصة بعد ان انجبت طفلين «توعم» .. لكنه
 رأى أن الوقت لم يحن بعد .. وواصل البقاء هناك والعودة كل سنة لمدة
 شهر .. واستضافتنا عنده شهرين كل سنة حتى مضت ٧ سنوات كاملة
 قبل ان يستجيب لالحاحى بالعودة لكى يلتئم شملنا بعد ان حقق الله لنا
 كل مانريد .. فعاد ياسيدى .. لكنه عاد شخصا آخر غير الذى عرفته
 واحبيته فقد عاد مكشبا .. عابسا حزينا .. فأتش فيه عن حبيبى القديم
 فلا أجده ولا أجد روحه المتفائلة العالية ولا فرحته الطفولية بطفليه وى
 وقدرت أنها أثار الغربة الطويلة .. التى قد تستغرق وقتا قبل ان يعود
 للاندماج فى حياتنا كما كان وانتظرت لكن كل يوم يمضى يزيدي
 احساسا بأن شيئا جوهريا فى روحه قد تغير .. ماهو .. ولماذا ؟ لا
 أعرف وحاولت أن ادخل البهجة إلى قلبه فقدمت له كشف الحساب
 الذى يتضمن المبلغ الذى ادخرته له ليستعين به إلى جانب مدخراته فى
 بدء مشروع فى مجال تخصصه .. فلم يتهج .. وفاجأنى بفتوره وبقوله لى
 أنه قد نسى كل شىء عن تخصصه ولا يجد فى نفسه الرغبة فى العمل فيه
 مرة أخرى .. ولا فى أى عمل فى الوقت الحالى . ولم اثقل عليه
 لتأكدى من أنه لايحتمل البقاء بلا عمل .. لكنه امضى عدة أسابيع

لا يفعل أى شىء ويجلس معظم أوقات النهار فى البيت صامتا مكتئبا واضبطه فى بعض الأحيان وهو يرنو إلى فى حزن فإذا تنبته إليه حول نظراته عنى وجن جنونى .. وحاصرته بالأسئلة وبكيت طويلا بين يديه وأنا أحاول أن أعرف ماذا به .. واتهمته بأنه لم يعد يحبني وبأنه قد تحول بمشاعره عنى إلى أخرى .. فيتحمل ثورنى فى هدوء شديد وينينى عن نفسه الاتهامات ثم يمسك يدي بحنان ويفرق فى صمته وكلما سألته متى سيدأ العمل يميننى بأنه يحتاج إلى فترة راحة طويلة قبل أن يواصل الكفاح مرة أخرى ، لكن فترة الراحة طالت أسابيع أخرى وكلما فاتحته فى الأمر تهرب من الحديث .. وضاق به .. أو تشاغل بمداعبة الطفلين وهو عابس !

فاتركه لنفسه وادعوا لله فى صلاتى ان يفرج الله كربه الذى لا أعرفه ثم نفذ صبرى فانهرت وبكيت حتى جفت دموعى .. وهددته بأنى سأطعن نفسى بسكين المطبخ ان لم يفتح لى قلبه ويصارحنى بسر فتوره وفقده للحساس وصمته الحزين فقال لى بهدوء : إذن فاهدنى وسوف اروى لك كل شىء وحكى لى أنه قبل شهر من عودته من الخارج نجح فى الحصول على عمل أفضل فى هيئة رسمية وقرر أن يعمل بها عامين آخرين قبل عودته وبدأت اجراءات التعيين وكان من بينها الفحص الطبى فإذا بالهيئة ترفض تعيينه بعده .. وإذا بطبيها الهندى يصدمه بلا رحمة بمفاجأة مؤلمة وينصحه بالعودة لبلاده لكى يتلقى فيها علاجا منتظما وبأن يعيش بين أسرته حيث يتوافر له أكبر قدر من الراحة !

وأحسست بقلبي يتوقف وأنا أسمع قصته .. وانفجرت دموعى وأنا

اتخيل عذابة .. ومعاناته الصامتة وهو جالس بيننا ثم تماكنت نفسى لأسأله عما فعل بشأن العلاج بعد عودته .. فإذا به لم يفعل أى شىء وصرخت من الانفعال فحاول تهدئتي قائلا إنه أراد أن يمضى معى ومع طفليه أكبر وقت ممكن لكى « يشبع » منا قبل أن يبدأ رحلة العذاب التى قد تشغله عنا أو تضطره لدخول المستشفى وانه أراد أن يسرق من الدنيا بضعة أسابيع قبل أن يكفهر جوها علينا جميعا !

فلم أنم ليلتى وفى الصباح اعتذرت عن عدم الذهاب إلى العمل واصطحبته إلى الطبيب وبدأنا الرحلة التى اشفق علينا منها وبعد أيام ثقيلة من الفحوص والاشعات والتحاليل اختليت بالطبيب الكبير الذى يعالجه ورجوته أن يصارحنى بالحقيقة فقال لى أن حالته ليست ميثوسا منها وأن الأمل كبير فى شفائه .. لكن حالته النفسية فى غاية السوء ولن تساعد على العلاج ونصحنى بعرضه على طبيب نفسى مع استمراره فى العلاج الأساسى ..

وتقدمت بطلب للحصول على إجازة من عملى وتفرغت تماما لشريك عمرى وخضت معه معركة طويلة حتى اقتنع بالذهاب إلى الطبيب النفسى وبعد ثلاث جلسات فقط قال لى الطبيب ان مشكلة زوجى هى أنه يحس بمرارة شديدة لأنه مريض فى الوقت الذى كان يستعد فيه لجنى ثمار كفاحه بعد رحلة المعاناة الطويلة التى خاضها لكى يكون بيته الصغير وأسرته التى يحبها من أعماقه لهذا فهو يحس بعثية الحياة وعبثية العلاج كأنه يسأل نفسه .. مامعنى الكفاح اذن إذا كنا لانستمتع بجنى ثماره بعد أن شقينا فى الحياة لكى نحقق لأنفسنا السعادة

وتحملنا في سبيلها العذاب والمعاناة سنوات طويلا وأنهى الطبيب حديثه
لى بأن جانباً كبيراً من علاجه النفسى يقع عليه هو ثم على أنا وأن
مستوليتى هى ان أعيد إليه الأمل فى الحياة لكى يتهياً نفسياً لاحتمال
الحنة واجتيازها والتزمت بكل ماطالبنى به الطبيب النفسى ..
وانصرفت إلى رعاية زوجى والتخفيف عنه بكل ذرة فى عقلى وقلبى
وجسمى .. حتى لامننى هو نفسه عن اهمالى لطفلى .

وعشت أياماً عصبية بين الأمل والخوف .. لكننى لم أشعره أبداً بأننى
خائفة من المستقبل .. وأصبح لايرانى إلا باسمته حتى فى أخرج
اللحظات وفى أوقات اشتداد الأزمات أما هو فقد أصبح لا يحتمل
ابتعادى عنه لحظات ولا تفارق يده يدى حتى وهو مستغرق فى نومه
القصير القلق وقد بدأ يستعيد بعض تفاؤله لكنه يبكى أحيانا حين يشد به
الألم فأذوب اشفاقاً عليه وهو يعتذر لى عن ضعفه وإيلا لى ! فاهتف
من قلبى يارب .. وفى أوقات الصفاء اذكره بأيام الحقيبة الزرقاء التى
مازلت احتفظ بها وتنقلتنا بين بيوت الأهل والأقارب والفنادق والشقق
المفروشة .. فبيتسم .. ويسترجع طرائفها ثم يغم ويألىنى وماذا فعلنا
بكفاحنا .. ها نحن نعانى أشد مما كنا نعانى أيام بؤسنا .. فأهون عليه
وأؤكد له ثقى فى الله وفى أن أياماً طويلة سعيدة سوف تأتى وسوف
نعيشها معا وسوف نستمتع فيها بثمار كفاحه وسوف يكبر اطفالنا حولنا
وسوف نرى فيهم بهجة الدنيا كلها ..

وبين حين وآخر .. يسأل نفسه : ترى هل أغضبت ربى فى شىء
بغير أن ادرى .. فعاقبنى فأؤكد له ان حياته صفحة ناصعة البياض ..

وان علاقتنا جميعا بالله سبحانه وتعالى على خير مايرام فهو يؤدى فروض دينه .. ويخرج الزكاة منذ توافرت له أول مدخرات فى حياته ويرعى أبويه .. وساعد أخته الصغرى على الزواج حتى استقرت فى بيت زوجها ولم يعد لأبويه أية مسئوليات .. وفى أيام الراحة تهفو نفسه إلى زيارة السيدة نفيسة .. فأعد كمية كبيرة من أرغفة اللحم واستأجر سيارة واساعده على النزول ونذهب معا ونزور نفيسة العلم ونوزع أرغفة اللحم ويوزع الصدقات ويعود راضيا مرضيا .. ويهدأ إلى حين ثم تلح عليه الخواطر الحزينة مرة أخرى .

وهو يتحسن ولكن ببطء شديد .. وطيبه يؤكد أنه سوف يتحسن اسرع كلما تحسنت حالته النفسية وهو يقرأ لك ياسيدى منذ كان فى غربته وكثيرا ماتناقشنا معا عن بعض قصص اصدقائك المعذبين وعما تفعله أحوال الدنيا بالبشر فهل توجه له كلمة تشد بها أزره وتطلب منه فيها أن يتأسك لكى يساعد أطباءه على علاجه ثم هل تدعوه ربك معى أن يرثه من آلامه وينهضه من مرضه ليضىء لنا حياتنا من جديد ؟!

ولكاتبه هذه الرسالة وزوجها أقول : للكاتب الفرنسى اناتول فرانس كلمة شهيرة يقول فيها : « يمكن تلخيص تاريخ البشرية كله فى هذه الكلمات القليلة .. « يولد الناس .. ويتألمون .. ويرحلون .. » .

وهذا صحيح إلى حد كبير .. لكنه بين ميلاد البشر ورحيلهم قد يصنعون المعجزات .. وإحدى معجزات الإنسان هى قدرته على تحدى الألم وصعوبات الطريق ومقاومتها والانتصار عليها ومركز القيادة فى كل

عمليات المقاومة هذه هي روحه لأن روح الإنسان أقوى آلاف المرات من جسمه الضعيف وعظمته تتجلى في قدرته على مغالبة الألم والتسلك بأهداب الأمل في أن يقهره ويتخطاه كما تخطى غيره من صعوبات الحياة .

والألم يا صديقي سر من أسرار الحياة ونسيج اختلط بانسجتها منذ هبط آدم إلى الأرض ولم يرق العقل البشرى إلى فهمه أو الاطلاع على حكمته أبداً لكننا نعرف على الأقل ان كل مانلقى من آلام في حياتنا كالمرض أو فقد الاعزاء وغيرهما من الآلام هو ابتلاء من الله جل شأنه علينا أن نتقبله لأن الايمان الحق يستوجب ان نؤمن بقضاء الله وقدره وبالقدر خيره وشره وحلوه ومره ومعنى الحديث الشريف يضىء لنا الطريق هنا حين يقول : « ما من شوكة تصيب المؤمن إلا يكفر الله بها خطاياها أو يرفع بها درجاته » .

.. وبعض المتصوفة يقولون .. إن بعض الآلم صورة من صور الرحمة تتكرر في ثوب الشدة ثم لا يلبث الثوب ان ينكشف وتنجلى رحمة الله بعبدة المؤمن بأوسع معانيها .

وأنت يا صديقي كما تروى عنك رفيقة دربك التي انحنى لها احتراماً واكباراً صفحة بيضاء من غير سوء كافحت ببسالة لتصنع حياتك وتضئ عشك الصغير ورعت حدود ربك والتزمت بأوامره ونواهيها وبررت بأبويك واديت حقوق الله في مالك فادعوا الله أن يرفع بآلمك ومرضك درجاتك عنده وبأن يأذن لجسمك بأن يبرأ منه بغير رجعة ان شاء الله .

ويقينى ورجائى ودعائى لك ان شاء الله هو ان ينكشف ثوب الشدة
عن رحمة ربك بك لتتجلى عليك آياته ويغسل فى بحار رحمته الالهية
التي لاشيطان لها جسمك وروحك من كل ايلامها .. وان يهبك من
حلو قدره ما يمسخ به عنك كل ما أصابك من مره فتعود أيها الفارس
القديم إلى منازل صعوبات الحياة والانتصار عليها كما فعلت دائماً طوال
السنوات الماضية وكما سوف تفعل فى سنواتك القادمة باذن الله ..
وعندها سوف تصبح محنة المرض والألم علامة أخرى من علامات
الطريق الشاق .. وذكرى من ذكريات الكفاح القديم كالحقبة الزرقاء
والشقق المفروشة والعمل ليلا حتى الصباح .. وثق من ان ذلك سوف
يحدث بأمر ربك فالحياة فى حاجة إلى أمثالك من مصابيح الخير والحب
والوفاء والعطاء التي تضيء حياة الآخرين وتجعل للحياة قيمة ومعنى ..
فانهض يا صديقي البطل وامتط حصانك .. فأمامك الكثير والكثير لكي
تحققه لنفسك ولزوجتك ولطفليك ولكل من أحبك واحبيهم وللحياة
فأجمل أيام حياتك لم تأت بعد وسوف تأتى بأسرع مما تظن وسوف تجد
الوقت المناسب لكي تجنى ثمار كفاحك الشريف وتستمتع بما أوتيت ..
وتلمس ظلال رحمة ربك الوارفة على حياتك وحياة أسرتك الصغيرة
قريباً وقريباً جداً ان شاء الله .

الغزو

أنا سيدة فى الخامسة والأربعين من عمرى اشغل وظيفة مرموقة .. وتزوجت منذ ٢٢ سنة من زوج عظيم فى كل شىء بالرغم من ان زواجنا قد تم بطريقة تقليدية فلم تسبقه فترة تعارف كافية .. لكن تطلعنا نحن الاثنين إلى السعادة والحياة الهادئة الجميلة قد قرب بيننا فتآلف قلبانا بعد قليل ونحايينا وتشاركنا فى كل أمور الحياة وتعاهدنا منذ اليوم الأول على أن يكون كل منا كتابا مفتوحا بالنسبة للآخر فلا يخفى عنه شيئا ولا يحتفظ لنفسه بسر .. واعتدنا دائما أن نتبادل الراى واخبار الحياة اليومية ونستمتع بالحديث معا فى كل شىء وكان من بين ماعرفته بعد زواجى بقليل ان زوجى كان قبل زواجى منه يحب فتاة أخرى ويرغب فى الزواج منها لكن ظروف الحياة حالت بينه وبينها فتزوجت هى من آخر ثم تزوجنى هو بعد زواجها بسنوات .. ولم يؤثر علمى بذلك على علاقتى به فلقد وجدته دائما زوجا رائعا وقد كافحنا معا وبدأنا حياتنا من الصفر فبينما عشنا بالكفاح والعرق حتى استقرت حياتنا وأصبح لنا الآن والحمد لله رصيد مادى لا بأس به وكبرأبنائونا الثلاثة ، وبلغوا مرحلة الجامعة ومضت حياتنا دائما هادئة وسعيدة ..

ومنذ ثلاثة أعوام عاد زوجى إلى البيت ذات يوم فروى لى منفعلا بحسن نية كعادتنا فى تناول الأخبار . إنه التقى مصادفة بتلك الفتاة التى كان يرغب فى الزواج منها فى سنوات الشباب ، وأنه عرف منها أنها مازالت متزوجة بنفس الشخص وأنها تبادلًا الأخبار فحدثته عن حياتها وزوجها وابنائها وحدثها عن زوجته وأبنائه وعمله .. ثم انصرف كل منهما إلى حال سبيله ، وتحدثت مع زوجى عما تصنعه الحياة بالبشر قليلًا ثم انصرفنا إلى غيره من الموضوعات ولم نعد إلى ذكره مرة أخرى . لكنى بعد عدة أسابيع بدأت ألاحظ على زوجى تغييرا جديدا فلقد أصبح كثير الشرود والسرхан ، كما أصبح فجأة عصيبا .. وفى أول مشادة عادية من مشادات الحياة فوجئت به يردد عبارات لم اسمعها منه من قبل من نوع « لقد ضقت بحياتى معك .. سأترك البيت ولن أعود إليه » ... إلخ ، فذهلت .. وبكيت طويلا .. وساورنى الشك فيما يمكن ان يكون سببا لهذا التغير المفاجيء .. وأردت أن اقهر وساوسى .. ففعلت ما لم يفعله مرة واحدة من قبل منذ تزوجته .. وبحث فى أوراقه سرا عسى ان أجد شيئا يفسر لى سر تغييره .. فإذا بى اعثر على كومة رسائل من تلك السيدة القاها زوجى بلا اعتناء اطمئنانا إلى أنى احترم خصوصياته ولا أقلب فى أوراقه بغير علمه .. وإذا بى اكتشف بين هذه الرسائل ان ظهور هذه الفتاة أو السيدة لم يكن مجرد سحابة عابرة اثارت الذكرى القديمة .. وإنما هى للأسف سحابة مقيمة ومستمرة وتهدد بأمطار وخيمة على حياتى وسعادتى وعشى الذى بنيت بالكفاح والعرق ، ولم

اتمالك نفسى حين عرفت هذه الحقيقة .. فقد أحسست بالقهر وعرفت أننى أحبه أكثر مما كنت اتصور وكنت أعتقد أنه أيضا يحبني لكل ما بيننا من روابط وحياة مشتركة وكفاح ، فإذا بهذه الرسائل تصدمنى بأننى لم أكن شيئا فى حياة زوجى وأن تلك السيدة التى ارادها زوجة له منذ أكثر من ٢٥ سنة هى حبه الأول والأخير . ومن شدة احساسى بالضيق والقهر واجهت زوجى بما عرفت فأحس بالخجل ولم يستطع الانكار ، ووعدنى بقطع هذه الصلة ابقاء لما بيننا ، لكننى لم اكتف بذلك فقد أرسلت لهذه السيدة رسالة أهددها فيها بما تحت يدى من رسائل ان لم ترتدع وتبتعد عن حياتى وبيتى فخشيت فعلا عواقب الأمور وهذا الحال قليلا . ومضت أسابيع وأنا بين الشك واليقين ثم بدأت استرد طمأنينتى .. وبدأ قلبى يصفو لزوجى شيئا فشيئا حتى صفحت عنه وعدت لحبه كما كنت طوال سنوات زواجنا وعادت حياتنا لسيرتها الأولى .. نتبادل الأحاديث بصفاء وتتشارك فى الاهتمامات إلى ان وقع فى يدى منذ أيام خطاب جديد من نفس السيدة عرفت منه ان الصلة مازالت قائمة وان ما أراه فى حياتى من هدوء وسعادة لم يكن إلا سرايا .. فانطويت على شكوكى وأحزاني من جديد ولم اصارح زوجى هذه المرة بما عرفت لكننى لم أعد أطيق سماع صوته ولا رؤيته يجلس أو يتحرك أمامى فى هدوء وبراءة وكأن شيئا لم يكن .. وكأنه لم يطعننى فى قلبى مرتين ولم يضع زهرة العمر التى افنيها فى حبه ورعايته ورعاية بيته وابنائيه ، فاذا أفعل ياسيدى هل أطلب الطلاق واهجر بيتى بعد كل هذا العمر

وادعه لنزواته أم هل أهدم بيت من ارادت هدم بيتي الذى بنته
بدمى وشباب طوبة طوبة وقطعة قطعة .. أم هل أشرك ابنائى معى فى
همى وقد أصبحوا شبابا يعقلون ويفهمون أم أدعهم فى جهلهم بما
يفعل أبوهم لأن الجهل بهذه الأمور أرحم من العلم بها .. وهل لو
رجع عما يفعل الآن يستطيع أن استعيد ثقى به كما كنت فى سالف
الأيام ؟

ولكتابة هذه الرسالة أقول : ولماذا تسلمين بالهزيمة وتنسحبين من
المعركة من الجولة الثانية تاركة زوجك وبيتك لمن لم تبذل الدمع والعرق
فى اقامته وفى اعلاء بنائه بسنوات العمر وزهرة الشباب ؟ .. لقد اقت
عشك ومملكتك بالحب والوفاء والتضحية وكل مملكة معرضة للغزو
الخارجى فى أى مرحلة من الزمن .. وخاصة فى سنوات العمر الحرجة
التي يمر بها زوجك الآن ومن واجب كل « ملكة » تجاه نفسها وابنائها
أولا - حتى ولو كان القلب يتزف دما من أثر خنجر الغدر - وان ترد
الغزاة الطامعين عن مملكتها وان تدافع عنها ضدهم بكل سلاح وان
تدحرهم مرة واثنين وثلاثا .. وأنت قد كسبت أول جولة لكن الضعف
البشرى سمح بقدم موجة أخرى من العدوان عليك .. فواصل الكفاح
وردى هذه الموجة الخائبة كما رددت الأخرى على اعقابها واكسبى
زوجك إلى صفك فى هذه المعركة .. ولا بأس بأن تغفري له ضعفه مرة
أخرى وان تعينيه على اجتياز هذه المرحلة الحرجة بالاتصاق به .. ودرء
هذا الخطر عنه .. ومحاولة تعويضه عما يتصور أنه ينقصه وانه يجده لدى
الأخرى .. فهو لا يجبها كما تتصورين وإنما يجب زهرة عمره وأحلام

شبابه التى تمثلها له هذه السيدة فلقد استطاع ان يحيا ويسعد معك
 عشرين سنة بغير ان يساوره الحنين إليها ثم ظهرت فجأة فى حياته ..
 فكان ما كان وما يجب أن تتصدى له بالحزم والحكمة . فكررى
 استراتيجيتك السابقة وواجهى زوجك مرة أخرى مع أشعاره بأنك على
 استعداد لمساعدته على تخطى هذه الأزمة العابرة التى لا تليق به بوضعه
 ولا بابنائيه .. واعيدى تهديد تلك السيدة لكى ترتدع لكن لاتفكرى فى
 هدم بيتها رحمة بمن لا ذنب لهم فى نزواتها وايضا حتى لاتتعقد الأمور
 ويجد زوجك نفسه مطالبا بتعويضها عما أصابها من خراب وابعدى
 ابناءك تماما عن هذا الأمر ليس رحمة بهم ولا حفاظا على مثال الأب
 فى أعينهم فقط وإنما أيضا حفاظا على زوجك نفسه . لأن هتك الأستار
 يرفع عنه الضغط المعنوى الذى يمثله وجود الأبناء بالنسبة له .. فإذا
 هتكت الحجاب منذ البداية لم يعد لديه الكثير مما يخشاه من هذا
 الجانب ، فتألكى نفسك يا سيدتى وثقى أن ما بينك وبين زوجك لم
 ينقسم بمثل هذه السهولة .. وان الأمر ليس سوى سحابة .. وان كانت
 سحابة كالحلة بطيئة الحركة لكنها مهما خيمت فوق الرؤوس فهى سحابة
 تذهب إلى حال سبيلها .. وسوف تستردن سلامك وطمأنينة قلبك ..
 وسوف يتسع قلبك المحب لنسيانها والصفح عنها لأنك الأصل .. ولأنك
 الحقيقة .. ولست وهم الشباب ولا أحلام العودة الخيالية إليه .

الاصّبع الخالية

قرأت رسالة « الجائزة » التي روت فيها سيدة قصتها مع الفشل مرتين في الزواج وكيف غيرت من نفسها وانقصت وزنها ثلاثين كيلو جراما واقلعت عن عاداتها السابقة فنالت احترام مجتمعتها ثم جاءت إليها « جائزتها » وتزوجت زواجا موفقا وأصبحت موضع فخر أبيها بعد ان كانت موضع انتقادها .. وقد تأثرت كثيرا بهذه الرسالة فدفعتني لأن أروى لك قصتي ، فلقد نشأت في أسرة صغيرة ولى شقيق واحد .. ولاحظت في طفولتي أن أبوى يدللانا لأنهما تزوجا على كبر ، كما لاحظت أنهما يركزان في تربيتهما على أن نشأ متفوقين دراسيا وان نتعلم المثل والقيم الأخلاقية ، وفعلنا كنت دائما من المتفوقين ونلت الكثير من حنان أبي وأمي .. وسمعت مرارا من أمي ان أهم شيء في الحياة هو التفوق في الدراسة فركزت كل اهتمامي بها ولم أعط أى اهتمام لمظهرى فكنت دائما ارتدى « البنطلون » واجمع شعري الطويل إلى الخلف .. وكان التفوق حليفي دائما وكنت مثار غيرة زميلاتي وصديقاتي ويجنبني فلم تعد لى صديقات .. وظللت كذلك حتى التحقت بكلية الطب .. فاكتشفت فيها ان التفوق ليس نقيضا للاهتمام بالمظهر ولاحتفاظ الفتاة

بشخصيتها كأنتى فقد وجدت فى الكلية من هن أكثر تفوقا ومع ذلك يحس الإنسان حين يراهن أنه أمام فتيات .. فبدأت لأول مرة أحاول الاهتمام بمظهرى وبدأت اسمع لأول مرة فى حياتى كلمات الثناء من الجنس الآخر على جمالى وقد نسيت أن أقول لك اننى جميلة .. لكن أبى وأمى لم يكن يعيران هذا الجانب أى اهتمام .

وفى إحدى حفلات الزفاف تقدم لى شاب يحطبنى فسمعت أمى ترفض المبدأ .. وتقول إننى لن أتزوج قبل أن أنهى دراسى ، وتعيد تأكيد رأيها فى ان التفوق فى الدراسة هو أهم شىء بالنسبة للفتاة ولم اهتم بذلك وان كنت قد لاحظت عكس ذلك فى بيوت صديقاتى . فلقد كنت أرى أن هم كل أم فيها هو ان تزوج ابنتها وتوجه جهدها وعلاقاتها الاجتماعية لهذا الهدف ومضت سنوات الدراسة عادية حتى توفى أبى فجأة وأنا أودى امتحانات السنة الثالثة .. فصدمت صدمة قوية وأكملت امتحاناتى وأنا ارتدى السواد وساعدتنى أمى كثيرا على تحطى هذه المحنة .. ثم اشتد المرض على أمى وأحسست بدنو أجلها فبدأت تصرح لى بأنها تتمنى ان ترافى فى بيت الزوجية قبل أن تموت .. وكنت اسمع منها هذا الحديث لأول مرة فى حياتى فسعدت به سعادة بالغة .. وحين تقدم لى عريس بعد ذلك بأسابيع رجبت به أمى وقرأنا الفاتحة .. لكنى اكتشفت قبل موعد الخطبة بيوم واحد أنه قد سبق له الزواج وله طفلة .. ولم تهتم أمى بهذه الحقيقة كثيرا .. وأدركت أزمته كأمر مريضة تريد أن تطمئن على ابنتها بأى شكل لكنى اصررت على رفضه وايدنى شقيقى فى ذلك .. وبعد ذلك بثلاثة شهور تقدم لى شاب

آخر ووافقت عليه .. ثم ساءت حالة أُمى الصحية ورحلت عن الدنيا ووجدت نفسى وحيدة مع شقيقى .. وكثرت تدخلات الأهل فى حياتنا ووجدت كثيرين يقولون لى ان خطيبى ليس مناسباً لى .. وتأثرت بأحاديثهم وفسخنا الخطبة ومر عام دراسى آخر وتخرج أخى الذى يكبرنى بسنة واحدة ويسبقنى فى نفس الكلية بعام دراسى وبدأ يستعد للزواج وفى هذه الأثناء تقدم لى شاب ثالث كان زميلاً لى بالكلية ووافقت عليه بينى وبين نفسى « مؤقتاً » حتى لا أحضر حفل زفاف أخى واصبغى خالية من الدبلة .. لأننى لا أريد أن أرى نظرة اشفاق فى عين أحد .. وحضرت زفاف أخى ومعى خطيبى .. وأذعت فى هذا الحفل ان زفائى قريب جداً .. لكنى بعد أسبوع واحد من هذا الحفل كنت قد فسخت هذه الخطبة وعشت حياتى وحيدة فى شقة الأسرة التى شهدت طفولتى السعيدة .. ولحظات وداع الأبوين المريرة وانجذب أخى طفلاً وأنا مازلت فى وحدتى مصرة على عدم الاقدام على أى تجربة ارتباط أو زواج لأن الفشل يحىء من جانبى دائماً .. لكن الضغط على ازداد ان اتزوج وتقدم لى عريس بدا أنه مناسب لى فوافقت عليه واشترط الجميع على بأن اعقد القران بدلاً من الاكتفاء بالخطبة حتى اترث طويلاً قبل ان أفكر فى فض الارتباط وتم عقد القران لكنى سرعان ما اكتشفت أنه سطحى جداً وسلبى جداً وشخصيته ضعيفة جداً ولايعتمد عليه فانفصلت عنه بعد ٤ شهور من القران وقبل الزفاف وهأنذا الآن أعيش وحيدة بعد حياة مليئة بالفشل والاحباط على المستوى الشخصى أعمل فى الفترة الصباحية والفترة المسائية وحتى فى

يوم الجمعة وما زال يتقدم لى البعض لأنى والحمد لله طيبة وناجحة ..
ولازال عمرى ٢٦ عاما وجميلة وشيقة الحديث ويعتمد على لكنى
أشعر بالطمع من جانب من يتقدم لى لأنه لا بد قد سأل عنى وعرف أنى
ميسورة الحال وعندى شقة وسيارة .. فاصدمه بالرفض .. ولا تسلى
بعد ذلك أين أقاربى فالحياة قد شغلت الجميع .. لكنى أرجوك أن
توجه نداء إلى كل أب وأم أن يكون اهتمامها الأول فى الحياة هو ان
يزوجا بناتها وان يغرسا فيهن حب الزواج وحب الزوج وحب الأولاد
لأن مآل كل فتاة مهما تفوقت هو الزواج وأنا شخصيا كنت اتنى لو لم
أكن طيبة ناجحة وان أكون زوجة راضية بما قسمه الله لى .. لكن
مشكلتى هى اننى ربيت على غير هذا الأساس فلم اعرف كيف اتعامل
مع الحياة .. وكلما فكرت فى مشروع ارتباط أحسست بشئ ثقیل ينجم
على صدرى وأشعر بالرغبة فى الهروب منه .. ولقد عرفت الآن أن
الزواج هو أهم شئ فى الحياة لكنى حين ادركت ذلك كان قد فات
الأوان .

ولكتابة هذه الرسالة أقول : لم يسئ إليك أبواك بغرس حب
التفوق الدراسى فىك بل احسنا إليك به لكن آثار هذا التفوق على
شخصيتك أنت هى المشكلة ذلك ان آفة بعض المتفوقين دراسيا هى
الغرور واعتقادهم الباطنى بأنهم يستحقون دائما جوائز الحياة كما
استحقوا من قبل المقدمة فى سباق الدراسة والمشكلة هى أن اختبار
الحياة اشد صعوبة من اختبارات الدراسة ووسائل النجاح فيه مختلفة
تماما .. وفى مقدمتها ألا تكون مطالب الإنسان من الحياة مغاليا فيها وألا

يكون احساسه بالتميز على الآخرين عاليا وان يكون على استعداد لأن يعترف للآخرين بمزاياهم فلا ينظر إليهم من عل ولا يرى الجميع سطحيين وتافهين ولا يعتمد عليهم .. وايضا ان يكون على استعداد لأن يرى الجوانب الحيرة في الآخرين فلا يتصور دائما أنهم طامعون فيه أو راغبون في افتراسه .. لأن هذا الاحساس نفسه انعكاس للمغالاة في تقدير الذات .. فتخلصي من مغالاتك في تقديرك لنفسك والايان بمزاياها .. تتفتح أمامك أبواب التواصل مع الدنيا ويترك باب قلبك من يستحقك ومن تستحقينه ولن يتحقق ذلك إلا إذا تخلصت أيضا - وعفوا لهذا التعبير - من أنانيتك التي سوغت لك من قبل ان تقبلي خطبة إنسان ليجرد ألا تظهر أصبعك خالية من دبلة الخطبة في حفل زفاف شقيقك ، فظلمت بذلك إنسانا لم يرد بك إلا خيرا ولحسابات خاصة بك أنت لادخل له فيها .. وما هكذا يتصرف من يستهدون في حياتهم بروح العدل . وما هكذا يلوم الإنسان أبويه على خير اراداه له .. فحوله هو بتصرفه وجرأته على اتخاذ القرار المتسرع إلى شريدفع ثمنه ومع كل ذلك فلم يفت الأوان بعد لتصحيح الأخطاء ولتكن بدايتك للتواءم مع الحياة هو ان تعرفي ان سباق الدراسة قد انتهى .. وانك الآن في مواجهة اختبار جديد يتطلب من المرء أن يكون أكثر تواضعا وأكثر انصافا للآخرين .. وأكثر فهما لهم . فان تسلمت للاختبار بهذا الفهم الجديد اجتزته بتجاح وجاءت إليك جوائز الحياة تسعى أما نداؤك الأخير فله أهميته وهو يذكرنا دائما بفضيلة الاعتدال في تحديد الأولويات والأهداف التي ينبغي أن يسعى إليها الإنسان

فالتفوق في الدراسة غاية مشروعة وقيمة كبرى بغير شك لكنه لا يجوز
له أن يلغى إعداد الفتاة نفسيا واجتماعيا للزواج الذي تستقيم به طبيعة
الحياة .

البدیل

أنا یاسیدی شاب من أسرة مكافحة .. كافح أبی لكی یحقق لنا مستوى أفضل من الحياة وكنت أصغر اخوتی فالتحقت بإحدى الكليات المرموقة اسما واقمت فی القاهرة وواصلت تفوق الدراسی إلى أن وصلت إلى السنة الثالثة الجامعیة ثم فوجئت ذات یوم بشقیق الذی یكبرنی مباشرة یأتی إلى فی مسكنی ذات صباح مستقلا سیارة أجرة من بلدتنا .. ویطلب منی العودة معه فی نفس السیارة لأن أبی متعب بعض الشئ ویرید أن یرافی فانقبض صدری على الفور واستشعرت من حضوره بسیارة أجرة تنتظره حتی یعود خطورة الأمر .. وظللت طوال الطریق ارتجف وتتلاحق انفاسی إلى أن وصلنا بعد أطول رحلة فی حیاتی إلى البلدة .. ففوجئت بأخی یخبرنی فجأة ونحن نقرب من البیت بأن شقیقنا الأكبر قد رحل عن حیاتنا فی حادث أليم .. ! فاهتزکیانی كله .. وانفجرت دموعی .. وقفزت صورة شقیق الأكبر إلى مخیلتی فلم أعد أرى غیرها .. واعتصرنی الحزن على شقیق الذی كان لی أبا وأخا .. والذی عاش صباه مغتربا سائحا فی بلاد الله لكی یرفع من مستوانا .. لیرانا أفضل شأنا ، شقیق الذی لم یفكر فی نفسه أبدا فلم

يتزوج إلا قبل شهرين والذي عرفت منذ أسابيع فقط ان في احشاء زوجته جنينا منه لم ير النور بعد يا آلهى .. شقيقى الذى احتضن الأسرة كلها وخصنى بحبه ورعايته وطار بى فرحا حين أحرزت المركز الأول فى بلدتى فى الثانوية العامة .. وظل فخورا بتفوق عدة شهور كأنه هو الذى تفوق وأحرز النجاح وواجهت الواقع المؤلم وانتهت الأيام الكثيرة وعدت بعدها إلى القاهرة لأواصل دراستى وأنا موزع القلب مهموما وبعد ٤ شهور من رحيل شقيقى وضعت أرملة شقيقى وليدها فجدد مولده أحزاننا عليه .. كأنما قد مات مرة أخرى يوم مولد هذا الوليد الذى حكمت عليه الأقدار باليتم .. وعانيت أنا الأرق والاكئاب والخوف من الوحدة والمجهول أكثر من عام لم تغمض خلال عيناى قبل أن يشرق النهار .. وبدأت أزور هذا الوليد فى بيت أمه فأحس تجاهه بمزيج من الحب والعطف والاشفاق وفى كل مرة أراه فيها أحس بأن الله قد ربط بين قلبى وبينه برباط لا ينفصم وبعد شهور بدأ زوج شقيقى يتحدث عن أن ينشأ الوليد المحروم بيننا وإن نراعه وفاء لذكرى أبيه .. وانتقل الحديث بعد ذلك إلى أن الموقف يتطلب التنازل عن أية اعتبارات شخصية وإن يتزوج أحدهما أنا أو شقيقى من أرملة أخى لرعاية وليده .. ولم أرفض الفكرة ولم اتهلل لها واعلنت موافقتى من ناحية المبدأ وفاء لشقيقى الراحل .. وشاءت ارادة الله ان توافق أرملة الشابة على الارتباط بى لنفس الدوافع .. فعقدت قرانى عليها فى سرية تامة قبل شهور من اداء امتحانى الأخير فى الكلية وعدت إلى القاهرة زوجا على الورق لأرملة شقيقى .. وأبا بالرعاية لابنه ، وواصلت دراستى

ووفقني الله للنجاح والحصول على شهادتي وعدت إلى بلدي .. وأصبح ضروريا ان يتحول الزواج على الورق إلى زواج في الواقع .. فتم زفافنا الصامت في سرية أشد في شقة أخى الراحل وفي نفس البيت الذي يضمنا جميعا ولا استطيع ان أصف لك معاناتي النفسية وحرجي بل وخجلي وأنا أجد نفسي زوجا لأرملة شقيقي في شقته .. وفوق أثاثه وتحت انظار أُمي المكلومة وأهلي الحزونين . لكن ماذا أفعل وقد قدر الله لي ذلك ورضيت بما اختاره لي . وصاحبت ظروف زواجي الحرجة ظروف كخريج شاب لا يملك شيئا ويؤدي الخدمة العسكرية فلم يكن يخفف من وطأتها على سوى رعايتي للطفل الوليد وابتسامته ودعابته وأولى كلماته التي نطق بها فكانت كلمة « بابا » وهو يشير إلى فأسالت دمع الفرح والحزن في وقت واحد في عيني أما زوجتي فقد ربطني بها منذ البداية الاحساس بالاحترام والتقدير لظروفها وقد شملتني منذ اليوم الأول لزوجنا بحنانها ورعايتها كأنما كانت تعرف أن كلا منا يحتاج إلى ان يهون على الآخر ظروفه ومعاناته بعد ان ربطت بيننا الأقدار فبادلتها حنانا بحنان وعطفا بعطف وشيئا فشيئا أحسست .. بشرارة الحب تولد في قلبي ثم تتعمق وتتأصل داخلني فعرفت ان الله وحده هو الذي يؤلف القلوب ويهدي النفوس .. وأنني لو تركت لنفسي لما اخترت أفضل ممن اختارتها لي الظروف ولما وجدت في رحابها ما أجده من حب وتألف وتعاطف معها .. ولما وجدت فيها كل ما كنت أتمناه في شريكة عمري وحياتي . ومرض أبي عقب رحيل أخى بعدة شهور فلأزم الفراش عامين ثم رحل عن دنيانا حزينا وانجبت أنا طفلة أصبحت اختا

«لابنى» الأول .. وعملت وبدأت أحوالى تستقر لكن معاناتى النفسية مع مشكلة أخرى بدأت تتضخم وتؤرق حياتى وتهدد سلامى وسعادتى فلقد أصبحت أنا فجأة هدفاً لقسوة أمى وجفاء معاملتها ونظراتها الساخطة وكلماتها القارصة بلا سبب واضح لمجرد أننى سعيد فى زواجى حتى بدأت أشعر أننى ارتكب جرماً لا أعرفه .. وبدأت أشعر بالتقزز من نفسى وحاولت أن اخفف من مشاعرها تجاهى ففشلت وازدادت علاقتها بى سوءاً شهراً بعد شهر .. وحاولت استرضاءها كثيراً فعجزت وكان يسؤها ويؤلمها ان ينادينى الطفل اليتيم بكلمة بابا وكان قد بلغ الثالثة من عمره فتعمدت ذات يوم ان تتحدث أمامه عن الماضى وان تخرج صور شقيقى الراحل وترىها له ولم أكن فى البيت عندما حدث ذلك ، ففوجئت به عند عودتى يسألنى فى براءة : هل صحيح أنك لست «بابا» يا بابا ! فأحسست بغصة فى قلبى .. ولم أحر جواباً ، ثم علمت بما حدث ، وعابت أمى واستعطفت قلبها أن ترحم الطفل من تجرع الألم فى هذه السن الصغيرة خاصة أننى لم ادع أننى أبوه ولن أفعل ، فلم يجد العتاب معها وساءت علاقتها بى أكثر حتى تدهورت إلى مستوى محزن ففوجئت بها ذات يوم تضع يدها على كتاب الله وتقسم بأنها لا تطيق أن ترائى أمام عينها !

فماذا فعلت ياسيدى لكى استحق كل هذه القسوة ؟ أنها ترفض دائماً دخول شقيقى والجلوس معنا وتعامل زوجتى بشيء من القسوة وأنا بمنتهى القسوة . فماذا فعلت لكى أنال كل غضبها إلى هذا الحد .. وماذا أفعل لكيلا تموت وهى غاضبة وساخطة على ان زوجتى توصينى

دائماً بها وتذكرني دائماً بظروفها وبصدمتها في شقيق وبوحدتها بعد أبي
وتطلب مني استرضاءها .. وأنا لا أقصر في ذلك لكنها لاتصفح .. فما
هي جريمتي عندها ياسيدي وكيف أكفر عنها !

ولكاتب هذه الرسالة أقول : جريمتك عندها فيما اتصور هي أنك
لم تحترس في اعلان سعادتك بالحياة مع ارملة شقيقك على مرأى منها
وهي الأم المكلومة في ابنها التي تتنازعها المشاعر المتضاربة . فلقد
استراحت بكل تأكيد إلى قبولك الزواج منها رعاية للصغير وصونا
لحرمات الابن الراحل .. ولو لم تفعل أو لم يفعل شقيقك الآخر لكان
شقاؤها بهذا الطفل اليتيم عظيماً ولكانت جريمتكما عندها أكبر ! لكنها
من ناحية أخرى لم تستطع أن تتقبل بعد حقائق الحياة التي قضت بأن
تحل محل ابنها الراحل فتنازعها نوازع النفس البشرية التي لم يكشف
أحد بعد كل أسرارها .. وأصبحت تضيق بسعادتك الزوجية وتعتبرها
« خيانة » لذكرى الشقيق الراحل « وهوا » عن الحزن عليه .. ولو كنت
قد شقيت بهذا الزواج لكان شقاؤها بتعاستك هما أكبر يضاف إلى
همومها أنه أمر في غاية التعقيد .. وأنت في الحقيقة لم ترتكب جرماً ولا
اثماً فالزواج من ارملة الشقيق الراحل لرعاية ابنائه أمر مندوب إليه في
الإسلام لكن الأمر يتطلب منك بعض « الحصافة » لكي تحمي
سعادتك الخاصة وتتجنب ايلام الأم الحزينة في نفس الوقت ..
وتستطيع ان تحقق ذلك إذا ادركت الفارق الجوهرى بين حزن الأم
الأبدى على اعزائها الراحلين وبين الحزن العاقل للآخرين الذين يعرفون
أن الحياة شلال صاحب لايتوقف عن الهدير وانه لامفر من ان نحيا

حياتنا مهما شهدت من آلام مادمننا لانعرف طريقا مشروعاً للخروج منها . وادراكك لهذا الفارق سوف يسر عليك ان تعرف أن حزنها على ابنها حداد دائم يتطلب منك ان تحفظ قليلا في اظهار سعادتك الزوجية مع أرملته أمامها كما يتطلب منك بعض الحكمة في تذكيرها من حين إلى آخر بأنك قد اقدمت على هذا الزواج أصلا مدفوعا برغبتك النبيلة في رعاية ابن شقيقك وأرملته .. وأنت تنتظر ان يبلغ الابن سنا مناسبة تسمح له بتقبل الأمر لكي تضع أمامه كل الحقيقة . ولا بأس بأن « تفتعل » بعض الهموم الزوجية وان تسربها إليها من حين إلى آخر وتطلب منها العون والنصيحة ولا بأس بذلك في رأيي مادامت زوجتك تعرف به وتثق في حبك وإخلاصك لها والحياة شديدة الوعورة وتحتاج أحيانا إلى مثل هذا التصرف الأبيض مادام الهدف شريفاً وهو استرضاء الأم وشفاء نفسها مما يؤلمها .. فلا تيأس من محاولتك معها ولا تنصرف في حقها فلها العتبي حتى ترضى وعليك الصبر والاحتمال إلى ان تخفف النفس من بعض احزانها .. والزمن كفيل بمداواة الجراح في النهاية .

اللحظة القاسية

منذ ١٠ سنوات تزوجت من إنسانة ملتزمة ومهذبة تعرف حقوق الحياة الزوجية واحترام الزوج وتتقبل النصيحة بصدر رحب فعشت معها حياة هائلة وفي مستوى مادي واجتماعي معقول لأنى طيب ولى مشروع يدر دخلا ، وقد رزقنا الله بثلاثة أطفال اضاءوا حياتنا . و أذكر خلال سنوات زواجنا أنه قد حدث بيننا خلاف دام أكثر من يوم .. فقد كانت خلافاتنا المحدودة بسيطة وتتلاشى دائما بمجرد ان نتناقش حولها ونحتكم فيها إلى كتاب الله وسنة رسوله .

وساعدنا على ذلك أننا قد اتفقنا منذ البداية على ألا نفشى أسرارنا العائلية لأحد مهما كان قربه منا .. والا نشرك الأهل فى مشاكلنا مهما حدث ، وعلى أن يحترم كل منا أهل الآخر فكانت تحترم فعلا أمى وأبى واخوتى وكنت أحترم بدورى أباه وأمه وأختها الوحيدة ومع ذلك فقد كنت ألاحظ أن أمها تبدر منها تصرفات توحى بأن فى صدرها شيئا تجاهى .. وكنت اتغاضى عن ذلك ولا ألفت نظر زوجتى إليه حتى لا يظن أحد أننى أريد الوقعة بينهما .. وكنت أقول لنفسى مادمت وزوجتى نعيش فى سعادة فلا داعى لاثارة أية مشاكل فرعية ..

وشجعتنى على ذلك ان صهرى رجل فاضل لا يصدر عنه إلا كل ما هو خير ، وكنت أحس في قرارة نفسى أنه غير راض عن تصرفات زوجته معى فى كثير من الأحيان .

ثم توفى صهرى - رحمة الله - وطلبت حماى من ابنتها ان تقيم معها فترة من الوقت لأن ابنتها الأخرى تعيش فى الخارج وعرضت على زوجتى الأمر فعرضت عليها بدورى أن تقيم أمها معنا فالمسكن واسع وهى فى منزلة أُمى ورفضت الأم ان تقيم معنا فاصطحبت زوجتى أولادى وأقامت معها .. واقت أنا مع أُمى وأبى إلى أن تنتهى هذه الفترة المؤقتة وتعود زوجتى إلى البيت .

وبدأت اتردد على زوجتى وأولادى من حين إلى آخر وبعد فترة قصيرة عرضت زوجتى على أن أقيم معهم فى بيت أسرتها فرفضت لحساسيتى ولرغبتى فى عدم تقييد حرية الأم بوجودى معها .. فبدأت بعد قليل ألاحظ فتور حماى عند استقبالها لى .. ثم بدأت لا تجالسنى حين أزورها وبدأت تتصرف بعض التصرفات الصغيرة التى تشير إلى عدم ارتياحها-لزيارتى لهم فلم ألفت نظر زوجتى لشيء من ذلك مقدرا ان أعصاب أمها مازالت مرهقة من أثر الصدمة .. لكن التصرفات الصغيرة ترايدت وتجاوزت الحد إلى الاساءة المباشرة لى والتجريح فبدأت أباعد بين زيارتى وأنا اعزى نفسى بأنها فترة مؤقتة معها طاللت فإذا بزوجتى نفسها وقد بدأت تتغير تجاهى !

وكان قد مضى على اقامتها مع أمها شهر ونصف الشهر وهى فترة كافية لمواساة أمها فطلبت منها ان تعود إلى البيت فراحت تماطلنى فى

العودة وتستمهلى فترة بعد فترة .

وذات يوم ذهبت إلى بيت أمها لأرى أولادى وزوجتى واطالبها بالعودة ففوجئت بأما تعلننى بأنها لن تعود إلى بيتى إلا إذا كتبت لها جزءا من مالى فتعجبت للطلب المفاجئ وسألته بدورى هل بلغها عن سلوكى ما يسىء إلى .. هل أسأت إلى زوجتى يوما .. فكانت الإجابة بالنفى ، فانفردت بزواجى وسألته عن رأيها فيما قالت أمها فإذا بها من رأى أمها فنصحتها بالأ تفتح للشيطان بابا بيننا فلم تستجب وغادرت الغرفة مصممة .. ثم عادت مصطحبة معها أمها وبدأتا تبادلان الألفاظ السيئة عنى وأنا جالس مذهول بينهما لا أعرف ماذا يجرى .. ولا أتصور ان تخرج مثل هذه الألفاظ من زوجتى المهذبة الرقيقة التى لم تغضبنى يوما واحدا ولم اجرحها ولم تجرحنى بكلمة منذ تزوجنا .. وظللت مبهوتا وقد عقدت الدهشة لسانى فترة طويلة من الوقت وهما لا تكفان عن تبادل الألفاظ السخيفة حتى وجدت نفسى فجأة انطق بكلمة الطلاق .. ثم نهضت حزينا وهولت مبتعدا عن البيت وأنا أرى حياتى وكل شىء جميل فيها ينهار فى لحظة وبلا مقدمات .. وعانيت الصدمة لفترة .. حتى هدأت النيران داخلى قليلا وتدخل وسطاء الخير للصلح بيننا فتمسكت الأم بنفس الشروط لعودتها - ولم أر معنى لأن أعيش مع زوجتى وأولادى تحت الاذعان لشرط مهما كان نوعه لأنهم حياتى وكل ما أملكه لهم .. بلا إجبار ولا إذعان .. فرفضت الشروط واتفقنا وديا على النفقة وعلى كل شىء وعلى أن أرى أولادى بانتظام . ومضت الحياة هكذا .. وكلما تذكرت كيف انهارت هذه السعادة

فجأة تأملت .. وكلما تذكرت صورة زوجتي وهى تصفنى بألفاظ لم اسمعها منها من قبل تعجبت .. وسألت نفسى .. هل كنت الزوج المخدوع الذى لم يعرف حقيقة زوجته إلا فى هذه اللحظة القاسية ! وشغلت نفسى بعملى وارتباطاتى .. وبعد عامين ظهرت فى محيط الأسرة ارملة متدينة وعلى خلق مات عنها زوجها بعد ستة أشهر من الزواج فى حادث سيارة ولم تكن قد حملت منه ، ورحب أبى وأمى وأخوتى بها وارتحت إليها وارتاحت إلىّ وتزوجنا .. وكان أكثر ما شجعنى على الزواج منها هو أن أمها متوفاة فدعوت لها الله ان يرحمها وشكرته ان رحمنى أنا من الخوف من تأثير بعض الأمهات على بناتهن ، وبعد قليل جاءت اإعارة إلى إحدى الدول فسافرت معها ووفقنى الله فى عمل يدر على أجرا عاليا وعشنا معا والحمد لله فى سعادة وهناء واستقرار وقد رزقنى الله منها طفلا جميلا ، وبقيت على اتصال بأولادى أودى إليهم النفقة واطمئن عليهم من حين إلى حين .

وفجأة سمعت ان أم مطلقتي قد انتقلت إلى جوار ربها .. فطلبت لها الرحمة والمغفرة عما أذنتى فيه .. ثم عدت يوما فوجدت خطابا من مطلقتي تقول لى فيه أنها نادمة على ما بدر منها وأنها كانت واقعة تحت تأثير أمها الراحلة وان ضميرها يعذبها لأنها ظلمتنى .. وانها نالت من العقاب ونظرة الآخرين لها ما لا يطاق واننى أول حب لها ولن تجد أحدا فى كرم أخلاقى وأنها لاتريد شيئا سوى الصفح عنها وان يلتئم شملنا مرة أخرى وأنها تقبل أن تعيش معى وأنا متزوج لأنها تعرف عنى أننى لن أظلمها ولن أظلم زوجتى الأخرى .

فإذا أفعل ياسيدى .. لقد وقعت فى حيرة شديدة . هل اردھا إلى عصمتى .. أم اتركھا لحال سبيلھا عسى أن يرزقھا الله بمن هو خير منى وهل أخبر زوجتى الحالية بما يجرى .. ماذا أفعل علما بأن جرح إهانة مطلقتى لى لا أظن أنه سوف يلتئم لأنى أحسست فجأة أنها كانت تعيش معى بشخصية غير شخصيتها الحقيقية .

ولكاتب هذه الرسالة أقول : أنت يا صديقى فى موقف محير فعلا .. لأنه من المواقف القليلة فى الحياة التى يتساوى فيها الخطأ والصواب إلى حد كبير .

فمن الصواب مثلا أن تعيد مطلقتك إلى عصمتك وتجمع شمل ابنائكما فتنقذهم من التمزق بينكما ومعاناة كل الآثار السلبية البغيضة لانفصال الأبوين على الأبناء .

لكنه من الخطأ أيضا وربما بنفس الدرجة أن تفعل ذلك إذا رفضت زوجتك قبول هذا الوضع وطلبت الانفصال فتهدم بذلك سعادتك الحالية وتمزق ابنك الوليد بينكما وتعرضه لنفس هذه الآثار الكريهة .

ومن الصواب الا ترفض نداء مطلقتك وندمها وهى صادقة فيه .. وقد عاشرتك بشخصيتها الحقيقية سنوات طويلة فكانت الزوجة المهذبة الرقيقة حسنة العشرة التى لم تغاضبها ولم تغاضبك يوما ، أما شخصيتها الأخرى فى تلك اللحظة القاسية .. فلقد كانت الشخصية المستعارة الزائفة التى ظهرت فجأة بتأثير أمها الطاغى عليها وقد زالت بزوال المؤثر ، وأنت حبها الأول كما تقول هى ولعلها كذلك أيضا بالنسبة لك

لكنه من الخطأ أيضا وبنفس الدرجة تقريبا أن تسيء إلى مشاعر زوجتك الحالية التي تعيش معها الآن في هدوء واستقرار وسعادة وقد وجد كل منكما في الآخر ما يضمّد جراحه ومن يعوضه عما لقيه من آلام الحياة .

فما المخرج إذن من هذه الحيرة ؟ الحق أنه لو لم تكن قد انجبت من زوجتك الحالية لنصحتك بلا تردد بأن تخيرها بين إعادة مطلقتك وابنائك إليك مع بقائها زوجة لك أو أن تسرحها باحسان تغليباً لمصلحة الجماعة على مصلحة الفرد ..

ولو لم تكن قد انجبت من مطلقتك ثلاثة أبناء لنصحتك بالألا تلتفت أصلاً إلى ندامها وبأن تدعها إلى حال سبيلها بعد ان استقرت حياتك مع غيرها .. لكن وجود الأبناء يغير الكثير من الحسابات يا صديقي .. ولاعجب في ذلك إذن فاستفت قلبك قبل أى مشير آخر واعمل بما سوف يفتيك به .. فأى طريق تمضى فيه صواب من ناحية وخطأ من ناحية أخرى .

أما إذا أردت نصيحتي الشخصية فإني انصحك بأن تعرض الأمر على زوجتك الحالية بكل جوانبه وبأن تترك لها مهلة كافية للتفكير فيه بروية .. ثم اترك لضميرها وعقلها وقلب الأم فيها الخيار بلا ضغط منك وهى من عانت من قبل من الترمّل والوحدة وتصاريق القدر .. فإن قبلت عن طيب خاطر مبدأ الجمع بينها وبين ابنائك .. رحمة بهم وصونا للحرّمات حتى لاتزورهم في بيت أمهم وهى اجنّية عنك .. فاعد مطلقتك إلى عصمتك واعف عما كان .. واعرف لزوجتك الحالية

فضلها في ذلك وأضفه إلى موازينها الثقيلة عندك .. أما إذا رفضت وتمسكت وجعلت من الانفصال شرطاً له فلا يكلف الله نفساً إلا وسعها ولا لوم عليها ولا عتاب في ذلك .. وبادر بالاعتذار لمطلقتك عن عدم استطاعتك اصلاح خطئها في حق ابنائها بخطأ آخر في حق ابنك الوليد .. وليختر لها الله ما يعوضها عما حدث .
والإنسان في النهاية لا يتعلم الحكمة بغير ثمن .. وإن كان المؤسف حقاً أنه ثمن يدفعه الأبناء قبل أن يدفعه الآباء والآمهات ..

القرار

اكتب إليك للمرة الثالثة خلال فترة قصيرة .. فأنا ياسيدى الطبيب الشاب الذى نشرت رسالته منذ فترة قصيرة بعنوان اللحظة القاسية ، والذى روى لك فيها أنه كان متزوجا ويعيش فى سعادة مع زوجته وأطفاله إلى ان توفى صهرى وذهبت زوجتى للإقامة مع أمها لفترة بعد الوفاة - فطالت اقامتها معها ودعوتها للعودة إلى بيتها أكثر من مرة فرفضت إلا إذا كتبت لها جزءا من مالى تأمينا لمستقبلها ورويت لك أنى فوجئت بهذا الموقف منها .. ورفضت الاستجابة لشروطها وتم الطلاق وتهدم العش السعيد الذى لم يشهد أية أزمة قبل تلك اللحظة القاسية ، ثم تحملت الصدمة وواصلت حياتى إلى أن وضع الله فى طريقى سيدة فاضلة تزوجتها وسافرت معها إلى إحدى الدول العربية وعشت معها فى سلام وسعادة وانجبنا طفلة جميلة .. فوجئت منذ فترة قصيرة برسالة من زوجتى الأولى تنبئنى فيها أن أمها قد توفيت وأنها قد ادركت خطأها فى حقى وحق ابنائها وندمت على هدمها لأسرتنا .. وتعرض على أن أعيدها إلى عصمتى مع استمرار زواجى بزوجتى الثانية حرصا على صالح ابنائنا الذين لا ذنب لهم فى وقوعها تحت تأثير أمها .

وقد كتبت إليك في رسالتي الأولى عن حيرتي إزاء هذا الموقف ..
 أسالك المشورة في أمرى فاجبتني بأني في موقف محير فعلا .. وانه من
 المواقف القليلة في الحياة التي يستوى فيها الخطأ مع الصواب على نفس
 الدرجة تقريبا لأني إن أعدت زوجتي الأولى حرصا على مستقبل ابنائي
 منها عرضت حياتي الجديدة للخطر بعد أن استقرت واثمرت ثمارها
 وازهرت طفلة جميلة .. وإن رفضت أعادتها أضرت بصالح ابنائي
 منها .. وبالتالي فلا لوم على ان قبلت عودتها أو رفضتها ثم انتهيت إلى
 رأي محدد هو ان اعرض الأمر كله على زوجتي الحالية قبل اتخاذ أى
 قرار .. فإن قبلت عودتها لك كان ذلك فضلا منها وكرما وتغلبا
 لمصلحة ابنائك من الأخرى على اعتباراتها الشخصية .. وإن رفضت
 فلا لوم عليها .. ونصحتني في هذه الحالة بأن أتمسك بها وإن أعتذر
 للأولى حرصا عليها وهى من حققت لى السعادة والأمان وحرصا على
 مصلحة طفلى منها .

وبعد نشر هذه الرسالة كتبت إليك رسالة شخصية ابلاغتك فيها أنى
 سأعمل بمشورتك التي انقذتني فعلا من حيرتي - لكنى سانتظر الوقت
 الملائم لمفاتيح زوجتي في الأمر ، وكنت قد أخفيت عنها الصحيفة التي
 نشرت بها المشكلة ثم انتظرت حتى جاءت اللحظة المناسبة .. فاخرجت
 الصحيفة من مخبئها وقدمتها لها واخبرتها بالموضوع كله وطلبت منها ان
 تقرأ ردك على المشكلة وقرأت زوجتي المشكلة .. وطلبت منها ألا تتسرع
 في ابداء رأيها وان تفكر في الأمر بروية ثم تصارحنى بعد ذلك بما يدور
 داخلها .. واكدت لها أنى سألتزم بقرارها في هذا الموضوع بلا

غضاضة . فاطرت زوجتى قليلا ثم قالت لى أنها معجبة بصراحتى معها فى هذا الأمر .. وأنها تحمل لك شكرا وعتابا .. أما الشكر فلأنك اهتممت بالمشكلة وحللتها من كل جوانبها .. وأما العتاب فلأنك كما تقول زوجتى قد ألقيت بالعبء كله على ضميرها هى وحدها .. فى أن تجمع بين أب وابنائها وزوجته الأولى .. أو ان تفرق بينهم جميعا وهى مسئولية ثقيلة محتاجة إلى تحكم الدين ومراعاة الله فيها وانتهى الحديث عند هذا الحد .. وعشنا حياتنا العادية .. ولم أشعر بأى تغير من ناحية زوجتى ولا أى تقصير فى اداء واجباتها كزوجة وأم .

وبعد فترة مناسبة من التفكير فى الموضوع ابلغتنى زوجتى بقرارها ، واحب أن اعرضه عليك بكلماتها هى لقد قالت لى زوجتى وهى كما قلت فى رسالتى الأولى خريجة كلية علمية عملية وحاصلة على أعلى الدرجات وتعمل :

إن طاعة الزوج فرض على كل زوجة فيما لامعصية فيه لله . وان طاعة الزوجة لزوجها مقدمة على طاعتها لأهلها وأنها من أسباب كل زوجة للتوسل إلى نيل رضا ربها ودخول جنته ، وأن الله قد أحل للرجل ان يتزوج من أكثر من زوجة لضرورات معينة فى صالح البشرية بشرط ان يعدل بينهم ، وبناء على ذلك فهى تقبل أن أعيد إلى عصمتى زوجتى الأولى مراعاة لصالح أبنائى منها ، وواقفة من أنى سوف أعدل بينهما ، ومؤمنة بأن طاعتى فى هذا الأمر والصبر عليه مع الالتزام بالقيام بواجباتها نحوى ونحو بيتها وأسرتهما يقربها من ربها وينيلها جائزته فى الدنيا وفى الآخرة .

هذا هو ياسيدى قرار زوجتى فى المشكلة التى حيرتنى عدة أسابيع
وشغلت ليلى ونهارى .

وقد سمعتها تردد هذه الكلمات .. وأنا لا أصدق نفسى .
ثم طلبت أنا منها مهلة لأبلغها بقرارى بعد ان عرفت قرارها .
وفكرت فى الأمر أياما وأياما .. وبعد تفكير طويل انتهيت إلى قرار
قد يبدو مفاجئا لك .. وهولن استطيع ان اعيد مطلقتى إلى عصمتى ..
لأننى كلما فكرت فى الأمر تذكرت اساءتها لى وهدمها لعشنا وتمزيقها
لأبنائنا .. بلا أى مبرر ، وبالتالي فأنى لو اعدتها فلن استطيع أن أعدل
بينها وبين زوجتى الثانية وسأظلمها وأظلم نفسى .. وأبوء بغضب ربى
لأننى لم أعدل معها .

وهكذا قررت ألا أعيد مطلقتى .. وابلغت زوجتى بذلك ، وسوف
أبلغ مطلقتى به خلال أيام .. ورأيت أن أكتب لك بقرارى لكى
تعرف ما تم فى أمرى ولكى تنصح كل زوجة بأن تحافظ على زوجها
وأسرتها وأولادها قبل فوات الاوان .. وان تخلص فى طاعة الله فلا
تعرض أولادها لمثل هذه المحنة ثم تندم على ما فعلت حين لا ينفع
الندم .. كما أرجوان تنصح أيضا كل أم ألا تتدخل بسوء فى حياة أبنيتها
مع زوجها .. وألا تكون عوناً للشيطان على هدم بيت أبنيتها وتشريد
أطفالها كما فعلت معى حماى .. سامحها الله وعفا عنها .. وشكرا . لك
والسلام .

ولكاتب هذه الرسالة أقول : قدر الله وكما شاء فعل . لقد قلت لك
من قبل ان اйма قرار تتخذه فى هذا الأمر .. فسوف تكون له مبرراته

وأسبابه المقبولة .. ولقد كنت تستطيع أن تكون إنسانا متسامحا ومضحيا من أجل أبنائك من مطلقتك بصفحك عنها واعادتك لشملمهم بين جناحيكما بعد ان اذنت لك زوجتك العظيمة بذلك .. لكنى لا أستطيع أن ألومك أن لم تفعل فليس كل إنسان بقادر على نسيان الأساءة خاصة إذا جاءت من ممن لم يقدم لهم سوى الحب والوفاء والأخلاص .. أو جاءت من ممن كان يعتبرهم ظهراءه فى الحياة وسنده فيها .. أو اذا ترتب عليها هدم أسرة وتشريد أبناء أبرياء لسبب دنيوى حقير كذلك السبب .

لهذا قلت لك فى ردى عليك استفت قلبك أولا وبعد ان تطرح الأمر على زوجتك فان افتاك بقدرتك على الصفح كان خيرا وأبقى .. وان افتاك بغيره فلا تثرىب عليك .. وفى كلا الحالين فلقد رد إليك هذا الاختبار اعتبارك بعد الأساءة التى لحقت بك من زوجتك الأولى ، وزادك معرفة بجوهر زوجتك الحالية الأصيل واستمتعتنا نحن بقراءة كلماتها الجميلة المعبرة عن فهم راق وسام للحقوق الزوجية والواجبات الدينية ولثقل الأمانة على الضمير الحى .

فعسى أن تستفيد بكلماتها كثرات .. وعسى أن تستفيد ويستفيد بعبرة رسالتك كثيرون ممن يندفعون وراء أهوائهم بلا روية ويهدمون معابدهم ويشردون ابناءهم .. ثم لا يستينون الرشد إلا ضحى الغد !

الفهرس

٧	العصافير الخرساء
١٨	طائر الأمان
٣٠	الوجه الحزين
٣٩	رحلة القطار
٥٥	جبال من جليد
٦٢	الزائر الغريب
٦٧	عقول الأمة
٧١	زهور الصبار
٧٧	الوجه الضاحك
٨٥	الخيوط الحريية
٨٩	الصفحة الجديدة
٩٤	الهالات السوداء
١٠٨	الثوب الأبيض
١١٨	الجائزة الثانية
١٢٤	الجائزة الأولى
١٢٨	المرايا

١٣٤	الرجل الغريب
١٣٨	تحية المساء
١٥٠	اللقاء الأول
١٥٧	الكرباج
١٦٣	الشموع المطفأة
١٦٨	الصوت الرخيم
١٧٦	الحقيقة العارية
١٨٢	السلاح الأقوى
١٨٨	الابتسامة الساحرة
١٩٦	القبيلة
٢٠١	الشعيرات البيضاء
٢١٢	الحقيقة الزرقاء
٢٢٣	الغزو
٢٢٨	الاصبع الخالية
٢٣٤	البديل
٢٤٠	اللحظة القاسية
٢٤٧	القرار

رقم الإيداع ٩٢/٧٨٧٢
I.S.B.N 977 - 09 - 0162 - 8

مصابغ الشروق

القاهرة : ٨ شارع سيديويه المصري - ت: ٤٠٢٣٣٩٩ - فاكس: ٤٠٢٧٥٦٧ (٠٢)
بيروت : ص ب: ٨٠٦٤ - هاتف: ٣١٥٨٥٩ - ٨١٧٢١٣ - فاكس: ٨١٧٧٦٥ (٠١)

